

# مَجَلَّةُ الْمُتَدَرِّسِ

مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية

السنة العاشرة / العدد الحادي والأربعون / لسنة ١٤٤١ هـ



## مركز الهدى للدراسات الحوزية

العراق . النجف الأشرف

مركز الهدى للدراسات

مؤسسة فكرية تنشط في ميدان البحث والمساهمة في تطوير الفكر الإسلامي المعاصر؛ إيماناً منها بقدرة الإسلام ومدرسة أهل البيت عليه السلام على تقديم البديل الحضاري للإنسان، وتُعنى بالدراسات الفكرية والسياسية والتاريخية لحوزتي النجف الأشرف وقم المقدسة؛ رغبةً منها في ترسيخ الثوابت، والوقوف بوجه الفكر الدخيل.

# مَجَلَّةُ الْمُسَدِّقِ

مجلة فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية

السنة العاشرة / العدد الحادي والأربعون / لسنة ١٤٤١ هـ

## الهيئة الاستشارية

- ◀ السيد يوسف الحلو  
• أستاذ حوزة النجف الأشرف
- ◀ السيد جابر الموسوي  
• أستاذ في الحوزة العلمية
- ◀ الشيخ حسين السعدي  
• أستاذ في الحوزة العلمية
- ◀ الدكتور أسامة السعدي  
• جامعة النهرين
- ◀ الدكتور علي عبد الأمير  
• جامعة بغداد
- ◀ الدكتور سميح الأسدي  
• جامعة بابل
- ◀ الدكتور علي فياض  
• جامعة طهران

## الإشراف العام محمد صادق الهاشمي

رئيس التحرير

أ. عباس النوري

النسق والمراجعة

محمد حميد الهاشمي  
عصام الساعدي

مُعَدُّ التَّرجمة الفارسية

حسن علي مطر

الإخراج الفني

محمد هادي

## هيئة التحرير

- ◀ أ. سميح العطواني
- ◀ أ. هادي بدر الكفوي
- ◀ أ. ضياء كاظم الهاشمي
- ◀ أ. عماد الولائي
- ◀ أ. جعفر آل وشاح
- ◀ أ. إبراهيم الأسدي
- ◀ أ. مكي عبد الرحمن



## مجلة الهدى

العدد: الأربعون / السنة الحادي والأربعين / ١٤٤١هـ

الناشر: مركز الهدى للدراسات الحوزوية

المطبعة: الصنوبر

قطع الورق: ٢٣ × ٢٣ سم

عدد الصفحات: ٣٤٦ صفحة

التصميم والخراج الفني: أحمد الهاشمي

سنة الطبع: ٢٠١٩ م - ١٤٤١ هـ

❖ البحوث الواردة في مجلة المنهج تعبر عن رأي كاتبها.  
❖ ترتيب البحوث خاضع لاعتبارات فنية



## هَوِيَّةُ الْمَجَلَّةِ:

مجلة [الهدى] فصلية علمية تعنى بالشؤون الحوزوية والمعرفة الدينية، تصدر عن مركز الهدى للدراسات الحوزوية، تعنى بالفكر الإسلامي المستنير وما يتصل به من المجالات والتخصصات، في الشريعة والتاريخ والقانون والفلسفة وعلم الكلام الجديد والعلوم الإنسانية المختلفة، مضافاً للفكري الحوزوي وتاريخ المرجعية والفكر المقاوم.

## شُرُوطُ الْكَتَابَةِ:

١. يتراوح حجمُ البحث بين (١٠ - ٢٥) صفحةً بحجم (A٤).
٢. ينضدُّ البحثُ على قرص مدمج (CD)، أما التصحيحُ اللغويُّ فتتكفلُ به المجلة.
٣. يجب أن لا تكون البحوث منشورةً سابقاً، في الصحف أو الدوريات أو مواقع الإنترنت على الإطلاق، وأن يتعهد الكاتب بعدم نشره في مكانٍ آخر إلا بعد أخذ الموافقة من المركز.
٤. تخضع البحوث لتسلسلٍ فنيٍّ في النشر، ولا يحقُّ للكتاب الاعتراضُ على تأخير نشر المادة، لأنه أمرٌ تابعٌ لهيأة التحرير حصراً.
٥. تُقبلُ البحوثُ والدراساتُ المكتوبة بلغةٍ ثقافية مميزة، أما البحوث الضعيفة فتهمَل ولا تعادُ إلى أصحابها.
٦. المجلة ليست ملزمةً بإرجاع المواد إلى أصحابها، سواءً نشرت أم لم تنشر.
٧. يرفق الباحث ملخصاً مع البحث لا يزيد على نصف صفحة.
٨. تكون الهوامش متسلسلة في الصفحة نفسها لا في نهاية البحث.

الإمام الخامس عليه السلام خلال لقاءه بأصحاب المواقب والحسينيات العرفيين في مسيرة المنعرجين :

أتقدم لكم بالشكر الجزيل من أعماق قلبي  
لما تبذلونه من أقصى حدود الكرامة والسّخاء

كلمة التحرير: الزيارة الأربعينية ووحدة الشيعة

محمد صادق الهاشمي

١٧

محطات في الفكر المقاوم

٢١

الشباب ومطلبات المرحلة في توجيهات الإمام الخامس عليه السلام

د. علي البغدادي

٢٣

دور المرجعية الدينية العليا في التجف الأشرف

٣٩

في تفعيل الحافز الجهادي للحشد الشعبي

د. عمار علو الربيعي

قراءة في نهج الامام الخميني عليه السلام

٧٩

د. نور الهيدان

النشاطات السياسية للشيخ الآصفي عليه السلام

١٠٥

في العراق ٢٠٠٣م - ٢٠١٥م

د. عامر صالح العكيلي

ملف العدد: الزَّيَّارَةُ الْأَمْرَبِيَّةُ وَالْإِعَادَةُ الدِّينِيَّةُ وَالْجِهَادِيَّةُ

١٢٥

الأربعين الحسيني خلود الشهادة والفكر الحسيني

١٢٧

محاضرات الامام الخميني دامت طه

أ. إبراهيم الأسدي

الثورة الحسينية وزيارة الأربعين

١٤١

وأثرها الفكري والعقائدي في جهاد الحشد الشعبي

خمائل شاكر الجمالي

دور الأربعين في صناعة الشخصية المهدوية

١٥٩

الشيخ الشهيد مشتاق الزبيدي

دور الزيارة الأربعينية في الإصلاح

١٩١

الشيخ محمد رضا الساعدي

زيارة الأربعين في ميزان التهوض الحضاري

٢١٩

د. خالد عليوي العرداوي

الدراسات الفكرية

٢٢٩

مع ابن خلدون في قراءته للنهضة الحسينية - عرض وتقديم -

٢٣١

أ. زكي الميلاد

دور المؤمنين في تصفية المعارضة الشيعية

٢٤٩

د. سهيل زكار

عَالِمِيَّةُ السُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ

٣٧٥

وَمُسْكَلَةُ مُسْتَجَدَّاتِ الْعَصْرِ وَطُرُقِ مُعَالَجَتِهَا

محاضرات السيد صدر الدين القبانجي

نَقْدُ الْمَنْهَجِ الْفَصْذِيِّ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

٣٩٩

الشيخ غازي عبد الحسن السماك

مِنْ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ

٣٢٥

السَّيِّدُ عَبْدُ الْحُسَيْنِ شَرْفُ الدِّينِ عليه السلام

هيئة التحرير





الإمام الخميني رحمه الله خلال لقائه بأصحاب المواقب والحسينيات العرافيين في مسيرة الأئممين :

أتقدم لكم بالشكر الجزيل من أعماق قلبي  
لما تبذلونه من أقصى حدود الكرامة والسّخاء

علي بن الحافظ  
علي بن الحافظ



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا أبي القاسم المصطفى محمد ، وعلى آله الأطيبين  
الأطهرين المنتجبين ، لا سيما بقية الله في الأرضين .

أرحّب بكم كثيراً أيها الإخوة الأعزاء ، هذه الجلسة بالنسبة إلي جلسة تاريخية لن تُبارح الذاكرة . ما قيل في  
هذه الجلسة وما أُلقي من أشعار وما أنشد من مرث كل واحدة منها علامة بليغة على عظمة حادثة كربلاء وعظمة  
الحسين بن علي ( سلام الله عليه ) ، وقد استفدنا وانتفعنا كثيراً . نتمنى أن تقضوا أوقاتاً سعيدة أيها الإخوة الأعزاء  
في هذه السفرة في بيتكم وبين إخوتكم . سجلت عدة نقاط وملاحظات أذكرها لكم .

كلمتي الأولى هي الشكر ، فأنا أتقدم بالشكر من صميم القلب وبالنيابة عن شعب إيران الكبير لكم أنتم  
أصحاب المواكب والهيئات الذين بلغتم بالإكرام والرحمة والمودة في أيام الأربعين ذروتها ، وأشكر كذلك كل الشعب  
العراقي الكبير وكذلك المسؤولين في الحكومة العراقية الذين وفروا الأمن والأجواء والأرضية اللازمة ، كما أشكر  
على الخصوص العلماء الأجلاء ومراجع الدين العظام في العراق الذين وفروا مناخ الزيارة وأجواء الأخوة بين كل  
الناس وبين الشعبين الإيراني والعراقي . هذا شيء جدير بالشكر حقاً . ما ينقل لنا عن سلوككم أيها الإخوة العراقيين  
الأعزاء في المواكب التي على الطريق وتعاملكم الكريم مع زوار الحسين أشياء لا نظير لها ، لا نظير لهذه الأشياء



في عالم اليوم . كما إنّ مسيرات الأربعين ذاتها لا نظير لها في التاريخ ، وسلوككم الكريم أيضاً لا نظير ولا شبه له حقاً . لقد عبّرتم عن الكرامة الإسلامية والكرامة العربية في تعاملكم وأعمالكم ، وكل ذلك على حب سيد الشهداء (عليه السلام) ، على حب الحسين بن علي ، ومن منطلق العشق والمودة للإمام الحسين ، تغسلون أقدام زوار الإمام الحسين ، وتدلّكون للزائر جسمه المتعب بشدة وتطعمونه وتؤوّنونه وتوفرون له مكان المبيت ، لأنه زائر الحسين . حب الحسين بن علي هذا حالة استثنائية ، ولم نعرف ولا نعرف نظيراً لهذا الشيء في أي مكان وفي أي زمان . ونسأل الله تعالى أن يزيد من هذا الحب في قلوبكم وقلوبنا يوماً بعد يوم .

طبعاً هذا التوفيق الذي أحرزتموه في هذا المجال هو بحد ذاته رحمة من الله لكم . هذا التوفيق الذي حققتُموه في استضافة ضيوف الإمام الحسين (عليه السلام) شيء قيم جداً وهو نعمة إلهية فيجب معرفة قدره ، ونحن نعلم أنكم تعرفون قدره .

النقطة الثانية تتعلق بأصل هذه المسيرة الأربعينية وهي حقاً حادثة منقطعة النظير . ليس فقط في زماننا هذا بل وعلى مرّ التاريخ لا نعرف مثل هذا التجمع ومثل هذا الحراك في كل سنة حيث يزداد ازدهاراً سنة بعد سنة ، فهو شيء منقطع النظير . ولهذه الحركة الحسينية دورها في تنمية وتطوير المعرفة بالإمام الحسين (عليه السلام) . لقد أصبحت "الأربعين" ظاهرة عالمية بهذه الحركة والمسيرة السنوية بين النجف وكربلاء خصوصاً . وقد تسمرت أعين الناس في العالم على هذه الحركة ، وأضحى الإمام الحسين (عليه السلام) والمعرفة الحسينية حالة دولية عالمية بفضل هذا الحراك الشعبي العظيم .

نحن اليوم بحاجة لتعريف الحسين بن علي للعالم ، فالعالم يعاني من الظلم والفساد والدناءة واللؤم ، وهو بحاجة لمعرفة التحرر الحسيني والحرية الحسينية . الناس في العالم ، والشباب في العالم والشعوب غير المغرّضة تخفق قلوبهم لمثل هذه الحقيقة . إذا جرى تعريف الإمام الحسين (عليه السلام) للعالم فسيكون ذلك تعريفاً للإسلام والقرآن . تطلق الدعاية والإعلام في الوقت الحاضر ضد الإسلام والمعارف الإسلامية بمئات الوسائل . ومقابل هذا

الحراك العدائي لجبهة الكفر والاستكبار يمكن لحركة المعرفة الحسينية أن تتصدى بكل قوة وتقف وتُعرّف حقيقة الإسلام وحقيقة القرآن للعالم . منطق الحسين بن علي عليه السلام هو منطق الدفاع عن الحق ومنطق الصمود والثبات مقابل الظلم والطغيان والضللال والاستكبار . هذا هو منطق الإمام الحسين ، والعالم اليوم بحاجة لهذا المنطق . يشهد العالم اليوم سيادة الكفر والاستكبار والفساد . يشهد العالم اليوم سيادة الظلم ، ورسالة الإمام الحسين رسالة إنقاذ العالم ، وحركة الأربعين العظيمة تنشر هذه الرسالة في العالم ، وينبغي بفضل الله وحوله وقوته وتوفيقه تعزيز هذه الحركة يوماً بعد يوم .

لقد أصبحت [حركة] الأربعين عالميّة ، وستكون أكثر عالمية في المستقبل . إنها دماء الحسين بن علي بعد ١٤٠٠ عام تفور وتغلي وتتجدد يوماً بعد يوم وتزداد حياة يوماً بعد يوم . هذه هي رسالة عاشوراء التي تعالت من حنجرة أبي عبد الله وحنجرة زينب الكبرى ( سلام الله عليهما ) وهما بمنتهى الغربة والتوحد ، واستغرقا ويستغرقان أجواء العالم اليوم . الحسين عليه السلام هو للإنسانية ، ونحن الشيعة نفخر بأننا أتباع الإمام الحسين ، لكن الإمام الحسين ليس لنا وحدنا فقط ، فالمذاهب الإسلامية والشيعة والسنة كلهم تحت لواء الإمام الحسين . يُشاهد في هذه المسيرات العظيمة حتى من لا يعتنقون الدين الإسلامي ، وهذه حالة سوف تستمر إن شاء الله ، وهي آية عظمى يظهرها الله تعالى . في الزمن الذي يعمل فيه أعداء الإسلام وأعداء الأمة الإسلامية بمختلف صنوف وأنواع الأدوات والوسائل وبالمال والسياسة والسلاح ضد الأمة الإسلامية ، يُعظم الله تعالى فجأةً حادثة مسيرة الأربعين بهذا الشكل وبيروزها هكذا . هذه آية إلهية عظمى وهي مؤشر إرادة إلهية على نصره الأمة الإسلامية . هذا يدل على أن إرادة الله تعالى معقودة على نصر الأمة الإسلامية .

النقطة الثالثة التي أقولها لكم أيها الإخوة الأعزاء هي أن تجعلوا ونجعل هذه المراسم أكثر محتوى ومضموناً وأكثر معنوية ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً . ينبغي أن نضاعف من معاني ومضامين هذه المراسم باستمرار ، فليخطط أهل الأفكار وأهل الثقافة وأهل الأعمال الثقافية والفكرية لهذه الحركة العظيمة . ينبغي على كل مسلم في الوقت

الحاضر أن يكون هدفه إيجاد حضارة إسلامية . هذا ما نريده اليوم . الشعوب الإسلامية لديها إمكانات هائلة ولو تمت الاستفادة من هذه الإمكانيات والطاقات لبلغت الأمة الإسلامية ذروة عزتها . يجب أن نفكر بهذا ، يجب أن نفكر بهذا ، هدفنا النهائي إحداث حضارة إسلامية عظيمة .

لقد صحت الشعوب الإسلامية اليوم والحمد لله . الشعب العراقي شعب كبير عزيز صاحب ثقافة ، شعب ذو عزيمة وإرادة . لقد أثبت الشباب العراقيون في أحداث الأعوام الأخيرة أنهم قادرون على حماية شعبهم وبلادهم مقابل المؤامرات العالمية ، وهذا شيء ثمين وقيّم جداً . لقد استطاع الشباب العراقي القضاء على أكبر مؤامرة داخلية كان يمكن أن تفضي إلى حرب داخلية في العراق . لم تكن مؤامرة داعش والتكفيريين مؤامرة صغيرة ، فلقد أنفقوا الأموال وخططوا لتبديل العراق وهو بلد عربي وإسلامي أساسي إلى ساحة حرب داخلية وأن يوقعوا بين الشيعة والسنة ، لكن الشباب العراقي استطاع بفتوى المرجعية المعظمة في العراق أن يتصدى بقوة ويحبط هذه المؤامرة . لم يكن هذا بالإنجاز القليل ، لم يكن بالعمل الصغير . يمكن للشعب العراقي الكبير أن يرتقي ببلاده إلى ذروة العزة ، وينبغي أن تظهر هذه الطاقات عملياً . لو تجمعت طاقات البلدان الإسلامية - طاقات العراق وطاقات إيران وطاقات البلدان الأخرى في منطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا - بعضها مع بعض وتلاقت والتحمت وتعاضدت هذه الأيدي عندئذ سوف تثبت الأمة الإسلامية ما معنى العزة الإلهية ، وسوف تُعرض الحضارة الإسلامية العظيمة على مجتمعات العالم . ينبغي أن يكون هذا هو هدفنا ويمكن لمسيرة الأربعينية هذه أن تكون وسيلة فاعلة لتحقيق هذا الهدف .

يشاركون في مسيرة الأربعينية من عشرات البلدان ويحلّون ضيوفاً على الشعب العراقي ، فلنحاول أن نعرّز في هذه المسيرات من الأواصر بين الإخوة المسلمين ، الأواصر بين العراقيين وغير العراقيين ، الوشائج بين الشيعة والسنة ، والأواصر بين العرب والفرس والترك والكرد ، فهذه الوشائج مبعث سعادة ، وهذه الأواصر آية رحمة إلهية . يحاول العدو التفرقة لكنه لم يستطع ذلك ولن يستطيع بحول الله وقوته . نحن - إيران والعراق - شعبان مرتبطان

بعضهما ببعض ، أجسامنا وقلوبنا وأرواحنا مرتبطة ببعضها ، وما أوجد هذا الترابط هو الإيمان بالله ومحبة أهل البيت عليه السلام ومحبة الحسين بن علي عليه السلام ، وهو ما سوف يزداد يوماً بعد يوم إن شاء الله . الأعداء يتآمرون لكن مؤامراتهم لن تؤثر . منذ بدء الثورة الإسلامية وإلى اليوم وأمريكا وأذئاب أمريكا وأعوان أمريكا ومرترقة أمريكا يخططون وينشطون لمدة أربعين عاماً ضد الجمهورية الإسلامية وينفقون الأموال ويهدّدون ويفرضون الحظر ، ولكن على الرغم من أنوفهم تحولت الجمهورية الإسلامية خلال هذه الأعوام الأربعين من غرسة دقيقة إلى شجرة ضخمة « أصلها ثابت وفرعها في السماء » . هذا الشعار الذي ترفعونه ضد أمريكا وضد النظام الصهيوني وضد الأعداء والمستكبرين سوف يتحقق في مستقبل غير بعيد وسوف يكون التوفيق حليفكم إن شاء الله .

أتقدم بشكري مرة أخرى وأقول لكم إن الشعب الإيراني يشكركم أيها الإخوة العراقيون الأعزاء بكل وجوده ، وخصوصاً أنتم أصحاب المواقب والهيئات في الأربعين ، إننا نشكركم من صميم الفؤاد ونتذكر هذا المصراع من شعر المتنبي « إذا أنت أكرمت الكريم ملكته » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





كَلِمَةُ التَّحْرِيرِ:

# الزِّيَارَةُ الْأَرْبَعِيَّةُ وَوَحْدَةُ الشَّيْعَةِ

❖ محمد صادق الهاشمي<sup>(\*)</sup>

.....  
(\*) باحث ومؤلف في علم الاجتماع السياسي / ومدير مركز العراق للدراسات.





زار الجمهورية الإسلامية الإيرانية وفدٌ مكوّن من ألف شخصية من رؤساء المواكب الحسينية العراقية بدعوة وضيافة العتبة الرضوية، وتقرر أن يكون ضمن برنامجهم استقبال السيد الامام الخامنئي (دام ظلّه). وقد تم اللقاء، بعدة فعاليات؛ من شعراء، ورؤساء المواكب التي تدل على استعداد الشعب العراقي بطبعه وأخلاقه الرصينة من تقديم المزيد والاستمرار في العطاء لمنهج الحسين (عليه السلام) من خلال استقبال الزوار وخدمتهم. وبعدها القى الإمام الخامنئي (دام ظلّه) كلمةً تضمّنت مدحاً للشعب العراقي بأنّه أكرم الشعوب، وأنّه شعبٌ الوعي والثقافة والحضارة.

### وهنا نود الإشارة الى نقاط مهمة في كلمة الإمام الخامنئي لأصحاب المواكب الحسينية:

**أولاً:** إنّ مضامين كلمات الامام الخامنئي في مدح الشعب العراقي تعني أنها رسالة إلى التاريخ والأجيال، وكل الشعوب أنّ هذا السيد يشهد بوعي الشعب العراقي الحسيني الراسخ واستعداده الباذخ، وهذا الاستعداد والتقديم هو الذي حفظ منهج وثورة الإمام x، ورسخها في وجدان الأجيال، وبقيت واقفه ضدّ كل التحديات.

**ثانياً:** الشعب العراقي قدّم عبر التاريخ الغالي والنفيس، وتحمل المحن الكثيرة؛ لأجل خدمة الإمام الحسين (عليه السلام)، وطالما قطعت في سبيل ذلك الأيادي، ونخرت الأجساد بالرصاص، ونحرت رقاب كثيرة، والتاريخ

شاهد على ذلك، ولذا فلإمام الخامنئي يشير الى التاريخ العراقي الجهادي كله وليس الى نقطة ومقطع محدد.

**ثالثاً:** الامام الخامنئي بمدحه الشعب العراقي، ومن خلال رؤساء المواقب الحسينية العراقية إنّما يدل على تلاحم الشعبين الإيراني والعراقي تحت راية الإمام الحسين (عليه السلام)، وفق منهج ومسيرة الإصلاح؛ بعيداً عن أيديولوجيات معيّنة، وليس هناك إلا الإمام الحسين (عليه السلام)؛ فالكل يجب أن يقف تحت هذه الراية ولا شيء سواها.

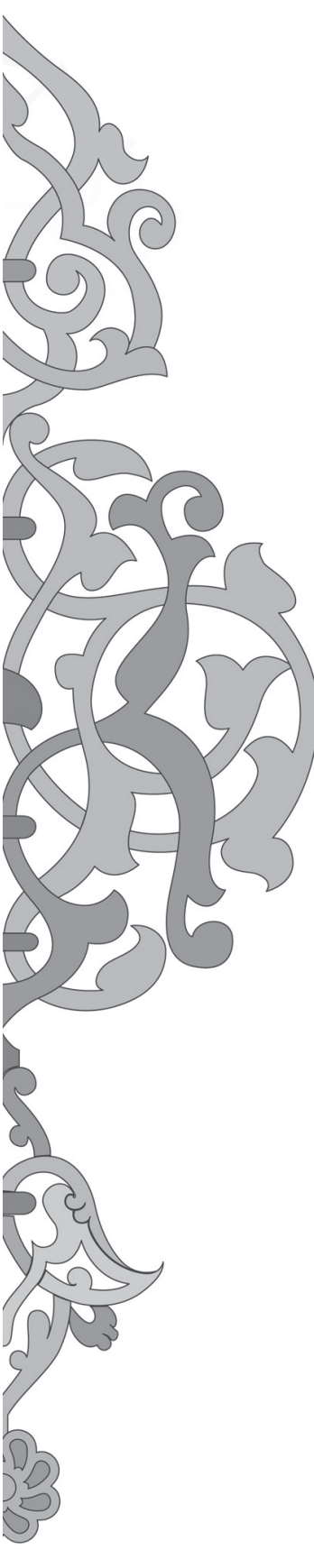
**رابعاً:** لا يمكن جمع الشعوب على مائدة أيديولوجيات السياسية والمصالح أبداً؛ فإنها تزول مؤثراتها، ولكن يمكن جمع الشعوب تحت خيمة الإمام الحسين (عليه السلام)، وأنّ الشعب العراقي هو صاحب الانجاز والفضل، وإليه يعود الفضل - بشهادة الامام الخامنئي - في جمع الكل تحت هذه الخيمة، وهو يقدم كل ما لديه بسخاءٍ عزّ نظيره.

**في الختام:** إنّ مناهج تربية الأمم متعددة، وسبل توحيدها على منهج واحد معتذر في ظل هذا الصراع الخفي العلني، ولكن تجربة الزيارة الأربعينية وأبعادها وحدها الكفيل في إيجاد منهج تربوي مؤحد لكل الأمم، وهو ما يجب أن يستثمر دائماً لتقريب المسافات بين الشيعة جميعاً.

# مَحَطَّاتُ فِي الْفِكْرِ الْمُقَاوِمِ

- ❖ الشَّبَابُ وَمُتَطَلِّبَاتُ الْمَرْحَلَةِ فِي تَوْجِيهَاتِ الْإِمَامِ الْحَامِصِيِّ دام ظلته .
- ❖ وَرُ الْمَرْجِعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ الْعُلْيَا فِي النَّجَفِ الْأَشْرَفِ فِي تَقْعِيلِ الْحَاكِمِ الْجِهَادِيِّ لِلْحَشْدِ الشَّعْبِيِّ .
- ❖ قِرَاءَةٌ فِي نَهْجِ الْأَمَامِ الْحَمِينِيِّ عليه السلام .
- ❖ النِّشَاطَاتُ السِّيَاسِيَّةُ لِلشَّيْخِ الْأَصْفِيِّ عليه السلام فِي الْعِرَاقِ ٢٠٠٣م - ٢٠١٥م .





# الشَّبابُ وَمُتَطَلِّبَاتُ المَرَحِلَةِ فِي تَوَجِّهَاتِ الإِمَامِ الخَامَنِی دَامَ ظِلُّهُ

❖ د. علي البغداي (\*)

---

(\*) باحث وأكاديمي من العراق.





قال الامام الخامنئي ( دام ظلّه ) :

## الشباب ظاهرة متألفة وفصل لا بديل ولا نظير له في حياة كل إنسان

### النزعة الشبائية في الإسلام

أوصى الرسول الأكرم ﷺ بالشباب ، وكان يستأنس بهم ويستخدم طاقاتهم للأعمال الكبيرة . كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خلال فترة شبابه في مكة عنصراً مضحياً وذكياً وشاباً نشيطاً ورائداً وسباقاً . كان يرفع العقبات الكبرى عن طريق الرسول في كافة الميادين . في ميادين الخطر كان يتقدم مضحياً ويتولى أصعب المهام والأعمال . وفر بتضحيته إمكانية هجر الرسول إلى المدينة ، ثم كان خلال العهد المدني قائداً عسكرياً وزعيماً للمجاميع الناشطة

أي بلد يهتم بقضايا الشباب كما هو حقها سيحقق نجاحات كبيرة في طريق التقدم . الشباب - هذه المرحلة المتألقة المشرقة - ومع أنها ليست فترة طويلة جداً ، لكن آثارها آثار باقية طويلة على امتداد حياة الإنسان .

كما أن أجسام الشباب تتمتع بالنشاط والطراوة والقوة كذلك تتحلّى أرواحهم بالنشاط والحيوية . خلق الله تعالى هذا الكائن بكل ما له من قدرات وبكل قواه العقلية والجسمية والعصبية وطاقاته غير المعروفة ليستفيد من هذه الطبيعة ومن مواهبها وغذائها ومكامنها ، ومن هذه الدنيا المادية عموماً كوسيلة للوصول إلى مقامات القرب الإلهي .

والعالمية والفتية والمضحية . في ساحة الحرب كان جندياً شجاعاً وقائداً مقداماً . وعلى مستوى الحكم كان شخصية كفوءة .

وعلى صعيد القضايا الاجتماعية أيضاً كان شاباً متقدماً بكل معنى الكلمة . استفاد الرسول الأكرم ﷺ خلال فترة حكومته التي استمرت عشرة أعوام وعدة أشهر لا من شخصية كالإمام علي فقط بل من كل العناصر والطاقات الشابة إلى أقصى حد ممكن .

### رصيد تقدم الشعوب

عدد الشباب ونسبتهم إلى كل سكان إيران ظاهرة مذهشة . أكثر من نصف سكان إيران اليوم هم دون سن الثلاثين . الشيء النادر الذي حصل هو أن البلد الذي يعد من أشبّ البلدان في العالم جرب واحدة من أكبر الثورات في التاريخ ، وأشبّ الثورات في العالم ، وأكثر الأنظمة السياسية استقلالاً في العالم كله . إنه اقتران مذهش . هذا العدد الهائل من الشباب لا يعيشون في بلد نظامه السياسي تابع لأمريكا والشركات المالية الكبرى في العالم والشركات متعددة الجنسيات أو البلد الفلاني أو السياسة الفلانية ، إنما

يعيشون في بلد نظامه السياسي ينزع نحو الشباب . الشاب ميال إلى الاستقلال . الشاب بطبيعته يرفع رأسه إلى الأعلى ولا يرغب أن يكون أسيراً وتابعاً . النظام السياسي القائم في إيران اليوم نظام يرفع رأسه ولا ينكسه أمام أي كان ، ولم يهب للحظة واحدة الأسلحة والتهديدات الأمريكية ولا التهديدات الأخرى طوال هذه الأعوام . بلد إيران أمام ثورة جديدة وشابة لذلك فهو بحاجة إلى سرعة في الأعمال والإنجازات تصحبها برمجة صحيحة باتجاه بناء الذات والتقدم حتى يستطيع تقصير السنة الأعداء وفرض وجوده عليهم جميعاً سواء من الناحية العلمية أو العملية .

### الخصائص المثيرة للإعجاب لدى الشاب

الشاب يقبل الحق بسهولة . وهذه نقطة على جانب كبير من الأهمية . الشاب يعترض بسهولة وصدق ومن دون هموم وتشويش ، ويعمل من دون أية تقييدات داخلية .

وهذه أيضاً نقطة على جانب كبير من الأهمية . ضعوا التقبل السهل والاعتراض الصادق والعمل والمبادرة الخالية من الهموم والتشويش إلى جانب

بعضها ولاحظوا أية حقيقة جميلة سوف تتجلى وأي مفتاح لحل المشكلات سيظهر .

الشاب بطبيعته يطلب الإصلاح . وهو يطالب بالعدالة بشكل طبيعي وكذلك بالحريات المشروعة وتحقيق المبادئ الإسلامية . الحقائق والمبادئ الإسلامية تثيره وتجذبه . الصورة المنطبعة في ذهنه عن الإمام علي عليه السلام تثيره وتبعث فيه الهياج ، وتراه يقارن النواقص الموجودة به ويطالب بالإصلاح . هذه خصيصة جد بارزة .

من النقاط المثيرة للإعجاب لدى الشباب الطاقة والقدرة والابتكار والحيوية والنشاط في كيان الشاب . هل يكسب الشاب هذه المميزات ؟ لا ، لا يبذل الشاب جهوداً معينة من أجل التحلي بمميزات طلب الحق والتوفر على الطاقة والقوة والحيوية والهمة . هذه مرحلة طبيعية من العمر والحياة . وإذن فهي موهبة وثمة قبلها واجب ومسؤولية .

### الشباب ومسؤولية المدراء

ليس الآباء والأمهات هم فقط من لديهم شباب ، فمسؤولوا التعليم والمسؤولون السياسيون

والمخططون والمبرمجون الاقتصاديون للبلاد كلهم من الذين لديهم شباب ومسؤولين عن الشباب . شباب البلد أبناء مسؤولي البلد ومدرائه . إذا سادت روح الأبوة والبنوة بين مسؤولي البلاد والشريحة الشابة فسوف يصار إلى معالجة العديد من مشكلات الشباب . بعض المشكلات قد لا يمكن معالجتها على الأمد القصير ، بيد أن توعية جيل الشباب والشريحة الشبابية والانتفاع من مساعداتهم بوسعها تعويض هذه النقيصة .

العدد الهائل من الشباب في البلد نهر زاخر موج بالفيوض . إنه نهر يجري باستمرار وسيبقى يجري بعد الآن أيضاً لسنوات عديدة . يمكن التعامل مع هذا النهر بطريقتين :

الطريقة الأولى هي أن يعرف المسؤولون أهمية هذا النهر بأسلوب عقلاني وواع وعلمي ، هذا أولاً وثانياً أن يتعرفوا على المناطق والمراكز التي تحتاج إلى مياه هذا النهر . وثالثاً أن يخططوا ويحفروا القنوات لتوجيه المياه إلى حيث الحاجة . وعندها ستخضر آلاف المزارع والحقول بفضل هذه النعمة الإلهية السخية وسوف تعمّر كل النقاط والمناطق الخربة . يمكن توجيه هذا النهر الزاخر إلى ما خلف

السود المنتجة للطاقة ، وخلق مصدر هائل للطاقة ، وحض البلاد برمتها على النشاط والجهد .

إذا جرى التعاطي مع هذا الموضوع بهذه الصورة عندئذ ستكون هذه الظاهرة ظاهرة مباركة نادرة واستثنائية ، لو شكر كل واحد من الناس الله عليها مائة مرة كل يوم لم يوفوا حقوق الشكر اللازمة اللائقة . السمة المميزة لهذا اللون من التعاطي هي البرمجة والتوجيه ، وفتح الطرق ، وتشخيص مواطن الحاجة ، ووضع هذه الهدية الإلهية في موضع الحاجة بشكل دقيق ، وستكون النتيجة الاخضرار والنبات والنماء وال عمران والحيوية والبركة .

والنوع الآخر من التعامل هو أن يترك المسؤولون هذا النهر الفياض المتموج لحاله دون أي اهتمام ، ولا يفكروا فيه ، ولا يبرمجوا له ، ولا يعرفوا قدرة ، فتكون النتيجة لا جفاف المزارع ودمار الحقول فحسب ، بل سوف يذهب هذا الماء نفسه هدرًا . وفي أفضل الأحوال ستصب مياه هذا النهر في المياه المالحة وتفسد . والحال الثانية هي أن تتحول إلى برك آسنة ومستنقعات تتجمع فيها أنواع الآفات . والشكل

الأسوأ هو أن تتبدل إلى سيول تخرب كل مكتسبات الشعب . إذا لم تحصل البرمجة والدقة والعمل اللازم فسوف تترتب على ذلك مثل هذه النتائج .

### مسؤوليات الشباب الاجتماعية بناء الذات على كافة الأبعاد

بناء الذات علمياً وأخلاقياً وجسمياً مطالبات يجب أن نطلبها من الشباب ، والشاب نفسه بحاجة إلى مثل هذا البناء الذاتي . على الشاب أن يتخذ قراره في أن يبذر بذوره في أرضه ويستفيد من مخزونة وثروته الثقافية ويستخدم إرادته ويقيم وزناً وقيمة لشخصيته واستقلاله ولا يطالب بلبوس مستعارة ولا يلهث وراء تقليد النماذج الأجنبية واستعارتها .

لا يبحث الشباب عن التقليد ، وليفكروا في الأساليب والسبل التي تقوي أذهانهم وإراداتهم وإيمانهم وتظهر أخلاقهم وتحليها . عندئذ سيكون الشاب عنصر كمثل العمود الذي ينهض عليه سقف المدينة في هذا البلد والحضارة الحقيقية لهذا الشعب .

## الشعور الواعي بالمسؤولية

المهم بالنسبة للشباب هو الشعور الواعي بالمسؤولية . الشاب يطفح بالقوة ويمتاز بحساسية أكبر وأرهف . الشعور بالمسؤولية هو أن الإنسان كما يفكر بالحياة والمعيشة والشغل والزواج وكل شيء يتعلق بنفسه ، يكون ممن يشعرون بالمسؤولية تجاه الأهداف التي تتجاوزته وتتعداه . . الأهداف التي لا تتحدد به هو نفسه بل تتعلق بالمجموع وبالشعب وبالتاريخ وبالبشرية .

على الإنسان أن يشعر بالواجب والالتزام والمسؤولية حيال هذه الأهداف أيضاً . ما من إنسان وما من مجتمع يمكن أن يصل إلى قمم السعادة الرفيعة من دون هذا الشعور بالالتزام . ويجب أن يكون هذا الشعور بالمسؤولية والالتزام واعياً . يجب أن يعلم الفرد عن ماذا يبحث وما هي عقبات الطريق . هذا هو الشعور الواعي بالمسؤولية .

## حساسية الشاب تجاه المجتمع

الشاب حساس مقابل قضايا مجتمعه . في

المجتمع - أي جميع المناخات الموجودة التي تحيط الشاب - إذا كان ثمة تمييز فسوف ينزعج الشاب ويتألم وإذا كان في البيت تمييز فسوف ينزعج الشاب أيضاً . وإذا كان ثمة تمييز في المدرسة أو الصف يتألم الشاب ويمتعض . البعض يفقدون حساسيتهم إزاء هذه الآفات الاجتماعية أو ينغمرون في حياتهم الشخصية أو يتعودون على هذه السلبات من كثرة ما يشاهدونها . لكن الشاب ليس على هذه الشاكلة . الشاب مثالي ومبدئي . إذا لم تتوفر العدالة في المجتمع وإذا كان فيه تمييز يمتعض الشاب ، وإذا شاع الفساد في المجتمع سوف يمتعض الشاب الذي يفكر في عزة بلاده يقيناً . وإذا افتقدت الحالة الملحمية والحماسية والهيّاج الوطني فهناك يتحسس الشباب . في الحرب المفروضة كان الشباب يتدفقون على الجبهات جماعات جماعات بإشارة واحدة من الإمام الخميني ( رضوان الله عليه ) وبطلب بسيط من الجبهات إذ كانوا يعلمون يقيناً أن ثمة خطراً يداهم البلاد . هكذا هو الشاب في كل المجتمعات . ولكن في المجتمعات التي تشيع فيها حالات الإيمان والقيم المعنوية تزداد هذه الظاهرة طبعاً . في كل المجتمعات حينما تكون القضية قضية الدفاع عن البلاد والدفاع عن



الكبرياء الوطني والمنافحة عن عزة البلاد وحريتها يتقدم الشباب متطوعين ويبادرون ويرمون بأنفسهم في سوح الأخطار دون تفكير بهموم الحياة أو راحتهم .

من العوامل التي تمنع التفكير الغرق في لجج الفساد والقنوط . لذلك كان من المعارك الكبرى التي يخوضها الشباب المعركة ضد اليأس والقنوط وعوامل الفساد .

### السعي للتفكير والتدبر

من الأمور اللازمة للشباب المناضل هو الدراسة والتعلم ومكافحة الكسل وضعف الإرادة وهشاشة القدرة على اتخاذ القرارات والإعراض عن الدراسة وعن السعي للتفكير والتأمل . ليتعود الشباب على التفكير في المسائل والقضايا المختلفة . من أعظم الأخطار التي تهدد كل إنسان - وخصوصاً الجيل الشاب - هو أن يتلى بعدم القدرة على التفكير والتشخيص حيال الأحداث والوقائع والظواهر في المجتمع . واجب توجيه أفكار الشباب وهدايتها واجب كبير وهناك من يأخذون على عاتقهم القيام بهذا الواجب ، ولكن واجب الشباب في المقابل هو أن يفكروا في القضايا ويسيروا في الدرب بهدي من الفكر والتدبر . ليعود الشباب أنفسهم على التفكير والدراسة والتقييم في أية حادثة صغرت أم كبرت . إذا كان الإنسان من أهل التفكير وعوّد نفسه على التفكير سيستفيد من استشارات الآخرين أيضاً .

### الفردية للشباب

الشاب يفكر بالدرجة الأولى في دراسته وعمله وشغله ومستقبله . تأمين المستقبل ووضوحه من الأمور المهمة بالنسبة للشاب . ومن المهم بالنسبة له تشكيل العائلة والوصول إلى مراتب جيدة من المعرفة العلمية بقدر همته . ومن المهم بالنسبة له الميل للهياج والفرح والبهجة . والأمور ذات الصلة بالشعور بالجمال لدى الإنسان قوية لدى الشاب . والأمور المتعلقة بالمشاعر والعواطف الإنسانية وقادة متفجرة لدى الشاب . هذه هي الأمور الشخصية للشاب . لكن هموم الشاب لا تنحصر بها .

### هموم المعنوية

من هموم الشباب هم المعنوية وهذا هو الشيء الذي ينبغي أن يحظى باهتمام



المخططين والمبرمجين . ثمة روح عرفانية ودينية عامة يعيشها الإنسان خلال فترة الشباب . يريد الشباب أن يكونوا على صلة بالله وبقطب المعنوية والحقيقة ، لذلك يشاركون في الاجتماعات والجلسات الدينية الشائقة ، وأينما يفصح الدين عن نفسه بصورة لا تخلو من الروح يتجمع الشباب هناك . طبعاً في الكثير من الأديان في البلدان المختلفة من العالم لا ترشح من الدين روح ولا معنوية ولا حقيقة ، لذلك لا يكثرث الشباب ولا ينظرون له . لكن في المجتمع الذي يكون للدين فيه معناه وروحه ومفهومه ومعرفة يعرضها على الشباب ، وتكون فيه حيوية روحية ومعنوية يسبغها على الشباب ، ينشد الشباب إلى الدين ويعشقونه .

العبادة غسل لقلب الإنسان وروحه . العبادة جوهره جد ثمينة وقيمة للإنسان . الذين لا تهبط رؤوسهم للسجود للحق ليس بوسعهم الإحساس بلذة المعنوية . الأنس بالله والتناجي معه وبثه الأسرار وطلب الحاجات منه وبث الشكوى له وطرح المطالب والحوائج عليه تعالى - وهو الغني المطلق -

وطلب العون منه في الطريق لبلوغ المثل والأهداف ، هذه كلها تحصل للإنسان في إطار العبادة . وأفضل العباد تجدهم بين الشباب . عبادة الشاب أكثر حماساً وحيوية ومعنوية ، ودعاؤه أقرب للاستجابة .

### الحاجة إلى اكتشاف الهوية والمواهب

للإنسان في فترة شبابه وخصوصاً في مستهل الشباب ميوله ودوافعه الخاصة .

**أولاً :** لأنه في حال تكوين هويته الجديدة لذلك يميل إلى أن يعترف الآخرون بشخصيته الجديدة وغالباً ما لا يحدث ذلك ، فلا يعترف الآباء والأمهات بالشاب في هويته وشخصيته الجديدة .

**ثانياً :** للشباب مشاعره ودوافعه . وله نموه الجسماني والروحي وهو يضع أقدامه في عالم جديد عادة ما لا يكون للمحيطين به ولعائلته ولأفراد المجتمع اطلاع عليه أو أنهم لا يكثرثون لهذا العالم الجديد . لذلك يشعر الشاب بالتوحد والغربة . كبار السن يتذكرون فترة شبابهم . الشاب خلال فترة الشباب - سواء في بداية البلوغ أو بعد ذلك - يواجه

يعاضدونهم فكرياً . والمراكز المسؤولة عن هذه الأمور عادة ما لا تتواجد عند الحاجة وفي لحظات اللزوم . وهكذا لا يقدم للشباب هذا العون وتنتابه مشاعر عدم وجود ملاذ وملجأ يأوي إليه .

### التعامل المنطقي والبرهاني مع الشاب

يرغب الشاب في أن تشرح له المفاهيم الدينية . يميل الشاب اليوم إلى أن يكتسب دينه بالأدلة والبراهين والمعرفة والنظر النير المشرق . هذا مطلب صحيح وفي محله . إنه مطلب يعلمه الدين نفسه لأتباعه . يعلمنا القرآن بأن يجب علينا التعامل مع المفاهيم الإسلامية بتفكير وتعمق وتدبر وفهم ووضوح . المسؤولون إذا استطاعوا إشاعة هذا الوضوح لدى الجيل الشاب سيرون أن الشاب منسجم ومستأنس تماماً مع التعبد والتدين والعمل وفقاً لأحكام الدين .

### المشاعر الجنسية

قضية المشاعر الجنسية لدى الشاب هم يمكن للتأسيس المبكر للعائلة أن يزيله . حول زواج

الكثير من الأمور التي يجهلها ، وتطرح عليه العديد من القضايا الجديدة المثيرة للاستفهام والنقاش . وتنقدح في ذهنه شبهات واستفهامات يرغب أن يجد إجابات لها ، وفي الكثير من الأحيان لا يجد الإجابات الوافية الشافية في الوقت المناسب ، لذا يشعر الشاب بالفراغ والغموض .

**ثالثاً :** يشعر الشاب أن لديه طاقة متراكمة وقدرات جسمانية وفكرية وذهنية . والحق أن القدرات الموجودة لدى الشاب يمكنها صناعة المعجزات وتحريك الجبال من أماكنها . لكن الشاب يشعر أن طاقاته وقدراته المتراكمة هذه تهذب هدرًا ولا يستفاد منها ، وهكذا تراه يشعر بالعبث والإهمال .

**رابعاً :** يواجه الشاب لأول مرة عالماً كبيراً في فترة الشباب لم يكن قد جربه من قبل وهو لا يعلم عنه الشيء الكثير . تقع له العديد من أحداث الحياة لا يدري ماذا يجب أن يكون موقفه منها . يشعر أنه بحاجة إلى مرشد ومساعد فكري ، وحيث أن الآباء والأمهات غالباً ما يعملون خارج البيت ، لذلك لا يساعدون أبناءهم الشباب ولا

يومذاك لكن أعداء الإسلام والمراكز السياسية كانت ناشطة ضد الإسلام . بادروا إلى إفساد الشباب ، وكان لهم في هذا السياق دوافع مسيحية ودينية وسياسية متنوعة . كان من أعمالهم أنهم أوقفوا حقول العنب لتصل خمورها مجاناً إلى الشباب ! ودفعوا الشباب نحو الغرق في الشهوات والانشغال بالنساء والفتيات ! مضي الزمن لا يغير الطرق الرئيسية لإفساد الأمم أو بنائها . واليوم أيضاً يفعلون الشيء نفسه .

### الكسل والنزوع إلى الراحة

من أعدى أعداء الإنسان في داخل نفسه هو الكسل والخمول وعدم الانهماك في العمل . ينبغي مقارعة هذا العدو . إذا حارب الشاب هذا العدو واستطاع الانتصار عليه عندها حتى لو هاجم عدو خارجي بلاده سيستطيع الانتصار عليه . إذا استطاع الشاب الانتصار على هذا العدو سينتصر أيضاً على ذلك العدو الذي يروم اغتصاب ونهب كل ثروات الأمة وخيراتها وكيانها . وإلا إذا لم ينتصر الإنسان على كسله واستولى عليه الخمول والتقاعس فسوف

الشباب اعتقد أنه لو جرى تحاشي التشريفات والأمور الزائدة في الزواج - الشائعة بين الناس اليوم للأسف - لأمكن للشباب أن يتزوجوا عند حاجتهم الشبابية للزواج . سن الشباب سن مناسب جداً لتشكيل العائلة . للأسف التقليد الأعمى للثقافة الغربية أوجد في الماضي بعض العادات المغلوطة بين العوائل فحواها أنه يجب تأخير سن الزواج ، والحال أن المسألة ليست كذلك في الإسلام . في الإسلام الأفضل أن يكون سن الزواج أقرب ما يمكن من بداية الشباب .

### الغزو الثقافي

الغزو الثقافي اليوم قضية جادة جداً بالنظر لاستخدام أدوات وتقنيات اتصالية جديدة فيها . ثمة المئات من الوسائل والمنافذ الإعلامية إلى أفكار الشباب والأحداث . إنهم يستخدمون مختلف الأساليب التلفزيونية والإذاعية والكمبيوترية وما إلى ذلك ويحشونها باستمرار بالأفكار والشبهات . مثلاً حينما أراد الأوروبيون استعادة الأندلس من المسلمين عملوا وفق مشروع طويل الأمد . لم يكن الصهاينة

لن يتواجد في أية ساحة يقتضيها الواجب . إذن العدو الأول هو الكسل ونزوع الإنسان إلى الراحة . الذي لا ينهمك في الدراسة ولا في العمل ولا في العبادة ولا في واجباته العائلية والاجتماعية المختلفة ويستسلم للكسل لا يستطيع الادعاء أنه لو هددته عدو خارجي سيستطيع الانتصار عليه .

### الانهزام النفسي

حققت إيران تقدماً بارزاً جداً في قطاعات مهمة للغاية . هذه خطوات ثورية تمثل روح الثورة الإسلامية . أنه الإيمان بالذات الذي منحته الثورة ، والمناخ المنفتح للمواهب الذي أهدته للشعب الإيراني ، ووفرت له إمكانية أن يفكر مرة ثانية ويعيش مشاعر الأمل .

أن نعزف على وتر اليأس ونقول : ( لا يمكن .. لا يسمحون لنا .. ولا فائدة من ذلك ) فهذا سم قاتل لهذه المسيرة . ذات يوم أعدوا هذا السم وألقوه في المياه الثقافية للشعب الإيراني . وذات يوم جاءوا وقالوا بصراحة : ( إننا لا نستطيع ) . في فترة شبابي كان هذا الكلام من الأفكار الشائعة بأن الإيراني لا يستطيع صناعة حتى أبريق من طين . كانت هذه نظرة الساسة ومدراء الأمور

في الجامعات يومذاك . الكثير من الساسة في ذلك العهد كانوا شخصيات جامعية . وأسماءهم معروفة . كانوا يقولون الإيراني لا يستطيع ! كلا ، الإيراني يستطيع . بمقدور الإيراني تحطيم حدود العلم - التي اتسعت اليوم اتساعاً كبيراً وانتشرت في آفاق رحبية جداً - وأن يتقدم إلى الأمام ويطرح حدوداً جديدة .

### آفة الشاب المسلم

الاستكبار لا يرغب في جيل شاب يسعى ويثابر بإرادة وعزيمة راسخة وطهارة وعصمة - سواء الفتيان أو الفتيات - في الخط المستقيم وطريق المعنوية والدين والعالم الإسلامي .

إنهم يريدون جيلاً شاباً فاسداً . هذا ما يرغبون فيه . وعلى الشباب المسلم أن يقاوم إرادة الأعداء . مسؤولو البلدان الإسلامية عليهم أولاً أن يقوّوا قلوبهم بالاعتماد على هذا الجيل الشاب وعلى الشعوب . لا يخاف المسؤولون من أحد أو من شيء ولا يفزعهم ضجيج الأعداء . هذا الخندق الوطني العظيم تحت تصرفهم فليستفيدوا منه بشكل جيد . جميع أبناء الشعب وخصوصاً الشباب ينبغي أن يعرفوا قدر أنفسهم

ويعكفوا على بناء الذات .

### محرارية المعاصي

الفطرة الإنسانية والإلهية السليمة من الذخائر الإلهية . لينتفع الشباب من هذه الفطرة واتخذوا قرارهم حيال الذنوب . البعض يتصورون أن الإنسان غير قادر على المقاومة أمام المعاصي . كلا ، ليس هذا مستحيلاً . إنما يحتاج إلى تمرين . طبعاً الصيام في الإسلام - كفريضة مشرعة - تعدّ تمريناً عاماً للجميع في هذا السبيل . ينحرف الإنسان أحياناً إلى ذنب معين ، ولكن حينما توسوس نفس الإنسان له وتغريه بالذنب فهل يفقد اختياره ؟ وهل لا يوجد أي مفرّ من التخطي في مستنقع المعاصي ؟ في غالبية الأحيان يستطيع الإنسان فرض إرادته واتخاذ قراره لكن الشهوات والوساوس النفسية تحول دون أن يتخذ قراره . في بعض الحالات يقضي الإنسان عمره كله غير قادر على اتخاذ القرار حيال هذه الوساوس ولا يستطيع في فترة الشيخوخة اتخاذ القرار أي إن ذلك سيكون عليه صعباً جداً ، لكن الشاب يستطيع ذلك . البعض يتوهمون أن اجتناب المعاصي شيء خاص

بكبار السن ، والحال أن كبار السن كما تضعف قواهم الجسمية تضعف أيضاً قواهم الروحية . القدرة على اتخاذ القرار والمقاومة والصمود أكبر لدى الشباب .

### سرّ تقدم الشباب الرصيد اللامتناهي

الشباب والأحداث الذين يتعلمون القرآن ليعلموا أنهم إنما يوفرون لأنفسهم رصيلاً للتفكير إلى نهاية أعمارهم . هذا شيء قيم جداً . قد لا يستطيعون في سني الشباب استنباط معان ومعارف عميقة من آيات القرآن الكريم ولا يستطيعون أن يفهموا المعاني بشكل صحيح ، إنما يدركون أشياء سطحية وقليلة من هذه المعارف ، ولكن بمواصلة ارتفاع مستوى معلوماتهم وتقدمهم العلمي سيزداد انتفاعهم من الآيات القرآنية التي يحفظونها . حضور القرآن في ذهن الإنسان وذاكرته نعمة كبيرة جداً . ثمة فرق بين شخص يبحث مرات في الآيات القرآنية وفهّارس القرآن ليرى هل توجد آية حول الموضوع الذي يشغل باله أم لا ، وبين شخص تعيش الآيات في ذهنه وقلبه وأمام عينيه فينظر إليها ويستخرج ويستنبط من القرآن ما يحتاج إليه في كل جانب من جوانب المعارف الإسلامية



ويفكر فيه ويتأمله ويتدبره ويستفيد منه . الاندكاك  
بالقرآن خلال فترة الطفولة والصبا وإلى فترة الشباب  
نعمة كبيرة جداً .

### التوكل على الله

ليتوكل الشباب على الله وليطلبوا منه العون  
وليرسخوا الإيمان الديني في قلوبهم - وهذه النجاحات  
على جانب كبير من الأهمية وهي نجاحات للشباب  
نفسه ونجاحات وطنية عامة - ولا يسمحوا لعوامل اللا  
إيمان أن تنخر إيمانهم كالأرضة وتقضي عليه .

قضية التوكل على الله تعالى والتوجه له هي  
من أجل تقوية وتعزيز بواطنكم وقلوبكم . إذا كانت  
بنيتنا الداخلية والنفسية متينة حقاً فلن تستطيع أية  
مشكلة خارجية التغلب علينا . يجب تقوية القلب  
والباطن بحيث يقدر على الانتصار على جميع  
النواقص والتحديات الظاهرية والجسمانية والبيئية .  
وهذا ما يتحقق بالتوكل على الله تعالى والتوجه إليه .

على الذات وفكرة ( أننا نستطيع ) بين جيلهم . يقول  
العرب : ( أدل دليل على إمكان الشيء وقوعه ) .  
أفضل دليل وبرهان على أن الجيل الإيراني الشاب  
يستطيع التجديد في مضامير التقنية والعلم وتحطيم  
حدود العلم والتقدم إلى الأمام هو أن هذا الشيء أخذ  
بالحصول .

### السعي العلمي

لا يقصّر الشباب أبداً في طريق التحصيل  
العلمي والإضافة إلى قدراتهم العلمية . لا يقنعوا أبداً  
بالشيء الذي أنجزوه وليعتبروه خطوة أولى . الشباب  
أشبه بمتسلقي جبال ينبغي لهم أن يصعدوا إلى القمة .  
أحياناً يتصبّب الإنسان عرقاً في بداية الطريق . ولكن  
يجب أن لا يقنع بالنجاحات الأولية التي يحققها في  
بداية الطريق ، لينظر أين هي القمة . على الشباب أن  
يجدوا ويجهدوا ويصبروا على الصعاب ليستطيعوا  
الوصول إلى القمة .

### الاستفادة من الوقت

ليستفد الشباب والأحداث الأعزاء من الوقت -

### تعزيز روح الاعتماد على الذات

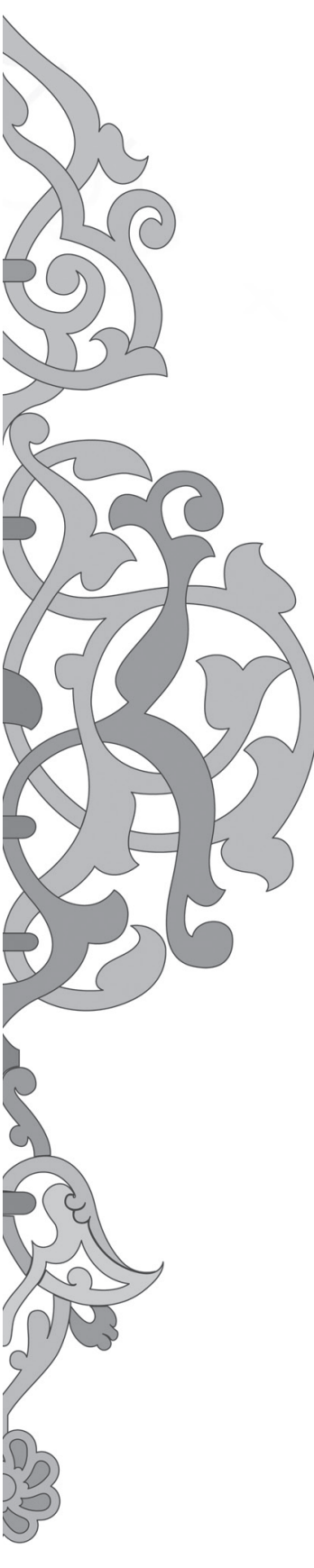
ليعزز الشباب روح البحث والأمل والاعتماد

من الحال - إلى أقصى حدّ ممكن . وطبعاً هذا غير ممكن من دون برمجة . عليهم أن ينظروا ويتدبروا ويضعوا البرامج . والبرمجة ليس لها نموذج عام حتى يقال على الجميع البرمجة بهذا الشكل ، لا ، قد يبرمج كل شخص حسب سنه ووضعه العائلي والحياتي وحسب إمكانياته وحسب المدينة والعائلة التي يعيش فيها . على الجميع أن يبرمجوا ويستفيدوا من أوقاتهم إلى أقصى حد ممكن .









# دَوْرُ المَرْجِعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ العُلْيَا فِي النِّجْفِ الْأَشْرَفِ فِي تَفْعِيلِ الْخَافِزِ الْجِهَادِيِّ لِلْحَشْدِ الشَّعْبِيِّ

❖ عماد علّو الريعي (\*)

---

(\*) باحث وأكاديمي من العراق.



## المقدمة

والانتصارات في محافظة صلاح الدين منذ انطلاق عمليات تحرير المحافظة في ١ / ٣ / ٢٠١٥ ، وكذلك الانتصارات التي تحققت في يبجي في معارك لبيك يا رسول الله الثانية والانتصارات .

الامر الذي عكس حقيقة واضحة اعترف بها القاصي والداني من أن فتوى المرجعية العليا في النجف الاشرف في الجهاد الكفائي التي تشكل على أساسها الحشد الشعبي لعبت دوراً كبيراً في تغيير معادلة التوازن الاستراتيجي لصالح قواتنا العسكرية والأمنية في صراعها وحربها ضد تنظيم داعش الارهابي .

شكلت فتوى المرجعية العليا في النجف الأشرف التي أطلقها سماحة المرجع آية الله السيد علي الحسيني السيستاني في الجهاد الكفائي على لسان سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي ممثل المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف في خطبة الجمعة بتاريخ ١٣ / ٦ / ٢٠١٤<sup>(١)</sup> ، فاصلة تاريخية بين حالتين من النكوص والاستجابة القوية حققت معها القوات المسلحة العراقية والحشد الشعبي انتصارات لا يمكن إلا ان نعتها إنموذجاً للروح الحماسية الجديدة التي سادت المجتمع العراقي جميعاً ، والتي تجلت بوضوح في الانتصارات الكبيرة التي حققها مجاهدو الحشد الشعبي الابطال ، في جرف الصخر وأمرلي

## أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في أن دخول فصائل الحشد الشعبي إلى جانب القوات المسلحة العراقية الجيش والشرطة في المرحلة التي اعقبت أحداث حزيران ٢٠١٤ قلبت معادلة التوازن الاستراتيجي في هذه الحرب لصالح العراق الذي تعرض لعملية اجتياح من قبل تنظيم داعش الارهابي نجم عنه احتلال التنظيم لمساحات شاسعة من الاراضي العراقية بما فيها ثلاث محافظات عراقية . لذلك فقد راينا أنه أن الأوان لتسليط الضوء من خلال قراءة عسكرية على أهمية فتوى الجهاد الكفائي التي صدرت من المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف في تفعيل الحافز الجهادي وتأسيس وصياغة استراتيجية الحشد الشعبي التي حققت انتصارات عسكرية واضحة وملموسة وحررت مساحات كبيرة من الاراضي والمدن العراقية التي استولى عليها التنظيم الارهابي .

## هدف البحث

يستهدف البحث تسليط الضوء وبيان دور المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف في تفعيل

الحافز الجهادي لأبطال ومنتسبي الحشد الشعبي منذ صدور فتوى المرجعية الدينية العليا بالجهاد الكفائي ، وانعكاس وتأثير هذا الدور على أداء أبطال ومنتسبي الحشد الشعبي في معارك الجهاد ضد تنظيم داعش الارهابي .

## منهج البحث

وكان منهجي في هذا البحث إظهار القيم والمعاني السامية والصور الإنسانية الإسلامية الرائعة التي أظهرتها وسلطت الضوء عليها فتوى المرجعية الدينية العليا للجهاد الكفائي ، من خلال منهج تحليلي وقراءة عسكرية تتلمس ملامح العلاقة والتواصل الممتدة بين المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف وبين تشكيلات الحشد الشعبي ، في سطاق تحفيز الدافع الجهادي لدى مقاتلي الحشد الشعبي في جهادهم ضد عصابات التكفير والتطرف ، بلورة استراتيجية استخدام الحشد الشعبي ، حيث وجدت ثمة علاقة في هذه المعاني والابعاد التي كانت ولا زالت المرجعية الدينية الشريفة المحرك الاساسي والحريص على ايقادها والتذكير بها على امتداد التاريخ هذا

وختمت بحثي بخاتمة وضحت فيها ما توصلت اليه من نتائج .

٢ - المبحث الثاني ناقش دور المرجعية العليا في تفعيل الحافز الجهادي للحشد الشعبي .

٣ - المبحث الثالث تناول دور المرجعية الدينية العليا في بلورة استراتيجية الحشد الشعبي قراءة عسكرية .

٤ - الخاتمة .

### هيكليّة البحث

لقد وجدت من المناسب تناول موضوع البحث من خلال مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وكما يلي :

١ - المبحث الأول تناول المرجعية الدينية العليا والجهاد الكفائي الخلفية التاريخية .

## المبحث الأول : المرجعية الدينية العليا والجهاد الكفائي ( الخلفية التاريخية )

وقال ممثل المرجعية الشيخ عبد المهدي الكربلائي خلال خطبة الجمعة بتاريخ ١٣ / ٦ / ٢٠١٤ ، من الحضرة الحسينية المقدسة إن العراق وشعبه يواجه تحدياً كبيراً وخطراً عظيماً ، وان الارهابيين لا يستهدفون السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين بل صرحوا بانهم يستهدفون جميع المحافظات لا سيما بغداد وكربلاء والنجف فهم يستهدفون كل العراقيين ، مشيراً الى ان مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم مسؤولية الجميع ولا تختص بطائفة دون أخرى او طرف دون آخر<sup>(٣)</sup> .

عندما اعلنت المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف وعلى لسان ممثلها في كربلاء سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي بتاريخ ١٣ / ٦ / ٢٠١٤ ، الجهاد الكفائي ، دعت المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح للتطوع في صفوف القوات الامنية للدفاع عن العراق ، فإنها بذلك كانت قد أدركت طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق في الوقت الحاضر التي تقتضي الدفاع عن الوطن واهله واعراضه ومواطنيه وهو واجب كفائي بمعنى ان من يتصدى له وكان فيه الكفاية بحيث يتحقق الغرض وحفظ العراق<sup>(٢)</sup> .



ان اعلان المرجعية الدينية في النجف الاشرف للجهاد الكفائي لم يكن غريباً عن تاريخنا الاسلامي عندما أرسلت الجيوش الإسلامية التي دكت إيوان كسرى وقيصر ، وهو نوع من جهاد الطلب يطلق عليه بالجهاد الكفائي أو الجهاد الذي يؤدّيه جماعة من المسلمين ويسقط عن الباقيين ، ولا يلزم منه أن يخرج جميع المسلمين للجهاد . والجهاد الكفائي غير جهاد الدفع ، الذي يدفع بواسطته المسلم العدوان عن وطنه ، أو حين يتعرّض جزء من الأمة الإسلامية للاحتلال والعدوان فحينئذ يتحول الجهاد من جهاد كفائي إلى جهاد عيني ، حيث يكون الجهاد فرض عين على جميع المسلمين<sup>(٤)</sup> .

ويشير المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين إلى مفهوم جديد للواجب الكفائي بقوله : فالواجبات التي يسمونها كفائية ، هي واجبات عينية ، لكن ليس المكلف فيها هو شخص زيد وعمرو ، بل الأمة بما هي موجود حضاري ومعنوي ، ربما هي مشخصة للشرع الشريف . والفرد الذي ينصب عليه التكليف ، يتوجه إليه الخطاب باعتبار كونه من الأمة لا

باعتبار مشخصاته الذاتية . ومع ذلك ، فالخطاب يتوجه إليه كما لو كان شخصا طبيعيا مشروطا بالشروط العامة للتكليف كالعلم والقدرة والعقل ، ولا منافاة<sup>(٥)</sup> .

والجهاد بمعناه العام ، هو عبارة عن جهد يبذله المؤمنون لإصلاح أوضاع الأمة في مختلف المجالات . لذلك فإن التوجيهات الإسلامية تؤكد أن الجهاد وفق هذا المنظور هو الذي يحول دون فساد الأوضاع ووصول الأشرار والفاستدين إلى السلطة والحكم . فالجهاد حضور وشهود وكفاح ، لتأكيد خيار الإصلاح في الأمة .

وقد جاء في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، والجهاد فرض على جميع المسلمين لقول الله عز وجل ( كتب عليكم القتال ) فإن قامت بالجهاد طائفة من المسلمين وسع سائرهم التخلف عنه ، ما لم يحتج الذين يلون الجهاد إلى المدد ، فإن احتاجوا لزم الجميع أن يمدوا حتى يكتفوا ، قال الله عز وجل ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ وإن دهم أمر يحتاج فيه إلى جماعتهم نفروا كلهم<sup>(٦)</sup> . وبواعت الجهاد ليست الاختلافات الفكرية أو

السياسية أو العقديّة ، وإنما الجهاد جاء لرد الظلم والعدوان . فباعث الجهاد ليس هو الكفر وإنما الظلم والعدوان . إذ قال تعالى ﴿ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٧) .

لذلك فإن الجهاد هو العنوان العريض الذي يجعله الإسلام لكل تلك الأعمال والجهود ، التي تبذل من أجل حشد الطاقات وبلورة القدرات لبناء القوة بالمعنى الحضاري للمجال الإسلامي . . وعليه فإن الجهاد وفق المنظور الإسلامي ، ليس ضد حربة الإنسان بحقائقها وتجلياتها العديدة ، وإنما هو شُرْع من أجل صيانتها وحمايتها من كل حالات الظلم والعدوان .

وعليه فإن مفهوم الجهاد في الرؤية الإسلامية ، لا يعني التشريع للتشدد والعنف ، كما أنه ليس دعوة للقتل والتصفيات الجسدية . وإنما هو مشروع بناء القوة الإسلامية الشاملة ، حتى يتمكن المسلمون من رد الظلم والعدوان ومحاربة المعتدين .

ومن الجدير بالاستذكار أن فتوى المرجعية العليا في النجف الأشرف التي أطلقها سماحة المرجع الأعلى آية الله السيد علي الحسيني السيستاني في الجهاد الكفائي عن العراق والمقدسات ضد التنظيمات التكفيرية المسماة بداعش ، لم تكن هي الأولى من نوعها فقد سبق وأن دعت المرجعية الدينية إلى الجهاد ضد الغزو البريطاني للعراق في ٩ تشرين الثاني ١٩١٤ ، أي قبل مائة عام ، عندما كانت البصرة مهددة بخطر الغزو البريطاني .

فقد وردت برقية من وجوه البصرة إلى علماء الدين في العتبات المقدسة ومختلف المدن العراقية جاء فيها ما نصه : « ثغر البصرة الكفار محيطون به ، الجميع تحت السلاح نخشى على باقي بلاد الإسلام ، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع » . وقد تليت هذه البرقية على الناس في المساجد وأخذ الخطباء والوعاظ يلهبون مشاعر الناس بخطبهم الحماسية معلنين فيها مخاطر خضوع البلاد للمحتلين البريطانيين (٨) .

وفي الوقت نفسه عقد اجتماع في جامع الهندي في النجف حضره العلماء والزعماء وشيوخ العشائر في الفرات الأوسط ، وتكلم خلاله بعض الشيوخ ومنهم مبدر

آل فرعون رئيس عشيرة آل فتلة ومما قاله : ( أن الأتراك إخواننا في الدين وواجب علينا مساعدتهم في طرد الأعداء من البلاد )<sup>(٩)</sup>.

وتنفيذاً لدعوة المرجعية الدينية في النجف الاشرف ، بموجب الدفاع عن البلاد الإسلامية<sup>(١٠)</sup> فقد خرج رجل الدين السيد محمد سعيد الحبوبى يوم ١٥ تشرين الثاني ١٩١٤ من النجف في موكب يصحبه جماعة من أصحابه وبعد نزوله في كثير من المدن والعشائر وصل الناصرية في منتصف كانون الثاني ١٩١٥ . وكان أثناء مكوثه في الناصرية دائب الحركة حيث صار يتجول بين العاشر ويرسل أتباعه من الشباب كباقر الشيببي وعلي الشرقي إلى العشائر البعيدة لحثهم على الانضمام للجهاد كعشائر الغراف ، فاجتمع لديه منهم أعداد كبيرة .

وفي ١٩ شباط ١٩١٥ غادر الحبوبى سوق الشيوخ متوجهاً إلى الشعيبة وتبعته العشائر تحملهم المئات من السفن الشراعية وهي تمخر مياه بحيرة هور الحمار ، ويقدر عددهم بأكثر من ٣٠٠٠٠ من المشاة و١٠٠٠٠ فارس . وقد التحق معهم حوالي ١٥٠٠٠

جندي فتكون من الطرفين الجناح الأيمن للقوات العثمانية في هذه الحرب<sup>(١١)</sup> .

ولم تكن قبائل المنتفك وحدها التي وجه إليها علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف ، أقصى جهودهم في دفعها إلى الحرب المقدسة حيث أن ابن المجتهد الأكبر في النجف محمد كاظم اليزدي وصل العمارة في كانون الثاني ١٩١٥ يدعو عشائرها إلى الجهاد فسرت عدوى تلك الدعوة عن طريق العشائر إلى أهل الحويزة الكائنة في منطقة الشيخ خزعل شيخ المحمرة<sup>(١٢)</sup> . كما خرج من النجف في ١٤ تشرين الثاني ١٩١٤ ركب آخر من المجاهدين برئاسة السيد عبد الرزاق الحلو وتسعة من أتباعه وبعد وصوله إلى السماوة بيومين وردت برقية من الوالي العثماني جاويد باشا حيث طلب منه التوجه إلى البصرة<sup>(١٣)</sup> .

وبعد مغادرة السيد الحلو للسماوة أخذت تتوافد على السماوة قوات من الشامية ودبي صخير والنجف<sup>(١٤)</sup> .

وفي ٢١ كانون الأول ١٩١٤ تحرك إلى ساحة



المعارك السيد نور السيد عزيز وأتباعه وأعقبه مبذر الفرعون ومزهر الفرعون وعبد الكريم الفرعون وجماعة من آل فتلة والسيد علوان الياسري ومعه آل إبراهيم<sup>(١٥)</sup> وأعقبهم محسن أبو طبيخ<sup>(١٦)</sup> ومن معه من آل زياد<sup>(١٧)</sup>. كما وصل السيد هادي المكوثر ومعه عدد غير قليل من المجاهدين ، وقد شكل أهل السماوة الغريون سرية من المجاهدين برئاسة الشيخ بربوتي السلطان<sup>(١٨)</sup>.

واستمر توافد المجاهدين بقيادة الشيخ مهدي الخالصي وابنه الشيخ محمد والسيد محمد اليزدي والشيخ عبد الكريم الجزائري والسيد عيسى كمال الدين وأعقب ذلك عمليات عسكرية نفذتها عشائر بني لام بزعامة الشيخ غضبان البنية وبني طريف بزعامة عوفي بن مهاوي وعاصي بن شرهان وربيع بزعامة عناية بن ماجد والزركان بزعامة قاسم بن علي إلى جانب قوة عثمانية ضد المنشآت النفطية في الأحواز<sup>(١٩)</sup>.

ويبدو أن تأثير فتوى المرجعية الدينية في النجف الاشرف بالجهاد ضد الغزاة البريطانيين والاستجابة لها

كان أوضح بين عشائر الفرات منها لدى عشائر دجلة . وإلى هذا المعنى أشار ويلسون بقوله : ( انتشر الدعاة بين العشائر يهيجون الناس إلى حمل السلاح والمقاتلة في سبيل الدين حيث كانت العشائر الشيعية تأثيرها اكبر )<sup>(٢٠)</sup>.

لقد استجاب أبناء العشائر استجابة حسنة في الابتداء للدعوة إلى الجهاد ، وقد تألفت قوة عشائرية منفصلة تحت قيادة عشائرية عرفت باسم المجاهدين وتشكلت بالدرجة الأولى من عشائر المنتفك والفرات الأوسط .

ومن الجدير بالذكر ان الدعوة للجهاد شجعت العديد من العشائر على مساندة الجيش العثماني والاشتباك مع القوات البريطانية الغازية قبل الهجوم المقابل الواسع النطاق الذي شنه الجيش العثماني ومقاتلو العشائر العراقية لاستعادة البصرة والذي اطلق عليه لاحقا تسمية معركة الشعبية الشهيرة .

فقد اشتبكت قوات من خيالة العشائر العراقية بقيادة الشيخ عجمي السعدون في الجانب الغربي في ٩ شباط ١٩١٥ مع القوات البريطانية عند

النخيلة»<sup>(٢١)</sup> ، علما أن عجمي السعدون كان تحت امرته بحدود ٣٠٠٠ مقاتل<sup>(٢٢)</sup> من العشائر العراقية .

في عام ١٩١٥ وصل إلى بغداد ناظر الحربية العثماني أنور باشا ، وأدرك خطأ التقليل من أهمية حملة العراق .

وفي شهر يناير ١٩١٥ تولى سيلمان عسكري بك قيادة منطقة ولاية البصرة وقيادة فرقته بعد إقصاء القائد جاويد باشا ، استناداً لخطة عسكرية للاستفادة من العشائر وتقليل الاعتماد على القوات النظامية . وقد خطط العسكري بك منذ البداية للاستفادة من القوى العشائرية في العمليات الحربية . ولهذا فقد جرت محاولة ترغيب السكان بصفة عامة والعشائر بصفة خاصة للمساهمة بدعم قواته<sup>(٢٣)</sup> . وكان الدعم العشائري يحتاج إلى تحرك مادي وروحي لكي يكون

أكثر شمولاً واندفاعاً ومستنداً إلى قاعدة محرّكة عامة . وإن كان الجانب المادي متوفراً فإن الجانب الروحي يقضي بإعلان الجهاد<sup>(٢٤)</sup> .

واليوم وبعد مائة عام على دعوة المرجعية الدينية في النجف الأشرف للجهاد ضد الغزو البريطاني ها هي المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف تدعو إلى الجهاد الكفائي مرة أخرى للتصدي لعدوان تنظيم داعش الارهابي ونواياه الوحشية ضد أبناء العراق وتاريخه وحضارته ومقدساته فكان الحشد الشعبي الذي قلب معادلة التوازن الاستراتيجي في هذه المواجهة العسكرية لصالح الشعب العراقي وتمكن من أن يكون ظهيراً « حقيقياً » للجيش العراقي في التصدي لإرهاب داعش الاجرامي .



## المبحث الثاني

### دور المرجعية الدينية العليا في تفعيل الحافز الجهادي للحشد الشعبي

السلح في الحشد الشعبي . ولقد كان لفصائل الحشد الشعبي دور كبير في تغيير معادلة التوازن الاستراتيجي لصالح قواتنا العسكرية والأمنية فدخلها أرض المعركة شكل فاصلة تاريخية بين حالتين من النكوص والاستجابة القوية حققت معها القوات المسلحة العراقية والحشد الشعبي انتصارات لا يمكن إلا ان نعتها إنموذجاً للروح الحماسية الجديدة التي سادت المجتمع العراقي جميعاً ، والتي تجلت بوضوح في الانتصار الكبير الذي تحقق في محافظة صلاح الدين منذ انطلاق عمليات تحرير المحافظة في ١ / ٣ / ٢٠١٥ ، وكذلك في الانتصارات التي تحققت في يبجي في

لا شك أن فتوى المرجعية العليا في النجف الاشرف التي أطلقها سماحة المرجع آية الله السيد علي الحسيني السيستاني في الجهاد الكفائي على لسان ممثلها سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في خطبة الجمعة بتاريخ ١٣ / ٦ / ٢٠١٤ ، جاءت بعد استشعار من المرجعية الدينية العليا لجسامة التهديد والخطر الذي يشكله عدوان عصابات داعش الارهابية على أمن وحياة المواطنين ومقدسات المسلمين في العراق ، الأمر الذي يتطلب حماية العراق ومقدساته ضد عدوان الجهات التكفيرية المسماة بداعش . فتطوع العديد من المواطنين الذين يتمكنون من حمل

معارك لبيك يا رسول الله الثانية .

### المرحلة الأولى : مرحلة التأسيس

ولقد كان للمرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف الدور البارز والرئيس في تفعيل الحافز الجهادي لدى المجاهدين والمتطوعين من ابطال الحشد الشعبي منذ صدور فتوى الجهاد الكفائي ولحد اليوم ، والذي حاولنا في هذا البحث القاء بعض الضوء عليه من خلال دراستنا ومراجعتنا لخطب الجمعة في الصحن الحسيني الشريف لممثلي المرجعية الدينية العليا ، حيث وجدنا أن الجهد والمسعى الشريف الذي بذلته في متابعتها وحثها على تفعيل الحافز الجهادي لدى مجاهدي الحشد الشعبي وبقية منتسبي القوات المسلحة العراقية ، يتوزع على ثلاث مراحل جسدت النظرة الثاقبة والوعي العالي والمتابعة الميدانية للمرجعية في النجف الأشرف لأبعاد المواجهة العسكرية والمعنوية والفكرية والاقتصادية مع العدو التكفيري المتمثل بعصابات داعش الارهابية . لذلك سنحاول الوقوف على هذه المراحل الثلاث التي مرت بها مساعي وجهود المرجعية الدينية العليا في تفعيل الحافز الجهادي للحشد الشعبي .

وتبدأ هذه المرحلة بصور فتوى المرجع الديني الاعلى آية الله السيد علي السيستاني بالجهاد الكفائي ووجوب الدفاع عن العراق وشعبه . حيث أكد سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في خطبة الجمعة بتاريخ ١٣ / ٦ / ٢٠١٤ ، ان ( طبيعة المخاطر المحدثة بالعراق في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن الوطن واهله واعراضه ومواطنيه وهو واجب كفائي بمعنى ان من يتصدى له وكان فيه الكفاية بحيث يتحقق الغرض وحفظ العراق ) . وتابع الشيخ الكربلائي : ( على المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح دفاعا عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم ، التطوع للانخراط في القوات الامنية للغرض المقدس ) ، مبيناً أن ( الكثير من الضباط ابلوا بلاء حسناً في الدفاع والصمود وتقديم التضحيات والمطلوب تكريمهم لينالوا استحقاقهم وليكون حافزا لهم ولغيرهم على اداء الواجب الوطني الملقى على عاتقهم )<sup>(٢٥)</sup> . واعتبار ان من يقتل دفاعا عن العراق شهيدا<sup>(٢٦)</sup> وهو أول حافز جهادي استنفر له العراقيون من كافة أنحاء العراق لمكافحة ومقاتلة



عصابات داعش الارهابية المتطرفة .

ان حافز الاستشهاد في سبيل الله دفاعاً عن الدين والمذهب والمقدسات ، كان الصيغة الأولى للاستدلال على أن فتوى المرجعية العليا في النجف الأشرف في الجهاد الكفائي ؛ تأتي في سياق أهداف ومعاني ثورة الإمام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، لأنها جاءت لمواجهة الانحراف الفكري والعقائدي والسلوكي الذي مثله الفكر التكفيري المتطرف المتمثل بتنظيم داعش الارهابي ، الأمر الذي يؤكد سنداً ودلالةً على جواز الخروج للجهاد الكفائي ضد هذا التنظيم الارهابي لدرء مفسده وانحرافاته وجرائمه عن الإسلام والمسلمين ، وأن من يقتل دفاعاً عن العراق سيكون شهيداً .

لقد جسدت استجابة المواطنين لفتوى المرجعية العليا في النجف الاشرف التي أطلقها سماحة المرجع آية الله السيد علي الحسيني السيستاني في الجهاد الكفائي عن العراق والمقدسات ضد الجهات التكفيرية المسماة بداعش ، تعبيراً عن التزام اتباع اهل البيت بمبادئ ثورة الامام الحسين عليه السلام في كرامة الانسان

وعزة النفس ، حيث قال الامام الحسين عليه السلام ، حين وصل إلى كربلاء ان العدو ركزنا بين اثنين اما القبول بالذل او الموت . . وقال هيهات منا الذلة واختار الموت مع الشهادة ، مع انه في كربلاء تم سلب كرامة وعزة الانسان كما انتشرت هذه الصفة آنذاك ، ولكن الامام الحسين عليه السلام استطاع ايقاف ذلك بنهضته من المدينة المنورة وصولاً إلى كربلاء حيث تجلت في واقعة الطف الخالدة اروع معاني الجهاد من اجل ايقاف الانحراف المتمثل بالحكم الاموي واتباعه وانتصر الدم على السيف في واقعة الطف بأن جرد تحكم بني أمية من كل مشروعية دينية وشرعية شعبية فأصبح حكمهم مدعاة للشك والريبة وعرضة للرفض والتغيير وأصبح الناس معسكرين : معسكر الظالمين والفاسقين الذين يمثلهم بنو أمية ومن يقبل بأفعالهم ، ومعسكر الإصلاح والتغيير والحق الذي يمثله أهل البيت عليهم السلام ومناصروهم ، هذا الفرز الاجتماعي منح الشرعية للثورة على الظالمين وإسقاط مشروعية الحكم القائم وزلزلة مرتكزاته الفكرية يدل على أن ما حصل في كربلاء لم يكن مجرد تمرد فردي أو حدث عابر ، بل هو ثورة عظيمة نجح مفجروها في تحقيق أهدافها

السياسية الآتية التي من أجلها ثاروا تاركين للمستقبل أمر تحقيق أهدافها البعيدة والمتجددة التي ستتضح من خلال تحليل تأثير الثورة في امتدادها الطولي .

وفي سياق تفعيل الحافز الجهادي في المرحلة الاولى لعملية استقبال المتطوعين المجاهدين ، وتنظيم عملية بناء وتأسيس الحشد الشعبي ، أوضح مكتب المرجعية الدينية العليا متمثلة بأية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني بتاريخ ١٧ / ٠٦ / ٢٠١٤ ان هناك اربع نقاط تخص مقولة ان الدفاع واجب كفائي والذي تم الاعلان عنه في خطبة الجمعة بالصحن الحسيني الشريف وهي<sup>(٢٧)</sup> :

١- ان التطوع للدفاع عن البلد والمقدسات في مواجهة الارهابيين انما يكون عبر الاليات الرسمية وبالتنسيق مع السلطات الحكومية .

٢- ان الموظفين وامثالهم يلزمهم مراجعة الجهات الرسمية ذات العلاقة في أمر تطوعهم .

٣- ان تحديد اعداد المطلوب تطوعهم انما يكون من قبل الجهات الرسمية أيضاً .

٤- ان الدفاع وظيفة القادر على حمل السلاح

المدرّب على ذلك المتمكن من القيام بالمهام المطلوبة بصورة صحيحة وليس المطلوب زيادة السواد .

وقد تناول ممثل المرجعية الدينية العليا سماحة السيد أحمد الصافي خطيب وإمام الجمعة في كربلاء المقدسة في خطبته الثانية من صلاة الجمعة والتي أقيمت في الصحن الحسيني الشريف في ٢١ / شعبان / ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٠ / ٦ / ٢٠١٤ م عدة نقاط تتعلق بتدعيم الحافز الجهادي لدى المواطنين كان من بينها ما يلي<sup>(٢٨)</sup> :

١- إن هذه الدعوة كانت موجهة إلى جميع المواطنين من غير اختصاص بطائفة دون أخرى إذ كان الهدف منها هو الاستعداد والتهيؤ لمواجهة الجماعة التكفيرية المسماة بداعش التي أعلنت بكل صراحة ووضوح إنها تستهدف بقية المحافظات العراقية مثل النجف الاشرف وكربلاء المقدسة كما أعلنت بكل صراحة إنها تستهدف كل ما تصل اليه يدها من مراقد الأنبياء والأئمة والصحابة والصالحين فضلا عن معابد غير المسلمين من الكنائس وغيرها . . فهي إذن تستهدف مقدسات جميع العراقيين بلا اختلاف بين

أديانهم ومذاهبهم كما تستهدف بالقتل والتنكيل كل من لا يوافقها في الرأي ولا يخضع لسلطانها حتى من يشترك معها في الدين والمذهب . .

٢- ولم تكن للدعوة إلى التطوع أي منطق طائفي ولا يمكن ان تكون كذلك . . فإن المرجعية الدينية قد برهنت خلال السنوات الماضية وفي اشد الظروف قساوة إنها بعيدة كل البعد عن أي ممارسة طائفية وهي صاحبة المقولة الشهيرة عن أهل السنة لا تقولوا اخواننا بل قولوا أنفسنا ولا يمكن في حال من الأحوال ان تحرّض المرجعية على الاحتراب بين أبناء الشعب الواحد بل هي تحث الجميع على العمل لشد أواصر الألفة والمحبة بينهم وتوحيد كلمتهم في مواجهة التكفيريين الغرباء . .

٣- إن دعوة المرجعية الدينية إنما كانت للانخراط في القوات الأمنية الرسمية وليس لتشكيل ميليشيات مسلحة خارج إطار القانون فإن موقفها المبدئي من ضرورة حصر السلاح بيد الحكومة واضح ومنذ سقوط النظام السابق فلا يتوهم احد إنها تؤيد أي تنظيم مسلح غير مرخص به بموجب القانون .

وفي سياق توجه المرجعية الدينية العليا لوضع الاسس المتينة للحشد الشعبي ، أشار ممثل المرجعية الدينية العليا سماحة السيد أحمد الصافي خطيب وإمام الجمعة في كربلاء المقدسة في خطبته الثانية من صلاة الجمعة والتي أقيمت في الصحن الحسيني الشريف في ٥ / رمضان / ١٤٣٥ هـ الموافق ٤ / ٧ / ٢٠١٤ م<sup>(٢٩)</sup> الى ضرورة تنظيم عملية التطوع وأدراج المتطوعين ضمن تشكيلات الجيش والقوات الرسمية ، وعدم السماح بحمل السلاح بصورة غير قانونية ، وفي هذه المناسبة جدد سماعته الشكر والتقدير للقوات العسكرية والأمنية ، ومن التحق بهم من المتطوعين الذين يخرضون معارك ضارية ضد الإرهابيين الغرباء من أجل الحفاظ على بلدنا وشعبنا بجميع مكوناته وطوائفه . . .

وفي سياق تفعيل الحافز الجهادي لأبطال ومجاهدي الحشد الشعبي ، تطرق ممثل المرجعية الدينية العليا سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي خطيب وإمام الجمعة في كربلاء المقدسة في خطبته الثانية من صلاة الجمعة والتي أقيمت في الصحن الحسيني الشريف في ١٢ / رمضان / ١٤٣٥ هـ الموافق ١١ / ٧ / ٢٠١٤ م<sup>(٣٠)</sup> ، إلى ان الدعوة للتطوع في

صفوف القوات العسكرية والأمنية العراقية إنما كانت لغرض حماية العراقيين من مختلف الطوائف والأعراق وحماية أعراضهم ومقدساتهم من الإرهابيين الغرباء . . كما طلب سماحته في ذات الخطبة من مقاتلي الحشد الشعبي بضرورة الالتزام التام والصارم برعاية حقوق المواطنين جميعاً وعدم التجاوز على أي مواطن بريئ مهما كان انتماءه المذهبي أو العرقي وأياً كان موقفه السياسي . وأكد أيضاً على ضرورة تنظيم عملية التطوع وإدراج المتطوعين في ضمن القوات العسكرية والأمنية العراقية الرسمية وعدم السماح بوجود مجموعات مسلحة خارج الأطر القانونية تحت أي صفة وعنوان<sup>(٣١)</sup> . . ان هذا هو من مسؤولية الحكومة وليس لها ان تتسامح في القيام بها . في اشارة إلى دخول بعض الفصائل المسلحة خارج الأطر القانونية تحت عنوان الحشد الشعبي !

وطالب سماحته في خطبته من المسؤولين من مختلف الدرجات والأصناف الحضور الميداني في تجمعات النازحين ومعسكرات المقاتلين لمعايشة الواقع والإطلاع المباشر على احتياجاتهم والسعي لتلبيتها والإسراع في صرف التخصيصات المالية لهم ولا سيّما

توفير الأدوية والكوادر الطبية للنازحين ودعم القوات المسلحة بالمؤن الغذائية والمستلزمات العسكرية الضرورية وشحن الهمم ورفع المعنويات لمزيد من الصبر والثبات في مكافحة الإرهابيين الغرباء<sup>(٣٢)</sup> .

وبتاريخ ١٩ / رمضان / ١٤٣٥ هـ الموافق ١٨ / ٧ / ٢٠١٤ تحدث ممثل المرجعية الدينية العليا سماحة السيد أحمد الصافي خطيب وإمام الجمعة في كربلاء المقدسة في خطبته الثانية من صلاة الجمعة والتي أقيمت في الصحن الحسيني الشريف عن ضرورة الحذر واخذ الاهبة والاستعداد دائماً ورصد جميع التحركات المريبة وحشد جميع الطاقات ورص الصفوف من اجل حماية جميع المدن وتطهير جميع الأراضي من شرور الإرهابيين بعزيمة قوية وشجاعة عالية وهمّة مستديمة لا تضعف<sup>(٣٣)</sup> .

وطالب ممثل المرجعية الدينية العليا سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي خطيب وإمام الجمعة في كربلاء المقدسة في خطبته الثانية من صلاة الجمعة والتي أقيمت في الصحن الحسيني الشريف في ٢٦ / رمضان / ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٥ / ٧ / ٢٠١٤ م ، بتكثيف الجهود وتعزيز القوات المسلحة للإسراع

باتخاذ الإجراءات الكفيلة بفك الحصار عن المناطق المحاصرة كناحية آمرلي ، كما دعا القوات المسلحة لدعم العشائر التي تقا تل الإرهابيين في المناطق التي تشهد هجمات مستمرة عليها . كما طالب ممثل المرجعية الدينية العليا بتنظيم الجهد لاستثمار اندفاع المتطوعين بالاتجاه الصحيح الذي يحفظ الزخم المعنوي في مساندة القوات المسلحة والتعامل معهم بما يليق بموقفهم البطولي هذا وتوفير التدريب المطلوب لهم والحذر من زجهم في المعارك من دون تهيئتهم بالشكل اللازم لئلا يقدموا تضحيات من دون تحقيق ثمرة من ذلك<sup>(٣٤)</sup> . وهي نقاط مهمة جداً تصب باتجاه ادامة وتفعيل الحافز الجهادي الذي تطوع في سياقه من لبي نداء المرجعية الدينية العليا للجهاد الكفائي ، فالتنظيم والمعنويات والتدريب عناصر مهمة من عناصر صياغة استراتيجية عسكرية جهادية عملت المرجعية الدينية العليا على ترسيخها في سياق عملية تأسيس وبناء الحشد الشعبي .

### المرحلة الثانية : مرحلة توجيه وانضاج المسار

وهذه المرحلة تبدأ مع بداية تسلّم الدكتور حيدر

العبادي رئاسة الوزراء في ١٢ / ٨ / ٢٠١٤ ، والتي تمثلت بحرص المرجعية الدينية العليا على توجيه مسار العمل الجهادي بعيداً عن الانحرافات والممارسات السلبية التي تسيء إلى سمعة وصورة ومعاني الحشد الشعبي ، حفاظاً منها على مشروعية الحافز الجهادي لدى المخلصين والمؤمنين من مجاهدي الحشد الشعبي الابطال . وقد ظهرت وتبلورت هذه المساعي من خلال مطالبة ممثلها سماحة السيد أحمد الصافي خطيب وإمام الجمعة في كربلاء المقدسة في خطبته الثانية من صلاة الجمعة والتي أقيمت في الصحن الحسيني الشريف في ١٨ شوال ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٠١٤ / ٨ / ١٥ من منتسبي الحشد الشعبي الابطال ، بضرورة الالتزام الصارم بالتجنب عن الحاق الاذى بالمواطنين الأبرياء ، مهما كانت توجيهاتهم السياسية وانتماءاتهم الدينية والمذهبية ، كما أكد ممثل المرجعية الدينية العليا ، على ضرورة أن يكون العلم العراقي هو الراية التي يرفعونها في قطعاتهم ووحداتهم ، وليتجنبوا عن استخدام أية صور أو رموز أخرى<sup>(٣٥)</sup> . وهي نقطة مهمة تعزز من وحدة الصف ، وتقطع الطريق على الاعداء من أن ينالوا في اعلامهم



السيد أحمد الصافي خطيب في خطبته الثانية من صلاة الجمعة والتي أقيمت في الصحن الحسيني الشريف الى عدة نقاط مهمة تتعلق بتنفيذ الحافز الجهادي لدى منتسبي الحشد الشعبي الابطال كان من أبرزها<sup>(٣٧)</sup> :

- ١- إن المعركة تتطلب رباطة جأش ، وثبات قدم من قبل أفراد الجيش والقوات الأمنية والحشد الشعبي ، والتحلّي بروح الشجاعة والصبر على مقاتلة المجرمين ، وعدم ترك المواقع مهما كانت الظروف . . بل القتال بقوة وبسالة ، إذ إن المهمة مقدسة ونبيلة ، وهي الدفاع عن العراق العزيز ، وعن العراقيين جميعاً .
- ٢- على الضباط خاصة ومن جميع الأصناف وجميع الرتب ان يكونوا ميدانيين ومع أخوتهم الجنود والمراتب ، يعيشوا معاناتهم ، ويحملوا همومهم ، ويدافعوا معهم ، ويعززوا معنوياتهم ، فمن الواضح ان القائد كلّما كان ميدانياً ؛ كان أقدر على اتخاذ القرار المناسب .

- ٣- على الجهات الحكومية ان تتحمل مسؤولياتها اتجاه متطوعي الحشد الشعبي الذين هبّوا للدفاع عن

الاصفر من سمعة وتوجهات الحشد الشعبي . وهذا الحرص من المرجعية الدينية العليا على سمعة وصورة ومعاني الحشد الشعبي تجسد أيضاً في تأكيد ممثل المرجعية الدينية العليا سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي خطيب وإمام الجمعة في كربلاء المقدسة في خطبته الثانية من صلاة الجمعة والتي أقيمت في الصحن الحسيني الشريف في ٢٥ / شوال / ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٢ / ٨ / ٢٠١٤ م على الادانة الشديدة للمرجعية الدينية العليا لأية ممارسات سلبية ضد المواطنين ، مهما كان انتماءه القومي أو المذهبي أو السياسي . وطالب خطيب في كربلاء المقدسة ، الاجهزة الحكومية المعنية ان تضرب بيد من حديد على أي متجاوز على اموال المواطنين وحقوقهم ولا سيما اذا كان يظهر بلباس الدفاع عن الوطن والمقدسات ، ان التسامح والمساهلة في القضاء على هذه التجاوزات حتى وان كانت محدودة سيتبعها عواقب غير محمودة بل بالغة الخطورة . وقال سماحته : اللهم اني قد بلغت فاشهد<sup>(٣٦)</sup> .

وبتاريخ ١ / ذي الحجة / ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٦ / ٩ / ٢٠١٤ تطرق ممثل المرجعية الدينية العليا سماحة

البلد . . بان توفر لهم ما يحتاجونه من خلال القنوات القانونية الرسمية ، وعدم بخس حق كل من قاتل ويقاتل في سبيل الدفاع عن البلد . .

بالإضافة إلى النقاط الأساسية السابقة المتعلقة بالحافز الجهادي للحشد الشعبي الشيخ عبد المهدي الكربلائي في ٨ ذي الحجة ١٤٣٥ هـ الموافق ٣ / ١٠ / ٢٠١٤ م أمور أساسية مهمة تتعلق بإدامة زخم التطوع وتحديد الاهداف الحيوية الواجب الدفاع عنها وحمايتها في سياق انضاج وتطوير عمل واساليب قتال مجاهدي الحشد الشعبي في مختلف قواطع العمليات ذلك من خلال التأكيد على ما يلي<sup>(٣٨)</sup> :

١- المزيد من الاهتمام واليقظة لتوفير الحماية الكافية للمناطق التي يكلفون بحمايتها ، خصوصاً ما تشتمل على اماكن دينية مقدسة فإنها مستهدفة من قبل الإرهابيين اكثر من غيرها ( كمدينة بلد التي تضم مرقد السيد محمد ابن الامام علي الهادي عليه السلام لأن من الاهداف الخبيثة للإرهابيين هو اثارة الفتنة الطائفية في البلد ، باستهداف مقدسات طائفة لإثارة ابنائها ضد طائفة أخرى ، فلا بدّ من مزيد من الحرص واليقظة . . لعدم

تمكينهم من تحقيق ذلك .

٢- التأكيد على ديمومة زخم التطوع للحضور في ساحات المنازلة مع الارهابيين لها دور مهم في الحفاظ على المكاسب الميدانية التي تحققت ، وتحقيق المزيد منها مستقبلاً ان شاء الله تعالى . ولهذا الغرض لابد ان تبادر الحكومة الى اتخاذ الاجراءات الضرورية لتنظيم عملية التطوع وصرف الرواتب المقررة للمتطوعين ، والاهتمام بتوفير ما يحتاجون اليه من السلاح والعتاد اللازمين للقيام بهذه المهمة .

٣- ان اعتماد الجماعات الارهابية لأسلوب محاصرة بعض وحدات القوات المقاتلة وعزلها عن خطوط الامداد ثم محاولة القضاء عليها ، وأيضاً استخدام هذه الجماعات لأسلوب الاشاعات والايخار الكاذبة في محاولة لبث الذعر والرعب في قلوب المقاتلين ، يتطلب من الجهات ذات العلاقة ان تطور أساليب عملها وتضع آلية مناسبة لتحرك السريع لفتح خطوط الامداد للقطعات العسكرية متى اغلق شيء منها .



## تشكيل الحرس الوطني

وفي ذات الخطبة أوضح ممثل المرجعية الدينية العليا موقف المرجعية من مشروع قانون تشكيل الحرس الوطني ، الذي أثار الكثير من الجدل حول الوضع القانوني للحشد الشعبي في هذا القانون حيث أكد سماحته على النقاط المهمة الواجب ملاحظتها من الناحية العسكرية والتنظيمية التي تتعلق بشكل أو بآخر بالحشد الشعبي وكما يلي<sup>(٣٩)</sup> :

— ضرورة الاستفادة من تجارب وآليات بناء الأجهزة الامنية سابقاً ، ودراسة الاسباب التي ادت الى اخفاقها في اداء مهامها ، وتفادي تكرار الأخطاء الماضية التي ادت الى عدم تمكنها من تنفيذ المهام الموكلة لها بصورة فاعلة وصحيحة .

— الحذر من اعتماد آلية تضفي طابعاً طائفيّاً أو قومياً على بناء الحرس الوطني . . بحيث يتولد شعور لدى المنتسب لهذه القوة بأنه يدافع عن طائفة او قومية معينة وليس عن جميع ابناء المنطقة التي يكلف بحمايتها ، بغض النظر عن انتماءاتهم الطائفية أو القومية .

— اعتماد معايير الكفاءة والمهنية والنزاهة والحس الوطني ونقاء السيرة في الماضي والحاضر ، لاختيار العناصر التي ستمسك بزمام الامور والقيادة لهذا التشكيل الجديد .

— وضع آليات مالية وإدارية حازمة وشفافة تسد الثغرات على المفسدين للنفوذ من خلالها لنهب او هدر المال العام لهذه المؤسسة العسكرية .

— اعطاء الاهتمام الكبير بالبناء المعنوي وترسيخ الشعور بالانتماء الوطني للعناصر التي سيتم انضمامها لهذه المؤسسة ، لكي يكونوا رجالاً يملكون مواصفات الشجاعة والاندفاع والاستبسال في القتال ، دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ، فان احد اهم أسباب النكسة التي حصلت مؤخراً هو فقدان هذا الجانب في العديد من العناصر المنخرطة في القوات الامنية ، ويتأكد أهمية هذا الجانب لدى القادة والامراء للوحدات التي يتشكل منها الحرس الجديد ، فانهم القدوة والمثل الاعلى لبقية المنتسبين بطبيعة الحال .

## تسليح وتجهيز المقاتلين

كانت المرجعية الدينية العليا على وعي كبير بان تفعيل الحافز الجهادي لمجاهدي الحشد الشعبي واستنهاض هممهم القتالية مرتبط بشكل كبير بنوعية الاسلحة والمعدات التي يحتاجونها لهذا الغرض فضلاً عن أن من المسائل المهمة التي تتعلق بالاستراتيجية العسكرية هي موضوعة التسليح والتجهيز للقوات المسلحة بالأسلحة والمعدات العسكرية النوعية والفعالة لمقاتلة الارهابيين حيث أكدت المرجعية الدينية العليا على هذه النقطة على لسان ممثلها في كربلاء المقدسة في خطبته الثانية من صلاة الجمعة والتي أقيمت فط الصحن الحسيني الشريف في ١٥ / ذي الحجة / ١٤٣٥ هـ الموافق ١٠ / ١٠ / ٢٠١٤ م<sup>(٤٠)</sup>. حيث أكد سماحته على ضرورة زيادة الوجود العسكري في أماكن الصراع مع الإرهابيين وتهيئة جميع الإمكانيات والحضور الميداني من قبل القادة المهنيين الكفؤين وبث الروح القتالية والبطولية في نفوس المقاتلين الشجعان . وكذلك ضرورة التجهيز بالعدة العسكرية اللازمة لإدامة المعركة وتوفير المستلزمات

الضرورية من مأكّل ومشرب وسهولة التواصل بين القيادات العسكرية وما يحدث على الأرض كل ذلك من مبادئ الحالة العسكرية الناجحة مؤكداً أيضاً على مسؤولية الحكومة في الدرجة الأساس في توفير مستلزمات النجاح في المعركة مع الإرهاب .

وقد عاد ممثل المرجعية الدينية العليا سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي الى التأكيد مرة أخرى على تنظيم عملية التطوع في صفوف الحشد الشعبي وتطبيق آليات صارمة في اختيار من يسمح لهم بالالتحاق بفصائل الحشد الشعبي والحضور في جبهات القتال ، لاستبعاد العناصر غير المنضبطة التي تسيء بتصرفاتها غير المسؤولة الى سمعة المتطوعين من أبطال الحشد الشعبي . كما أكد سماحته مرة أخرى على ضرورة تقديم الدعم المالي للمتطوعين - الذين لا يملك أكثرهم مصدراً ثابتاً لمعاشه - وتوفير ما يحتاجون اليه من السلاح والعتاد<sup>(٤١)</sup> .

## المرحلة الثالثة : مرحلة الانتصارات

وهي المرحلة التي بدأت بعد انتصارات جرف الصخر في اكتوبر / تشرين الاول ٢٠١٤ ، حيث

والمعنويات العالية ، وحب التضحية والصمود والاستبسال والشجاعة التي اتصف بها المقاتلون ، ومواقف الكثير من المقاتلون الجرحى الذين رفضوا الاخلاء من الجبهات ، بل اصرروا على مواصلة القتال ، واستمرار المشاركة في ساحات المواجهة بالرغم من اصاباتهم - وكذلك اولئك المقاتلين الذين يواصلون الحضور في الجبهات لفترة طويلة ويرفضون الاجازة لزيادة عوائلهم والاطمئنان عليها ، بل همهم هو تحقيق النصر والظفر على الاعداء . وقد طالب ممثل المرجعية الدينية العليا بالاهتمام بعملية مسك الارض والحفاظ على النصر .

### اصلاح المؤسسة العسكرية

وفي اطار الدعوة إلى مراجعة شاملة للمواقف التي كانت لها أبعاد سلبية على البلد ، والمطالبة بمعالجة المشاكل التي تُضعف المؤسسة العسكرية والقضاء على مظاهر الفساد فيها ، أكد ممثل المرجعية الدينية العليا سماحة السيد أحمد الصافي خطيب وإمام الجمعة في كربلاء المقدسة في عدة أمور مهمة هي<sup>(٤٣)</sup> :

شهدت ساحات المواجهة التي يخوضها مقاتلو الجيش العراقي وابطال الحشد الشعبي ، مع المجاميع الارهابية ملاحم بطولية توجت بانتصارات ونجاحات عسكرية مهمة في مناطق مختلفة من البلاد كان يعتقد البعض انها عصية على هؤلاء المقاتلين الابطال ، ولقد كان لفصائل الحشد الشعبي دور كبير في تغيير معادلة التوازن الاستراتيجي لصالح قواتنا العسكرية والأمنية فدخولها أرض المعركة شكل فاصلة تاريخية بين حالتين من النكوص والاستجابة القوية حققت معها القوات المسلحة العراقية والحشد الشعبي انتصارات لا يمكن إلا ان نعتها إنموذجاً للروح الحماسية الجديدة التي سادت المجتمع العراقي جميعاً ، والتي تجلت بوضوح أيضاً في الانتصار الكبير الذي تحقق في محافظة صلاح الدين منذ انطلاق عمليات تحرير المحافظة في ١ / ٣ / ٢٠١٥ ، وكذلك في الانتصارات التي تحققت في بيجي في معارك لبيك يا سول الله الثانية وفي عمليات تحرير محافظة الانبار لاحقاً .

وقد ثمنت وقدرت عالياً المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف هذه الانتصارات على لسان ممثلها<sup>(٤٢)</sup> ، مشيراً إلى الارادة الوطنية الصلبة ،

١- ان التجربة السابقة خلال السنوات الماضية قد اثبتت ان الاختلافات السياسية بالشكل الذي كان فيه الاختلاف قد اضرت البلد كثيراً وأخرته ، ولم يتقدم في مجالات شتى ومن جملتها المجال العسكري والامني . .

٢- ان بعض المفاصل العسكرية والأمنية لم تُبن بطريقة مهنية وعلمية خلال الفترة السابقة بسبب الخلافات السياسية من جهة والصور او التقصير من جهة أخرى ، وقد تكون هناك أسباب أخرى تتعدى الحالات المذكورة ، ومن أهم تلك الأسباب هو نقشي الفساد المالي والاداري في بعض مفاصل هذه المؤسسة ، مما فتح وفسح مجالاً واسعاً لإضعافها ، على أهميتها . .

٣- ان الموضوعية تقتضي ان يتسنى المواقع العسكرية المختلفة من يكون مهنيّاً ووطنياً ومخلصاً وحازماً وشجاعاً ، لا يتأثر في اداء واجبه بالموثرات الشخصية والمادية . .

وفي سياق محاربة الفساد في المؤسسات الامنية دعا ممثل المرجعية الدينية العليا الشيخ عبد

المهدي الكربلائي خلال الخطبة الثانية لصلاة الجمعة اليوم ١٦ / ربيع الثاني . ١٤٣٦ هـ الموافق ٦ / ٢ / ٢٠١٥ م إلى ضرورة اتخاذ اجراءات رادعة للقضاء على ظاهرة المقاتلين الوهميين أي الذين لا يتواجدون في مواقع القتال من القوات الامنية أو غيرهم ولكنهم مسجلون في قوائم الرواتب الشهرية فتصرف لذلك مبالغ كبيرة تذهب الى جيوب الفاسدين ، اضافة إلى ما يستتبعه من إنهاك القوات المتواجدة فعلا وتحميلها اكثر من طاقتها العسكرية والقتالية والذي يؤدي إلى خسائر عسكرية ميدانية<sup>(٤٤)</sup> .

### نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد

وبتاريخ ٢٣ شباط ٢٠١٥ اصدار مكتب سماحة اليد علي السيستاني دام ظله وفي سياق تفعيل الحافز الجهادي للمجاهدين في الحشد الشعبي عددا من النصائح والتوجيهات التي وضحها سماحة السيد احمد الصافي خلال خطبة صلاة الجمعة التي اقيمت في الصحن الحسيني الشريف بتاريخ ٢٣ / ربيع الآخر / ١٤٣٦ هـ<sup>(٤٥)</sup> وتضمنت توضيحاً لأداب الجهاد التي لا بدّ من مراعاتها حتى مع غير المسلمين ، والتي كان

النبي ﷺ يوصي بها أصحابه قبل أن يبعثهم إلى القتال بقوله ﷺ: لا تغلوا، ولا تمثّلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبيّاً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطّروا إليها<sup>(٤٦)</sup>.

وطلب المرجع الديني الاعلى المجاهدين في الحشد الشعبي بعدم التعرض أو قتل النفوس البريئة وما أعظم الحسنة بوقايتها وإحيائها، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه . . وأن يأخذوا حذرهم إذا ما وجدوا حالة مشتبّهة يخشون فيها المكيدة بهم، « فقدّموا التحذير بالقول أو بالرمي الذي لا يصيب الهدف أو لا يؤدّي إلى الهلاك، معذرةً إلى ربّكم واحتياطاً على النفوس البريئة ». وأشار سماحته دام ظلّه الى الحذر والابتعاد عن اتهام الناس في دينهم نكاية بهم واستباحة لحرّماتهم، كما وقع فيه الخوارج في العصر الأوّل وتبعه في هذا العصر قوم من غير أهل الفقه في الدين، تأثراً بمزاجياتهم وأهوائهم وبزروه ببعض النصوص التي تشابهت عليهم، فعظم ابتلاء المسلمين بهم.

كما نصّح المجاهدين في الحشد الشعبي بعدم

التعرّض لغير المسلمين أيّاً كان دينه ومذهبه فإنّهم في كنف المسلمين وأمانهم، فمن تعرّض لحرّماتهم كان خائناً غادراً، وإنّ الخيانة والغدر لهي أقبح الأفعال في قضاء الفطرة ودين الله سبحانه<sup>(٤٧)</sup>. كما أكدت نصائح السيد السيستاني دام ظلّه على حرمة الاستيلاء على أموال من حاربه إلا ما وجد معهم وفي عسكرهم، كما نهى السيد السيد السيستاني دام ظلّه عن التمثيل بجثث الاعداء. وأوضح سماحته للمجاهدين « أن أكثر من يقاتلكم إنّما وقع في الشبهة بتضليل آخرين، فلا تعينوا هؤلاء المضلّين بما يوجب قوة الشبهة في أذهان الناس حتّى ينقلبوا أنصاراً لهم، بل ادرووها بحسن تصرّفكم ونصحكم واخذكم بالعدل والصفح في موضعه، وتجنب الظلم والإساءة والعدوان، فإنّ من درأ شبهة عن ذهن امرئ فكأنّه أحياه، ومن وقع امرئ في شبهة من غير عذر فكأنّه قتله<sup>(٤٨)</sup>.

كما نبّه سماحته المجاهدين من أبطال الحشد الشعبي بأن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم ولا يجتمعوا للصلاة جميعاً بل يتناوبون فيها حيطةً لهم. واستطرد ناصحاً لهم بقوله « وإياكم والتسرّع في مواقع الحذر فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة، فإنّ أكثر ما يراهن عليه



عدوكم هو استرسالكم في مواقع الحذر بغير تروٍّ  
واندفاعكم من غير تحوُّط ومهنيّة ، واهتموا بتنظيم  
صفوفكم والتنسيق بين خطواتكم ، ولا تتعجلوا في  
خطوة قبل إنضاجها وإحكامها وتوفير ادواتها  
ومقتضياتها وضمان الثبات عليها والتمسك بنتائجها .  
وطلب من المجاهدين اطفاء الفتنة التي يحاول داعش  
بثها في المجتمع العراقي .



## المبحث الثالث : دور المرجعية الدينية العليا في بلورة استراتيجية الحشد الشعبي ( قراءة عسكرية )

التكنولوجيا المتقدمة . . وسبل حديثة لحشد الدعم المعنوي والشعبي . . ويُقصد بالتكنولوجيا المقدمة الأسلحة المتطورة ، والتي استخدمت ضمن تكتيكات حرب العصابات ، مثل الصواريخ المضادة للدروع والطائرات ، والعمليات الانتحارية ، ونصب الكمائن ، والأعمال الإرهابية ومهاجمة مدنيين أو هجمات انتحارية والتصرف الإجرامي في مجال أرض المعركة واستخدام تكتيكات مثل الطعن والحرق والسيارات المفخخة . . والتزييف الاعلامي وكيفية استخدام المخدرات واستخدام السموم والمواد المؤثرة على

### أثر الحشد الشعبي على مسار الحرب ضد الارهاب

تعتبر الحرب ضد الارهاب التي تجري في العراق منذ ظهور تنظيم الدولة الاسلامية داعش الارهابي التي تخوضها القوات المسلحة العراقية وفصائل الحشد الشعبي وابناء العشائر واحدة من الحروب الهجينة Hybrid war ، حيث تعتمد المواجهات على كيانات صغيرة تم تدريبها كل في حدود اهدافه . . ويستخدم فيها من تم تجنيدهم

مساحات كبيرة من الاراضي والمدن العراقية التي استولى عليها التنظيم الارهابي .

### تشكيل الحشد الشعبي

بتاريخ ١٣ / ٦ / ٢٠١٤ دعت المرجعية الدينية في النجف الاشرف ، المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح للتطوع في صفوف القوات الامنية للدفاع عن العراق ودعت القيادة السياسية انها امام مسؤولية تاريخية وشرعية وعليها ترك الاختلافات والتناحر وتوحيد موقفها ، فتطوع العديد من المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح في الحشد الشعبي الذي ضم في تشكيلاته بالإضافة إلى المتطوعين فصائل مسلحة تابعة لبعض الاحزاب الاسلامية المنضوية ضمن العملية السياسية . ولقد كان لفصائل الحشد الشعبي دور كبير في تغيير معادلة التوازن الاستراتيجي لصالح قواتنا العسكرية والأمنية فدخلها أرض المعركة شكل فاصلة تاريخية بين حالتين من النكوص والاستجابة القوية حققت معها القوات المسلحة العراقية والحشد الشعبي انتصارات لا يمكن إلا ان نعدّها إنموذجاً للروح الحماسية الجديدة التي سادت المجتمع

الطبيعة البشرية . من أجل تحقق الأهداف ولاستنزاف وإرهاق الخصوم لإرغامهم علي الانسحاب . . الامر الذي عجزت فيه القوات المسلحة العراقية النظامية لوحدها عن التصدي له والإطاحة بقوات تنظيم داعش الارهابي المعادية ، والتي تخوض بأفكار تكفيرية متطرفة مبتكرة هي خليط من مفاهيم الحرب النظامية وأساليب حرب العصابات المتطورة ، وتستخدم فيها أساليب قتالية واعلامية ونفسية وتكنولوجيات عسكرية لا تخضع لشكل معين أو قواعد ثابتة بداية من القيادة وانتهاء بالعمليات العسكرية الجارية خلالها .

الا أن دخول فصائل الحشد الشعبي إلى جانب القوات المسلحة العراقية الجيش والشرطة في المرحلة التي اعقبت احداث حزيران ٢٠١٤ قلب معادلة التوازن الاستراتيجي في هذه الحرب لصالح العراق الذي تعرض لعملية اجتياح من قبل تنظيم داعش الارهابي نجم عنه احتلال التنظيم لمساحات شاسعة من الاراضي العراقية بما فيها ثلاث محافظات عراقية . لذلك فقد راينا أنه أن الأوان لتسليط الضوء من خلال قراءة عسكرية على استراتيجية الحشد الشعبي التي حققت انتصارات عسكرية واضحة وملموسة وحررت

منتسبها لا تخضع إلى قوانين النظام العسكري المتبع في القوات المسلحة العراقية النظامية الجيش والشرطة. حيث أن تعريف القوات الغير نظامية مفهوم واسع ينضوي تحته أنواع مختلفة من القوات ، التي تمتاز بعدم خضوعها للتدريب العسكري الأكاديمي في الكلية أو المعاهد أو مراكز التدريب الحربية ، وهي ليست على درجة عالية من التنظيم الذي يميز الجيوش النظامية الحديثة ، ويشمل مفهوم القوات غير النظامية : الفدائيون ، الميليشيات الحزبية ، المرتزقة ، العصابات ، القوات شبه العسكرية .

### معاصل الحشد الشعبي

وبحسب ما ورد في عدد من خطب الجمعة لممثل المرجعية الدينية العليا والتي أقيمت في الصحن الحسيني الشريف ، فان تشكيلات الحشد الشعبي تواجه عددا من المعاضل والصعوبات التي تعيق عمل واداء الحشد الشعبي ، ومن ابرز هذه المعاضل والصعوبات ما يلي :

١- ضعف وعدم انتظام عملية التطوع وأدراج المتطوعين ضمن تشكيلات الجيش والقوات المسلحة

العراقي جميعاً ، والتي تجلت بوضوح في الانتصار الكبير الذي تحقق في محافظة صلاح الدين منذ انطلاق عمليات تحرير المحافظة في ١ / ٣ / ٢٠١٥ ، وكذلك في الانتصارات التي تحققت في بيجي في معارك لبيك يا رسول الله الثانية<sup>(٤٩)</sup> . حيث تتوزع قوات الحشد الشعبي في عدد من قواطع العمليات ، تشمل قواطع عمليات مدينة الفلوجة . ومدينة الرمادي التي يغلب عليها الجيش والشرطة العراقية ، و عملية لبيك يا رسول الله الثانية التي انطلقت في ١٢ / ١٠ / ٢٠١٥ ، مناطق الصينية ، وأبو جواري ، وشمال بيجي ، ومصفى بيجي مصفى الصمود ، ضمن قاطع محافظة صلاح الدين ، وتسعى عملية لبيك يا رسول الله الثانية لتحرير كافة مناطق محافظة صلاح الدين بما فيها الشرقاط<sup>(٥٠)</sup> ، وفي ١٤ / ١٠ / ٢٠١٥ ، سيطرت قوات الحشد الشعبي ، والقوات المسلحة العراقية ، بمعية العشائر المنتفضة في تلك المناطق ، على قضاء بيجي بالكامل ، وبلدة الصينية ، وغيرها من المناطق المجاورة .

ويعتبر الحشد الشعبي وفق الادبيات والمفاهيم العسكرية قوات عسكرية غير نظامية كون تشكيلاته أو

الرسمية<sup>(٥١)</sup> ، مما افرز الكثير من المعوقات اللوجستية أعاقت تطوع المواطنين .

٢- أشارت المرجعية الدينية العليا في أكثر من خطبة إلى عدم السماح بوجود مجموعات مسلحة خارج الأطر القانونية تحت أي صفة أو عنوان<sup>(٥٢)</sup> . . وان هذه مسؤولية الحكومة وليس لها ان تتسامح في القيام بها . في اشارة إلى دخول بعض الفصائل المسلحة خارج الأطر القانونية تحت عنوان الحشد الشعبي ! وهو أمر اتاح فرصة بحمل السلاح بصورة غير قانونية ، اساءت لسمعة وصورة الحشد الشعبي على الصعيد الاعلامي .

٣- تعدد الفصائل المسلحة التي انضوت تحت عنوان الحشد الشعبي ورفعها لرايات وأعلام تنظيمااتها وفصائلها العسكرية والسياسية عكس صبغة طائفية احادية الجانب على مفهوم الحشد الشعبي الذي ارادته المرجعية الدينية العليا ، لذلك أكدت المرجعية الدينية العليا في أكثر من خطبة ، على ضرورة أن يكون العلم العراقي هو الراية التي يرفعونها في قطعاتهم ووحداتهم ، وليتجنبوا استخدام أية صور او رموز

أخرى<sup>(٥٣)</sup> .

وهي نقطة مهمة تعزز من وحدة الصف ، وتقطع الطريق على الاعداء من أن ينالوا في اعلامهم الاصفر من سمعة وتوجيهات الحشد الشعبي .

٤- استمرار معاضل الدعم اللوجستي لمجاهدي الحشد الشعبي الذين هبوا للدفاع عن البلد ، حيث لا يزال هناك تلكؤ في دفع مستحقاتهم المالية وايصال المؤن والارزاق والعتاد والاخلاء الطبي ، وتوفير ما يحتاجونه من خلال القنوات القانونية الرسمية ، مما يؤثر بشكل واضح على زخم تفعيل الحافز الجهادي لديهم .

٥- تعدد الفصائل المسلحة التي انضوت تحت عنوان الحشد الشعبي باختلاف مرجعياتها السياسية والفكرية ومصادر تمويلها ، أوجد معاضل وصعوبات في وحدة القيادة والتنسيق ومرونة المناورة بالقطعات وحشد الطاقات والموارد ، ليس فقط بين قيادات وتشكيلات تلك الفصائل بل أيضاً بينها وبين الجهات الحكومية والقيادات العسكرية الرسمية في اطار الحرب ضد عصابات داعش الارهابية .

٦- عدم تنظيم التطوع وتعدد الفصائل المسلحة  
اتاح الفرصة لبعض العناصر المندسة وغير المنضبطة  
وعناصر الجريمة المنظمة باستغلال عنوان الحشد  
الشعبي للإساءة للمواطنين والاعتداء على ممتلكاتهم  
وارتكاب جرائم مختلفة اساءت لسمعة واهداف ورسالة  
الحشد الشعبي<sup>(٥٤)</sup>.

### سياقات غير تقليدية

رغم كل المعاضل والصعوبات التي واجهت  
تأسيس وتشكيل وبناء الحشد الشعبي ، الا ان  
المجاهدين المخلصين الذين لبوا نداء المرجعية الدينية  
العليا في النجف الاشرف بالجهاد الكفائي والتزموا  
بتوجيهاتها السديدة فيما يخص انضاج وتطوير وترسيخ  
هذه التجربة الجهادية الفريدة تمكنوا من تحقيق  
انتصارات كبيرة وباهرة على عصابات داعش الارهابية .  
ان السياقات غير التقليدية التي اتبعتها قيادات  
وتشكيلات الحشد الشعبي مسترشدة بتوجيهات  
المرجعية الدينية العليا ، مكنتها من أن تواجه خصماً  
عنيداً شرساً في تشكيلات عسكرية أو شبه عسكرية  
غير نظامية دون تدريب عسكري نظامي ، خاض فيها

المقاتلون قتالاً شرساً ، في حرب غير تقليدية من أجل  
تفويض سيطرته على الاراضي والمدن التي اغتصبها  
منذ حزيران ٢٠١٤ ، فتمكنت من إضعاف إرادته  
القتالية واحتوت زخم تقدمه وقدرته التعرضية . ان  
استراتيجية استخدام تشكيلات الحشد الشعبي تميزت  
باختلافها عن استراتيجية الحرب التقليدية ، حيث  
اختلف الأسلوب القتالي في إدارة المعارك لدى قيادات  
الحشد الشعبي عن القوات المسلحة النظامية وبذلك  
تغيرت النتائج التي شكلت مع الوقت صعوبة كبيرة على  
تنظيم داعش الارهابي في مواجهة مائتي الحشد  
الشعبي الذين اتبعوا استراتيجية غير مألوفا في نشر  
تشكيلات الحشد الشعبي وتنظيمها ، كذلك في  
اسلوب تسليح وتجهيز هذه التشكيلات بأسلحة تتلاءم  
وتتناسب مع طبيعة المعركة وأساليب قتال العدو تنظيم  
داعش في ميادين المواجهة . كما تميزت استراتيجية  
استخدام تشكيلات الحشد الشعبي عن اسلوب  
استخدام القطعات العسكرية النظامية في الجوانب  
المتعلقة بالتخطيط العسكري واسلوب تقييم النتائج  
اسلوب اختيارها لمناطق وجبهات خاصة للمواجهة  
والاشتباك مع تنظيم داعش الارهابي<sup>(٥٥)</sup>.



لقد تمكن الحشد الشعبي من تحديد واختيار نوعيات معينة من الاسلحة والمعدات العسكرية من صواريخ ورشاشات متوسطة وثقيلة ومضادات المدرعات والصواريخ الموجهة والصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى والأسلحة المناسبة لمعادلة ميزة استخدام العجلات المفخخة والانتحاريين ودقة التصويب التي تمتع بها تنظيم داعش الارهابي . كما تميزت استراتيجية استخدام الحشد الشعبي بتركيز قياداته ومقاتليه على معرفة طبيعة الأرض التي تجري عليها العمليات ومسالكها ودروبها ، باعتبار أن ذلك يمثل الأساس في عمليات الحرب ضد التنظيم الارهابي الذي اعتمد أساليب حرب العصابات وعمليات حرب المدن وإعداد الكمائن واستهداف مواقع إستراتيجية مؤثرة . لذلك لمسنا خلال الفترة المنصرمة تركيزاً على الاشتباكات الصغيرة وعمليات التمويه والكر والفر والاستفادة من كل أشكال القتال المشروعة لاستنزاف وإرهاق الخصم لإرغامه على الانسحاب من أراض محتلة واستخدام وسائل قد تكون بدائية مع وسائل أكثر تطوراً حسب الحاجة مع تطور طبيعة الصراع لتأخذ أشكالاً أكثر تعقيداً لتلبية للتطور الحاصل في المعدات

والاسلحة والوسائل التكنولوجية والمعلوماتية التي أوجدت مجالات جديدة للمواجهة لتحقيق أهدافها ، إلى جانب وسائل المخابرة والاتصالات الحديثة ، واستخدام الطائرات والآليات المسيرة عن بعد لرصد تحركات عصابات داعش ومعالجة العبوات الناسفة والالغام التي حاولوا اعاققة تقدم ابطال الحشد الشعبي باتجاه تحرير ما اغتصبه داعش من اراض وبلدات ومدن عراقية .

ولا ننسى الدور الذي لعبته توجيهات ومتابعات ونصائح<sup>(٥٦)</sup> المرجعية الدينية العليا في تفعيل الحافز الجهادي واستنهاض روح الحماس والمعنويات لدى مقاتلي الحشد الشعبي الذي عكس ارادة صلبة للقتال ورغبة في الشهادة من أجل القيم والمبادئ التي استشهد من أجلها الأئمة الاطهار وخاصة الامام الحسين عليه السلام ، حيث نلاحظ ان المقاتل في الحشد الشعبي يهتل في أرض المعركة بأسماء : الائمة علي والحسين والعباس وصاحب الزمان والسيدة الزهراء وغيرها من الرموز التي تعطي المقاتل طاقة هائلة على القتال ببسالة وشجاعة<sup>(٥٧)</sup> .



## مميزات استراتيجية الحشد الشعبي

من خلال وقوفنا على خطب وتوجيهات ونصائح المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف المتعلقة بفتوى الجهاد الكفائي وتشكيل الحشد الشعبي ، واستناداً لنتائج المعارك والعمليات التي خاضتها تشكيلات الحشد الشعبي فإن تلك العمليات تعتبر مزاجية بين مفهوم العمليات السائدة في الحروب النظامية للجيش التقليدية وبين مفهوم الحرب الشعبية وحرب العصابات أو بمعنى أكثر وضوحاً يمكن القول إن استراتيجية استخدام الحشد الشعبي إلى جانب وبالتنسيق والتخطيط المشترك والتعاون مع القوات المسلحة العراقية النظامية ، كسرت مفهوم التفوق التقليدي من خلال مناهج وأساليب مختلفة عما كان متبعاً في القوات المسلحة النظامية ، وادخلت بعداً جديداً على مفهوم حروب الجيل الخامس GW ٥ - Fifth Generation Warfare المعتمدة على قوة الكيانات الصغيرة المدربة والتشكيلات العصابية والجماعات الإرهابية ذات التسليح المتطور . فكان دخول الحشد الشعبي إلى ساحة المعركة ضد التنظيم

الإرهابي داعش عنصراً جديداً غير معادلة الصراع لصالح الدولة العراقية .

خلاصة القول أن الاستراتيجية العسكرية للحشد الشعبي تميزت بما يلي<sup>(٥٨)</sup> :

١- كان لثورة الإمام الحسين عليه السلام أثرها الواضح في الحافز الجهادي للحشد الشعبي ، انعكس في الاندفاع والحماسة وحب الاستشهاد في سبيل الذود عن مقدسات وحمى الوطن واعلاء شأن مبادئ وقيم الثورة الحسينية .

٢- المرونة العالية في القتال والسرعة في الانتشار والمواجهة وتغيير الخطط حسب الحاجة وحسب تطورات القتال في الميدان .

٣- تكييف القيادة مع نوعية العمليات وأساليب القتال التي يتبعها التنظيم الإرهابي واتخاذ تدابير وقائية فورية بدون اللجوء للتسلسل العملياتي في القيادة .

٤- اعتماد مفهوم ساحة الحرب المفتوحة دون الاعتماد على خطوط ثابتة وخنادق وتحصينات ضخمة ومراكز تحشد خلفية .

الشعبي .

٩- توسع الحشد الشعبي في استخدام المنظومات الصاروخية والراجمات الخفيفة خاصة وأن لها عدة مميزات تعبوية منها الدقة وكثافة النيران والقوة التدميرية تجعلها أسلحة مناسبة وفاعلة ضمن أسلوب القتال ضد تنظيم داعش الإرهابي .

### الخاتمة

بعد الاستشعار من المرجعية بتهديد أمن وحياء المواطنين ومقدسات المسلمين في العراق جاءت فتوى المرجعية العليا في النجف الأشرف التي أطلقها سماحة المرجع آية الله السيد علي الحسيني السيستاني في الجهاد الكفائي عن العراق والمقدسات ضد الجهات التكفيرية المسماة بداعش ، بوجوب الدفاع عن العراق وشعبه واعتبر ان من يقتل دفاعاً عن العراق شهيداً . فتطوع العديد من المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح في الحشد الشعبي الذي كان لتشكيلاته وفصائله دور كبير في تغيير معادلة التوازن الاستراتيجي لصالح قواتنا العسكرية والأمنية فدخولها أرض المعركة شكل فاصلة تاريخية بين حالتين من

٥- استثمار النجاح الحاصل من عمليات الإغارة والضربات المفاجئة واستغلال نقاط ضعف التنظيم الارهابي لصالح المجهود الرئيسي نحو الهدف المحدد .

٦- اختيار الأماكن والأوقات المناسبة لمواجهة التنظيم الارهابي ، ومهاجمته في أسوأ حالاته إلى جانب الاستفادة من طبيعة الأرض في كل الحالات .

٧- الاعتماد على القدرات الذاتية المحلية في تخزين الذخائر ومواد الإعاشة ومواد تموين القتال للقوات مكنت الحشد الشعبي من تفادي الوقوع في فخ صعوبة الإمداد اللوجستي الذي طالما عانت منه القوات العسكرية النظامية .

٨- اعتماد مفهوم النوعية في اختيار نوعية التسليح والتجهيز لتشكيلات الحشد الشعبي وبالأخص بالنسبة للسلاح الثقيل بدلاً من الكمية وعدم إقحامه في تشكيلات كبرى ثقيلة الحركة تكون عبئاً عند المواجهات الحاسمة والاستعاضة عنه بوحدات سريعة مضادة للمدركات لصد العجلات المفخخة الانتحارية ومعالجتها قبل وصولها الى الحافة الامامية لقطعات الحشد

المعنوي والشعبي . كذلك التفكير المرن في استخدام تشكيلات الحشد الشعبي لمزيج من الأسلحة التقليدية والتكتيكات غير النظامية في مجال أرض المعركة بمجمله الداخلي والخارجي من أجل تحقيق النصر وحرر تنظيم داعش الارهابي . . ان تطوير التعاون والتنسيق بين قيادات وتشكيلات الحشد الشعبي والقوات المسلحة العراقية النظامية ، يعتبر صورة من صور الحروب غير التقليدية ضد الارهاب التي تسمى « الحرب الهجينة » اثبت فيها المقاتل العراقي قدرة عالية على مواجهة والتكيف مع مختلف ارهاصات وضغوطات الحرب الحديثة التي يستخدم فيها كما هائلا من مختلف أنواع الأسلحة .

النكوص والاستجابة القوية حققت معها القوات المسلحة العراقية والحشد الشعبي انتصارات لا يمكن إلا ان نعتها إنموذجاً للروح الحماسية الجديدة التي سادت المجتمع العراقي جميعاً ، ومع تطور طبيعة الصراع العسكري ضد تنظيم داعش الارهابي في العراق والذي أخذ أشكالا أكثر تعقيداً مما كان عليه ، ودخول أسلحة ومعدات وتجهيزات عسكرية متطورة إلى جانب مشاركة جيوش وقوات جوية ووسائل استطلاع وتحسس متطورة متمثلة بقوات التحالف الدولي بالإضافة الى قوات روسيا وايران ، فان على قيادات الحشد الشعبي وتشكيلاته التركيز أكثر على الاستفادة واستخدام تكنولوجيا المعلوماتية في الصراع والمواجهة مع التنظيم الارهابي داعش ، لحشد الدعم



## المصادر

١. القرآن الكريم .
٢. أحمد الحسني ، الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري ، النجف ١٩٦٤ .
٣. أحمد كامل أبو طيب ، السيد محسن أبو طيب سيرة وتاريخ ، ط ١ ، مطبعة الزمان ، بغداد ١٩٩٩ .
٤. ارنلد . تي . ويلسون ، بلاد ما بين النهرين بين ولأئين ، ج ١ ، ترجمة فؤاد جميل ، ط ١ ، بغداد ١٩٦٩ .
٥. حسن الأسدي ، ثورة النجف ، دار الحرية ، بغداد ١٩٧٥ .
٦. حسين خلف الشيخ خزعل ، تاريخ الكويت السياسي ، ج ٢ ، بيروت ١٩٦٨ .
٧. علي نعمة الحلو ، « من نضال شعب الأحواز ٦٣٨ . ١٩٢٥ » ، أفاق عربية ، العدد ٨ ، نيسان ١٩٨١ .
٨. خضير طاهر ، في سيكولوجية الحرب بين الحشد الشعبي والدواعش ، <http://www.sotaliraq.com/mobile.item.php>
٩. خطب الجمعة لممثل المرجعية الدينية العليا على الموقع الإلكتروني <http://www.almurtadha.news.php?nid=٤٠٧>
١٠. خطبة الجمعة للشيخ عبد المهدي الكربلائي من الصحن الحسيني الشريف بتاريخ ١٣ / ٦ / ٢٠١٤ ، <http://alhussain.sch.org/forum/showthread.php>
١١. د. عماد علو ، العراق الحرب الهجينة ، قراءة عسكرية في استراتيجية الحشد الشعبي ، منشورات المركز العربي الاوربي لدراسات مكافحة الارهاب والاستخبارات ، <http://europarabct.com/index.php/edu>
١٢. سليم الحسني ، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ، الغدير للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٩٥ .
١٣. السيد علي السيستاني يعلن الجهاد الكفائي ويعتبر قتل الوطن شهداء . اقرأ المزيد :
- <http://www.qanon.net/news/21173/13/06/2014> .
١٤. الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، كتاب جهاد الأمة ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٧ م .
١٥. طلال مشعل ، ما المقصود بالجهاد الكفائي ، بواسطة : <http://mawdoo3.com/> .
١٦. عبد الرزاق عبد الدراجي ، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ، ط ٢ ، بغداد ١٩٨٠ .
١٧. عبد العزيز القصاب ، من ذكرياتي ، ط ١ ، بيروت ١٩٦٢ .
١٨. علي الوردي ، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج ٤ ، بغداد ١٩٧٦ .
١٩. كامل سلمان الجبوري ، « ٦٣ عاما على حرب العراق ١٩١٤ . ١٩١٥ ووثائقه التي لم تنشر » ، أفاق عربية ، العدد ١٠ ، حزيران ، بغداد ١٩٧٨ .
٢٠. محمد اسفندياري ، كتابشناسي تاريخي إمام حسين : ص ٣٨٣٩ ، طهران ، وزارة الإرشاد والثقافة الإسلامية ، ١٣٨٠ ش / ٢٠٠١ م ، ط ١ .
٢١. محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج ١ ، بغداد ١٩٢٤ .
٢٢. الميرزا النوري ، مستدرك الوسائل ، باب ١١ من أبواب جهاد العدو ، ج ٣ . تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط ١ : الثانية ، ١٩٨٨ . ١٤٠٨ م ، الناشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث . بيروت .
٢٣. وميض جمال عمر نظمي ، ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٤ .
- Wilson ، Lanaties ، Mesopotamia ١٩١٧ . ١٩١٤ ، Oxford ٢٤ .
- John Van Ess ، Meet the Arab ، London ١٩٤٧ ، P . ٥٠ . ٢٢ . ١٩٣٦ .

## الهوامش :

علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، الغدير للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٥، ص ٨٢. ٩٢، الملحق رقم ١.

[١١] عبد الرزاق عبد الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق، ط ٢، بغداد ١٩٨٠، ص ٤٢؛ الوردي، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٩.

[١٢] المس بيل، المصدر السابق، ص ١٢. ١٤.

[١٣] حسن الأسدي، ثورة النجف، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٥، ص ٨١.

[١٤] عبد العزيز القصاب، من ذكرياتي، ط ١، بيروت، ١٩٦٢، ص ١٠٨. ١١٢؛ الياسري، المصدر السابق، ص ٤٧. ٧٣.

[١٥] الأسدي، المصدر السابق، ص ٩١.

[١٦] ولد عام ١٨٧٦ في الديوانية، درس على يد علماء النجف ومن مؤلفاته المبادئ والرجال. ساهم في الحرب العالمية الأولى وثورة العشرين. عين عضواً في وزارة جعفر العسكري الأولى ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٣. ٢٣ آب ١٩٢٤ وانتخب عضواً في مجلس النواب عام ١٩٢٥ ومجلس الأعيان من عام ١٩٢٣. ١٩٣٧ وانتخب للمرة الثانية من ١٩٣٩. ١٩٤١ أنظر أحمد كامل أبو طيبيخ، السيد محسن أبو طيبيخ سيرة وتاريخ، ط ١، مطبعة الزمان، بغداد ١٩٩٩، ص ٤٨. ٤٩؛ راجي والعماني، المصدر السابق، ص ٧٤. ٧٥.

[١٧] القصاب، المصدر السابق، ص ١٠٨. ١١٢.

[١٨] أطلق أهل السماوة هوستهم المشهورة وهي:

ثلثين الجنة لهاديننا وثلث لكাকা أحمد وأصحابه وشويه شويه لبربوتي

وحول هذه الأهزوجة يذكر الوردي أن الشيخ بربوتي عند سماعه الشطرين الأولين إذ وجد الجنة تنقسم إلى ثلاثة أقسام فيأخذ السيد هادي المكوتر ثلثين ويأخذ الأكراد الثلث الباقي دون

[١] السيد علي السيستاني يعلن الجهاد الكفائي ويعتبر قتلى الوطن شهداء. اقرأ المزيد:

Ttp : //www . qanon ٣٠٢ . net/news/٢١١٧٣/١٣/٠٦/٢٠١٤ .

[٢] السيد علي السيستاني يعلن الجهاد الكفائي ويعتبر قتلى الوطن شهداء. اقرأ المزيد:

Ttp : //www . qanon ٣٠٢ . net/news/٢١١٧٣/١٣/٠٦/٢٠١٤ .

[٣] السيد علي السيستاني يعلن الجهاد الكفائي، المصدر السابق.

[٤] طلال مشعل، ما المقصود بالجهاد الكفائي، بواسطة:

http : //mawdoo ٣ . com / .

[٥] الشيخ محمد مهدي شمس الدين، كتاب جهاد الأمة، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٧ م. ص ٤٧، ٤٨.

[٦] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، باب ١١ من أبواب جهاد العدو، ج ٣، ص ٢٢٩.

[٧] التوبة: ١٣.

[٨] أحمد الحسني، الإمام الثائر السيد مهدي الحيدري، النجف ١٩٦٤، ص ٢؛ علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٤، بغداد ١٩٧٦، ص ١٢٧.

[٩] المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٧.

[١٠] لقد وجه العلماء في النجف ومنهم كاظم اليزدي الرسائل إلى رؤساء بعض العشائر ومنهم خزعل شيخ المحمرة وخيون العبيد شيخ العبود وقاطع آل بطي شيخ ازيرج وحسين الفضل شيخ الشرش تدعوهم إلى الجهاد إلى جانب العثمانيين. وللتفاصيل أنظر كامل سلمان الجبوري، «٦٣ عاما على حرب العراق ١٩١٤. ١٩١٥ ووثائقه التي لم تنشر»، آفاق عربية، العدد ١٠، حزيران، بغداد ١٩٧٨، ص ٤٠. ٥٤؛ سليم الحسني، دور



- [٢٦] المصدر نفسه .
- [٢٧] <http://www.almurtadha.net/pages/news.php?id=٢٨٥>.
- [٢٨] <http://www.almurtadha.net/pages/news.php?id=٢٨٨>.
- [٢٩] السيد الصافي يدعو القيادات السياسية الابتعاد عن أي خطاب متشدد وتكثيف الجهود للخروج من الأزمة الراهنة
- <http://www.almurtadha.net/pages/news.php?id=٣٠٨>.
- [٣٠] الشيخ الكربلائي :
- <http://www.almurtadha.net/pages/news.php?id=٣٢٠>.
- [٣١] الشيخ الكربلائي : المصدر السابق نفسه .
- [٣٢] الشيخ الكربلائي : المصدر السابق نفسه .
- [٣٣] السيد الصافي يدعو مجلس النواب الإسراع بإصدار القوانين الضرورية ويحث المؤسسات على النهوض بمسؤوليتها اتجاه النازحين ويوصي بالحيلة والحذر لرصد جميع التحركات المريبة ، على الموقع الالكتروني
- <http://www.almurtadha.net/pages/news.php?id=٣٣٠>.
- [٣٤] الشيخ الكربلائي يؤكد على ضرورة اتخاذ وزارة الداخلية إجراءات فاعلة لإنهاء بعض الظواهر المدانة من الاعتداء على المواطنين بدوافع طائفية ويطالب الأمم المتحدة أن تأخذ دورها الإنساني بإغاثة النازحين ،
- <http://www.almurtadha.net/pages/news.php?id=٣٣٣>.
- [٣٥] السيد الصافي :
- <http://www.almurtadha.net/pages/news.php?id=٣٥٥>.

أن يكون للشيخ بربوتي نصيب من الجنة ولذا جاءوا بالشطر الثالث حيث اقتطعوا له شيئاً من حصة السيد هادي وشيء من حصة الأكراد ترضيه له . الوردي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٤٩ .

[١٩] التفاصيل عن نشاط العشائر العربية في الأحواز أنظر: حسين خلف الشيخ خزل ، تاريخ الكويت السياسي ، ج ٢ ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٥٥ ؛ علي نعمة الحلو ، من نضال شعب الأحواز ١٩٢٥-٦٣٨ ، أفاق عربية ، العدد ٨ ، نيسان ١٩٨١ ، ص ٢٨ .

[٢٠] ارنلد . تي . ويلسون ، بلاد ما بين النهرين بين ولاتين ، ج ١ ، ترجمة ، فؤاد جميل ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ٥٨ ؛ Mesopotamia ، Lanaties ، Wilson ١٩١٤-١٩١٧ Oxford ، ١٩٣٦ ، A ٢٢ . p .

ويشير الباحث وميض نظمي بأن عشائر دجلة لم تكن فقط قد أنهكت في خضم الصراع العنيف بين البريطانيين والعثمانيين . بل كانت أيضاً تدرك حقيقة الجبروت العسكري البريطاني وهذا ما يلقي الضوء على استكانة عشائر دجلة بالمقارنة مع عشائر الفرات . وميض جمال عمر نظمي ، ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٢٤٢ .

[٢١] موقع إلى الشمال الغربي من الشعيبة ، التميمي ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .

[٢٢] المصدر نفسه ، ص ٢٣١ .

[٢٣] محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج ١ ، بغداد ١٩٢٤ ، ص ١٠٣ .

[٢٤] John Van Ess ، Meet the Arab London ١٩٤٧ ، p ٥٠ .

[٢٥] خطبة الجمعة للشيخ عبد المهدي الكربلائي من الصحن الحسيني الشريف بتاريخ ١٣/٦/٢٠١٤ ،

<http://alhussain-sch.org/forum/showthread.php>



- [٣٦] الشيخ الكربلائي :  
http : //www . almurtadha . net /pages /news . php?nid=٣٦٥ .
- [٣٧] السيد الصافي :  
http : //www . almurtadha . net /pages /news . php?nid=٣٩٨ .
- [٣٨] الشيخ الكربلائي :  
http : //www . almurtadha . net /pages /news . php?nid=٤٠٤ .
- [٣٩] الشيخ الكربلائي :  
http : //www . almurtadha . net /pages /news . php?nid=٤٠٤ .
- [٤٠] السيد احمد الصافي يدعو الحكومة الى تجهيز الجيش بالعدة العسكرية اللازمة لإدامة المعركة ويؤكد على زيادة أعدادها في أماكن المعارك ،  
http : //www . almurtadha . net /pages /news . php?nid=٤٠٧ .
- [٤١] الشيخ الكربلائي :  
http : //www . almurtadha . net /pages /news . php?nid=٤١٥ .
- [٤٢] الشيخ الكربلائي : كشفت الانتصارات العسكرية المهمة على مدى زيف ما يقوم به البعض من تضخيم وتهويل إعلامي لقوة العصابات الإرهابية ،  
http : //www . almurtadha . net /pages /news . php?nid=٤٢٨ .
- [٤٣] السيد الصافي :  
http : //www . almurtadha . net /pages /news . php?nid=٤٣١ .
- [٤٤] http : //www . almurtadha . net /pages /news . php?nid=٥٥٨ .
- [٤٥] ممثل المرجع السيستاني يجدد مطالبته من الحكومة بضرورة الاهتمام بمقاتلي الحشد الشعبي وإكرام شهدائهم ،  
http : //www . almurtadha . net /pages /news . php?nid= ٥٦٩ .
- [٤٦] المصدر نفسه .
- [٤٧] نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد ، المصدر السابق نفسه .
- [٤٨] نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد ، المصدر السابق نفسه .
- [٤٩] د . عماد علّو ، العراق الحرب الهجينة ، قراءة عسكرية في استراتيجية الحشد الشعبي ، منشورات المركز العربي الاوربي لدراسات مكافحة الارهاب والاستخبارات ،  
http : //www . europarabct . com /index . php /edu /-٢٦٨٥ ٢٢-٢٠-١٢-٢٥-١٠-٢٠١٥ .
- [٥٠] وكالة النبأ : الرابط  
http : //n . annabaa . org /news٢٠٧٩ .
- [٥١] السيد الصافي :  
http : //www . almurtadha . net /pages /news . php?nid= ٣٠٨ .
- [٥٢] الشيخ الكربلائي : المصدر السابق نفسه .
- [٥٣] السيد الصافي :  
http : //www . almurtadha . net /pages /news . php?nid=٣٥٥ .
- [٥٤] الشيخ الكربلائي :  
http : //www . almurtadha . net /pages /news . php?nid=٤١٥ .
- [٥٥] د . عماد علّو ، العراق الحرب الهجينة ، قراءة عسكرية في استراتيجية الحشد الشعبي ، المصدر السابق .

والدواعش ،  
[http : //www . sotaliraq . com/mobile-item . php?id=١٨٥٨٦٠ #ixzz٣raY٦٦٧٦N .](http://www.sotaliraq.com/mobile-item.php?id=١٨٥٨٦٠#ixzz٣raY٦٦٧٦N)  
[٥٨] د . عماد علو ، العراق الحرب الهجينة ، قراءة عسكرية في استراتيجية الحشد الشعبي ، المصدر السابق .

[٥٦] نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد ، صادرة من مكتب سماحة السيد السيستاني دام ظلّه الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر عام ١٤٣٦ هـ ،  
[http : //www . almartadha . net/pages/news . php?nid= ٥٩](http://www.almurtadha.net/pages/news.php?nid=٥٩)  
[٥٧] خضير طاهر ، في سيكولوجية الحرب بين الحشد الشعبي



قراءة في  
نَجِّج الامكام النحميَّني  
فلسفة

❖ د. نورة الهيدان (\*)

---

(\*) باحثة واكاديمية من العراق.



تتجلى أبعاد شخصية الإمام الخميني (ع) في وعيه وذكائه وشدة اهتمامه وغيته المتميزة على الشعب وعلى الإسلام المحمدي الأصيل إذ صرح ومنذ اليوم الأول بأنه سيتحرك بمساعدة الشعب وكان واثقا من استجابة الجماهير في جميع أنحاء إيران ، وهنا يتجسد بعد آخر في شخصية هذا الرجل على الصعيد العملي تمثل في قدرته القيادية وشجاعته السياسية وخبرته بأساليب وأهداف العدو .

بعد أحداث ١٩٦٣ - ١٩٦٤ في إيران نفى الإمام إلى تركيا ومن ثم إلى العراق لمدة ١٤ سنة ، وفي فترة النفي تجلت أبعاد أخرى في شخصية الإمام الراحل منها قدرته على التخطيط لبناء نموذج إسلامي يراعي متطلبات الحياة العصرية والقضايا الراهنة خاصة وأن

الثورة التي قادها الإمام الخميني (ع) لم تعتمد على وجود تشكيلات حزبية داخل البلاد ، بل كان للإمام تلاميذ وأنصار يحملون أفكاره إلى الجماهير ومع ذلك كان الإمام يوجه خطابه دائماً إلى الجماهير واستطاع خلال سنوات نفيه أن يزرع في الأذهان بذور النهضة الإسلامية أولاً ثم تمكن أن يتوغل إلى عمق الشعب ثانياً حيث كان شعبه الأرضية المناسبة لقيام تلك الثورة ، وبفضله استطاعت الحركة الثورية للنهضة الإسلامية أن تجتاز جميع التحديات التي واجهتها ولم تكن عزمته الأحداث الكبيرة والعصية التي مرت بإيران وأولها الحرب الإيرانية العراقية والهجوم الأمريكي ومؤامرات الانقلاب العسكري والحصار الاقتصادي والممارسات العدوانية المختلفة .

وفي عام ١٩٦٨ تبنى الإمام فكرة ولاية الفقيه اعتماداً على ثوابت فقهية راسخة ، وهي نظرية تعطي الولي الفقيه صلاحيات في إدارة جميع ميادين الدولة وقد أعاد الإمام صياغة هذه الفكرة وفق أسس رصينة لقد اجتمعت في الإمام أغلب مزايا ومواصفات القادة العالميين لأنه كان بعيد النظر ، شديد الوثوق بشعبه ، شديداً على أعدائه وقد اعتبر نهج الإمام الخميني النهج الأمثل لإنقاذ البلاد قبل الثورة وبعدها ، ومن أهل معالم هذا النهج : حاكمية الإسلام إذ لم يقصد من ثورته ونهضته استلام أي منصب بل أتباع الحكم الإسلامي بشكله الصحيح على صعيدين هما : الإسلام كإطار عام للنظام ، والإسلام على صعيد الفرد .

واعتمد الإمام مبدأ العدالة الاجتماعية لإيمانه بأن الطبقات الفقيرة هي صاحبة الحق في الاستفادة من مكتسبات الثورة صحيح أنه كان يقول بأن ثورته لم تكن ثورة خبز وإنما انطلقت على أساس الإيمان ، لكن هذا الأمر لا يلغي الاهتمام أولاً بالشعب وبحياته واقتصاده . وكان الإمام على اطلاع تام بالعدو وبأساليبه الإعلامية والسياسية وحريصاً على مجابهتهم والتصدي لهم ، كما كان حريصاً على إعلاء شأن الأمة

الإسلامية إلى جانب بقية الأمم الأخرى في العالم فتحرّكت الجماهير المستضعفة في العالم وخصوصاً الجماهير التي تغذت بفكر ونهج الإمام الخميني الفكر الثاقب والنهج السليم من العراق الجريح ولبنان المغتصب وفلسطين المحتل ودول أخرى كان تحركها حسب الظروف الموضوعية وانتصرت المقاومة في لبنان ( حزب الله ) على جرثومة الفساد ( إسرائيل ) وباتت قاب قوسين أو أدنى للزوال من الوجود كما تنبأ الإمام الراحل رحمه الله وفي فلسطين استشعر العدو الصهيوني ان ضربات المقاومة الفلسطينية ستحرر فلسطين والقدس الشريف فنصب المكائد ليبقي على وجود هذا الكيان بفضل الاعيب القوى الكبرى وبعض الخونة من الأنظمة من خلال معاهدات السلام السرايية الذي حذر الإمام الراحل منذ ولادة معاهدة كامب ديفيد المشؤومة وبعدها من المعاهدات الخيانية التي تهدف إلى بث اليأس في نفوس المسلمين في فلسطين وغيرها ولكن نهج الإمام الراحل ونظرته الثاقبة أعطت الكثير إلى الشعوب المستضعفة في فهم الأعداء والاعيبهم الشيطانية ونحن نعيش الذكرى العشرين لرحيل الامام السيد روح الله العبد الصالح



معالم نهج السيد الامام الراحل فهذه المفردة  
الإسلامية في عقيدة انتظار المصلح الذي يخلص  
العالم من الفساد وان حركة الشعوب المستضعفة حافز  
إلى ظهوره عجل الله له الفرج وسهّل له المخرج . . .

وبشائر النصر تلوح في الافق بعد تحرير لبنان وان  
النصر ات في العراق وفلسطين وباقي الدول العربية  
والإسلامية وان علامات ظهور ولي الله الأعظم مهدي  
أهل البيت عليه السلام قد حانت بعدما تهيأت الأرضية  
المناسبة بمنهجية الامام الراحل عليه السلام الذي كان ينتقد  
الانتظار السلبي للإمام القائم روعي له الفداء فوضحت

## نهج الإمام الخميني رحمته الله وخطه

أنه تم في عالم كل ما فيه يعتمد على القضايا المادية ،  
وقد مرت حوالي ( ٢٠٠ ) سنة مليئة بالعمل والجهود  
المتواصلة ضد الدين وبالذات ضد الإسلام من بين كل  
الأديان الأخرى .

فحينما تتم إقامة حكومة إسلامية في إحدى  
أكثر مناطق العالم حساسية وأهمية يمكن القول عند  
ذلك أنه أمر شبيه بالمعجزة دون مبالغة .

وقد تمكن هذا الشخص الجليل الفذ أن يعبئ  
كل هذه القوى الشعبية العظيمة وساعده الله وأعانه  
على القيام بذلك حتى تحققت هذه المعجزة ، ولم  
ينحرف صاحب تلك النفس اللطيفة والإرادة الصلبة -

## تطلعات سماحة الإمام رحمته الله

إنّ خط الثورة خط الإمام الذي هو خط الإسلام  
النقي الأصيل وخط القرآن ينبغي مواصلته والالتزام به  
بشكل تام .

لقد توضحت للجميع هوية الإمام الفنية بعد  
رحلته . ولربما لم يكن الثيرون يعلمون أن الإمام كان  
ممن ينظمون الشعر العرفاني مع تلك المضامين  
العرفانية اللطيفة وذلك الوله والعشق الذي يختص به  
الإنسان العارف المتوله .

بل هو عمل أصعب من هذا بكثير ، وخصوصاً

طوال تلك السنوات المتعاقبة - حتى ولو بمقدار شعرة عن الطريق القويم لا إلى اليمين ولا إلى اليسار ، وهذا أمر على غاية من الأهمية .

أن سماحته يعتبر قدوة وأسوة بالنسبة للناس جميعاً ولكم كفنانين ملتزمين ومؤمنين ، وبالنسبة لكل الفئات الأخرى من زوايا مختلفة ، وينبغي أن نتعلم منه ونقتدي به .

إن قيادة الجمهورية الإسلامية تضع نصب عينيها هذه الذخيرة الشريفة وغير المتناهية تلك الصورة المشرقة والبعيدة عن متناول الأيدي لشخصية هذا القائد الكبير .

إن التطلعات التي أعلنها الإمام هي أسمى التطلعات وأعلاها وأقدسها ، وإننا سنواصل السعي الحثيث لبلوغها فهي تطلعاتنا أيضاً . هذه التطلعات التي أعلنها الإمام هي طموحاته وأمانيه ، وهي حياة تاماً وتزخر بالحيوية أكثر من أي شيء آخر ، وهذا ما يخشاه العالم في الوقت الحاضر .

إن شخصية الإمام ترتبط - وإلى حد كبير - بأهمية التطلعات التي كان يحملها .

هذا الشعب الذي تشاهدونه يلطم على رأسه وصدره ، ويذرف الدموع ، وتكاد قلوب أبنائه تغادر صدورهم من فرط الألم واللوعة ، ولو كانت الدنيا كلها ملكاً لأحدهم فإنه مستعد لإعطائها لمن يعلم أنه يستطيع إبقاء الإمام على قيد الحياة للحظة واحدة أكثر . . . هذا الشعب مصمم على السير وفقاً لأفكار الإمام . وأن أبنائه يعشقون الإمام من أجل فكره وتطلعاته ونهجه وجهاده ومقاومته وهم سائرون على هذا المنهج .

إن مدرسة الثورة التي أسسها الإمام تأبى أي نمط من أنماط الإسلام السفيفاني والمرواني .

لقد أوضح لنا الإمام الفذ الجليل خلال السنوات العشر الماضية معالم الإسلام في شتى المناسبات والتقلبات الحياتية ، ومن خلال مواقفه المختلفة إزاء شتى الحوادث ، ولم يبق نقطة مبهمه لأحد أبداً .

إن الفقه الشيعي هو أحد أقوى أنماط الفقه ومناهجه ، وهو يستند إلى أسس وأصول قوية للغاية ، وقد نشر الامام هذا الفقه المتين ووسع من دائرة عمله على صعيد واسع وأضفى عليه نظرة عالمية ونظر إليه من زاوية

عالمية وحكومية ، وأوضح لنا أبعاداً ونواحي من هذا الفقه كانت مخفية من قبل .

إن أفضل ما يمكن أن يمدح به هذا القائد هو القول بأنه عبد الله يعمل على تشخيص تكليفه - فحينما يشخص أن تكليفه الشرعي يمكن في القيام بالعمل الفلاني فإنه يقوم به وينجزه ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يبارك له في ذلك العمل ويعينه على تحقيقه وهذا يعدّ لنا درساً كبيراً ، وهذا هو الإسلام .

وأن أهمية هذه القضية تنبع من كونها تعكس مدى صلابة قائد هذه الثورة وحزمه وإخلاصه وصدقه ، وهذا كله درس لنا .

إنّ ذكر الإمام الخميني واسمه يزلزل قصور القوى الطاغوتية وقلوبها لأنه كان خادم الإسلام والمسلمين ولأنه هو الذي حقق العظمة للإسلام والمسلمين عبر جهاده وجهاد شعبه .

### إرشاد الإمام

استطاع الإمام ﷺ أن يرفع راية الإسلام المحمدي الأصيل النقي ﷺ ولواء الولاية العلوية والحسينية عالياً خفاً في الأفاق من خلال إرشاده

وزعامته .

لقد جذب إليه أعين العالمين وجعلها تنظر إليه بإعجاب ، وجعل آيات تحقيق الفرح للمستضعفين تتجسد في ملحمة الغنية بالبطولات ، وبعد ارتحاله إلى الرفيق الأعلى ربط الشعب على قلبه وسار في طريقه مستبصراً وأكد عزمه وإرادته الفولاذية على مواصلة السير في طريقه .

لقد سلك الإمام نفس الطريق الذي سلكه الرسول الأعظم ﷺ من أجل إعادة الحياة إلى الإسلام ، وهو طريق الثورة .

لقد ربط الإسلام هذه النهضة في فصلها بقضية عاشوراء .

ففي الفصل الأول من النهضة أي من أيام محرم من عام ١٩٦٣ تحولت الحسينيات ومجالس العزاء والمواكب والمراثي ومجالس الخطابة والوعاظ تحولت كلها إلى منابر ومنصات خطابية لبيان قضايا النهضة .

وفي الفصل الأخير الذي سبق انتصار الثورة كان شهر محرم لعام ١٩٧٨ قد شهد بأمر الإمام تكثيف

الاهتمام بإقامة المجالس والموكب الحسينية ، وأطلق مقولته المشهورة فيه ( أن شهر محرم هو شهر انتصار الدم على السيف ) فثار من جديد ذلك الطوفان العظيم العام والشعبي .

إنّ محبتكم هذه ومحبة هذا الشعب للحسين بن علي - عليه السلام - تضمن الحياة والبقاء للإسلام وهذا هو معنى مقولة الإمام التي جاء فيها ( إن يوم عاشوراء هو الذي حفظ الإسلام وصانه ) وهكذا الحال بالنسبة للأيام الفاطمية - أيام ذكرى وفاة فاطمة الزهراء ( عليها السلام ) - وذكر المولد النبوي الشريف ومناسبات مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم .

نشكر الله على أن صار للنفس العيسوي لذلك العبد الصالح وتذكر الأنبياء والأولياء - سلام الله عليهم دوراً يتسم بطابع الإعجاز وصار له الخلود في جبين التاريخ ، أي أنه ربى أناساً أفذاذاً ذوي نفوس طيبة من خلال تربيته المشابهة لتربية الأنبياء صاروا يتألفون كالنجوم المضيئة في ظلمات الجاهلية والمادية التي صنعها طواغيت الزمان وأباطرة التبر والقهر في العالم وفرضوها على الناس .

فطفقوا يبتون نور الفضيلة والمعنوية فيما حولهم ويظهرون للعالم الروح الروحي والمعنوي والمثل الحقيقية .

نشكر الله تعالى أن أثمرت جهود وارث الأنبياء وسالك طريقهم وجعل الله فيها البركة ، وأعطى له ولأمتة جزءاً تمثّل بالنصر العظيم الذي ظل أمنية لجميع الصالحين وحكماء الإسلام ، وقرن هذا النصر واتبعه بانتصارات باهرة في شتى المجالات وأهمها كلها في مضمار التربية وتزكية نفوس الشباب الذين صاروا بمثابة القواعد المتينة وحراس الثورة والنظام الإسلامي اليقظين ، ومنّ عليه بفتح الفتوح الذي كان مفتاح جميع الانتصارات .

ويقيناً أن الإمام كان يتحرك بالروحانية التي كان يتحرك بها الأنبياء ، وكان أسلوبه أسلوب الأنبياء ، وكان نهجه نهج الأنبياء ، وأهدافه أهداف الأنبياء أيضاً .

إننا سنصدر هذه الثورة ، وإننا لن نتردد في تصدير التوحيد وإشاعة منهج الأنبياء وعرض القيم الإنسانية النظيفة والطيبة والطاهرة ، والصبر والمقاومة

والإيثار . . وإشاعتها في البلدان الأخرى .

### عصر سماحة الإمام الخميني (رحمته)

لقد بدأ عصر جديد ذو خصائص متميزة عن العهود التي مرّ بها العالم من قبل وكان بدء هذا العصر الجديد متجسداً في ظهور الثورة الإسلامية في إيران وإقامة نظام الجمهورية الإسلامية في هذه المنطقة من العالم ، ومع تصاعد النضال الطويل الذي خاضه الشعب الإيراني بقيادة قائده العظيم الفذ للدفاع عن الثورة الإسلامية .

وبدأ هذا العصر بكل ما فيه من خصائص متميزة ، سواء شاءت القوى المادية في العالم أم لم تشأ ، وسواء أرادت أمريكا أم لم ترد . وأخذ هذا العصر يتقدم إلى الحد الذي بدأت تأثيرات هذا العصر الجديد تشاهد على صعيد الشعوب والدول الضعيفة وحتى على مستوى القوى العتيدة والكبرى .

وعندما يشهد تاريخ البشرية عصراً جديداً فلا أحد يستطيع أن يجعل نفسه بمعزل عن تأثيرات ذلك العصر ويحذر منها ، وهكذا كان الحال أبان العهود السابقة التي مرّت بها البشرية .

ليس بإمكان أحد أن يجعل نفسه مصاناً من تأثيرات عصر أخذ يشق طريقه في هذا العالم وهو يستند على الأسس الإنسانية والإلهية المتينة .

إننا نريد أن نعلن هذه الحقيقة وهي أنه على الرغم من أن الكثير من شعوب العالم قد شملتها تأثيرات هذا العصر الجديد وعلى الرغم من أن الكثير من الحكومات الموجودة على ظهر الأرض هي الأخرى خضعت لتأثيرات هذا العصر بحيث تبدّلت حتى الخارطة السياسية للعالم ، إلا أننا لا نتوقع أن يقر ببدء هذا العصر المحللون والممسكون بزمان إصدار الأحكام من المقتدرين السياسيين في هذا العالم .

أنهم وإن لم يعترفوا ببدء هذا العهد الجديد لكنهم وقعوا تحت تأثيراته وهم يحسون به ويتلمسون آثاره وهذا العصر الجديد ينبغي أن يسمى ( عصر الإمام الخميني ) .

لقد أدركت كل الأبصار النافذة - منذ البدء - إنه وبانتصار هذه الثورة العظمى بدأ عصر جديد في العلاقات الدولية وهذا العصر يجب أن يطلق عليه ( عصر الإمام الخميني ) وسماته وملامحه عبارة عن



يقظة الشعوب وانتشار الصحوه فيما بينها ، وجرأتها وثقتها بنفسها ، في قبال منطق التسلط وهيمنة القوى الكبرى ، وكسر أصنام القوى الظالمة ، وتنامي جذور القدرة الواقعية لبني الإنسان ، وبروز القيم المعنوية والإلهية .

إنَّ أحد سمات العصر الجديد الذي أوجده الإمام الخميني هو هذا الاحترام لحقوق الإنسان والاحترام للحقوق العامة للشعب ، واحترام المطالب المخلصة للطبقات المستضعفة والفقيرة في المجتمع ، والتي كان يؤكد عليها مراراً .

لقد بدأ الامام عصراً جديداً وإننا اليوم ونحن نحمل قلوباً وأنفسنا مترعة بالأسى واللوعة لفقدان ذلك الإنسان العزيز الذي لا مثيل له في الأمة الإسلامية ، فإن علينا أن نوّدي أعظم وظيفة وهي أن نعرف خصائص هذا العصر الجديد الذي بدأه الإمام وجعل الشعب يسبح في أجوائه ، وأن نحافظ عليها .

### الثورة الثقافية

كنا نعيش حياة عادية ، فأبدل الإمام ذلك الركود والخمول إلى حيوية ونشاط وصنع كيان الإنسان

وصاغه من جديد . ولقد قال هو نفسه في أحد الفتوحات الكبرى التي حققتوها في جبهات القتال عندما أصدر بيانه بتلك المناسبة إنَّ فتح الفتوح هو بناء مثل هؤلاء الأشخاص والشبان ، وكان هو فاتح فتح الفتوح ذاك .

كما قال : إنَّ قضية الحرب قضية مؤقتة ولكن القضية المهمة هي قضية الجامعات .

اعرفوا منزلة التعليم والتربية وأهمية عمل المعلم ، وينبغي للشبان والفتيان أن يعرفوا قيمة الدراسة والبحث والمطالعة وبناء الذات التي تقع على عاتقهم هذه الأيام .

أنكم أنتم الذين تقومون بمهمة البناء في الغد القريب ، وأنكم أنتم الذين تدخلون اليأس في قلب الاستكبار العالمي ، وأنتم الذين تبقون على شعلة الأمل متقدة في قلوب المستضعفين بعد أن أحيها الامام وأوجد ثورتنا ، أنتم الذين سوف تقومون بذلك يا جيل الشباب والفتيان في هذا اليوم وأنتم أيها المعلمون والمربّون .

هذا هو الأمر الأساسي الذي كان يؤكد عليه

## الاعتماد على الناس

إنّ لدينا في هذه الثورة عدة ثوابت ومبادئ أساسية فهمناها منذ البداية ، وعلمنا إيّاها الإسلام ، وأوضحها لنا الإمام والفقيه الفذ الجليل .

أحد هذه الأصول هو أي نظام إن لم يكن مبنياً على أساس إرادة الناس وتأبيدهم لا يمكن أن يكتب له البقاء والاستمرار . فالناس هم الذين يستطيعون إقامة نظام ما ، وحينما يقيمونه فإنهم هم الذين يحافظون عليه ، حتى لو اجتمعت كل القوى ضدهم .

فإذا لم يكن النظام نظاماً شعبياً ولا يقوم على أكتاف الناس ووفقاً لعقائدهم وعواطفهم وإرادتهم فإنه لا يمكن أن يستمر ويدوم ، وهذا هو أحد الأصول التي نؤمن بها .

وهناك أصل آخر وهو إنّ فرض فكر ما أو عقيدة من نمط معين أو نظام اجتماعي على الناس ليس عملاً ناجحاً ، وخصوصاً حينما يكون ذلك الفكر والعقيدة متعارضاً مع دين الناس ومنافياً لعقيدهم . . وهو الآخر من بين أصولنا الفكرية والإسلامية ، فإن ما يكتب له البقاء هو العقائد القلبية للناس وأفكارهم الدينية .

دائماً الامام القائد ، ويُعتبر جزءاً من محكمات الثورة وخط الإمام ومن القضايا الضرورية فيهما .

إن الناس بحاجة هذا اليوم إلى الأخلاق وإلى تعميق فكر الثورة لديهم ، لكي يعلموا ما هو الأساس والقاعدة التي استندت إليها هذه الثورة التي قامت ، فينبغي التفكير ملياً في كيفية سد احتياج الناس .

والمرجع الأفضل لذلك هو كلمات الإمام ﷺ وتعاليمه وإرشاداته ، وبعض المؤلفات والكتابات التي أصدرها بعض كبار الشخصيات خلال هذه السنوات الإحدى عشرة ، ولله الحمد .

وطبعاً فإن المهتمين في مجال البحث والتحقيق يستطيعون مراجعة القرآن الكريم والحديث الشريف في باب حاكمية الإسلام وشموليته وكونه دين الحياة .

لقد كان الإمام خلال فترة قيادته التي استمرت عشر سنوات ونيف - بعد انتصار الثورة - يحذر المسؤولين ويحذر الشعب الإيراني طراً من الغرور والأنانية والتكبر ، وكان يقول دائماً حذار من أن تكونوا أسرى لهوى النفس .

طوال فترة العشر سنوات وبضعة أشهر التي كان يعيش فيها الإمام الخميني رحمه الله ويقوم بقيادة الأمة ومسلمي العالم - بعد انتصار الثورة الإسلامية - كان سماعته يركز في خطاباته على الحضور السياسي للشعب ، أي حضور الشعب في ساحات النشاط السياسي ، وهو يؤكد أنّ الناس ينبغي أن يعتبروا هذا البلد ملكاً لهم ، وإن مصير هذا الشعب وهذا البلد إنما هو في أيديهم فرداً فرداً ، وأن منح العظمة والعزة لهذا البلد سوف يكون ممكناً عندما يريدون ذلك ويصممون عليه ، وسيصبح استقلال البلد جذرياً وحتمياً حينذاك .

يندر أن رأينا شخصاً مثل الإمام - أو سمعنا به - يكن للناس احتراماً في أعماق قلبه ويثق بهم هكذا ، لم يكن يحمل لهم محبة في قلبه فحسب بل كان إلى جانب المحبة ، الثقة والاعتماد على الناس وعلى شجاعتهم وإيمانهم وكان يثق بحضورهم الدائم ووفائهم .

وحقاً وإنصافاً إن الناس قد أدوا لقائدهم جزاء ثقته المطلقة بهم ، وكان الأمر يشكل امتحاناً عجباً سواء بالنسبة للإمام أو لكم أيها الناس ، فقد كان ينظر ذلك الإنسان الفذ إلى الناس بنفس المنظار الذي كان

ينظر به الأنبياء إليهم .

إنّ الأنبياء لم يهتموا بالناس اللامعين والبارزين وإنما كانوا يبحثون عن الناس المؤمنين والجماهير المحرومة . لم يكن الإمام يهتم كثيراً بالخواص ، وكان يعشق عامة الناس ويتحدث إليهم ويطلب منهم ما يريد .

لقد فقد متطوعو قوات التعبئة المتحمسون المخلصون أباً عطوفاً وحقاً كانت العلاقة بينهم وبين ذلك القلب المشرق والرؤوف مثل علاقة الأب مع ابنه .

وربما لم يحدث مرة واحدة أن يرد ذكرهم وذكر أعمالهم البطولية في ساحات الحرب وفي الميادين المختلفة إلا وأثنى عليهم وعلى أعمالهم وتحدث عنها برقة ورافة ، وأعرب عن تقديره لمتطوعي قوات التعبئة وتحركهم الحماسي .

وحينما كانت تعرض على سماعته آراء الناس المنخرطين في سلك القوات الشعبية فإنه يبدى رد فعل مشوب بالمحبة والأبوة الحانية .

مثل هذا الإنسان الذي كانت له تلك العظمة ، كان يقول - حتى أواخر حياته - عندما يرد أمامه ذكر

الشعب يقول إنّ الشعب خير منّا وأفضل .

كان يرى نفسه ضئيلاً في قبال عواطف الناس وإيمانهم وشجاعة الناس وتضحياتهم وينحني لهم إجلالاً وإكباراً ، وكان ذلك من بين جوانب العظمة لديه .

في أثناء الحرب ، كانت هناك أمور لم يكن من المصلحة ذكرها والتصريح بها جهراً ، ولذلك لم تكن تُعلن على رؤوس الأشهاد ، بيد أنه في ما عدا هذه الأمور ، فإن كل ما يحدث يجب أن يُخبر الشعب به .

وهكذا كانت الأمور في عهد سماحة الإمام (رحمه الله) وحينما كان المسؤولون يزعمون على القيام بخطوة ما كانوا يستشيرونه ، ومن بين التوجيهات التي كان يقولها عليكم أن تقوموا بما تقومون به بشكل بحيث تستطيعون إخبار الشعب به ، وبحيث يمكن تنوير أفكار الشعب به ، فالمعيار هو مدى تفهم الشعب للثورة وتفاعله معها . فهذا النظام نظام شعبي .

### الدفاع عن المستضعفين

إنّ شعار اجتثاث الغدة السرطانية ( إسرائيل )

الذي طُرِح من قبل الإمام الفذ والقائد الإسلامي الكبير سماحة الإمام الخميني (رحمه الله) ينبغي أن يُطرح الآن أيضاً بشدة وقوة وأن يتحول إلى صرخة عامة لكل المسلمين في الحج ، على الرغم من حنق التساويمين وذوي الألاعيب السياسية .

إنّ خط الثورة هو خط الإسلام والمسلمين والدفاع عن المظلومين والمستضعفين ، وهذا الخط هو الطريق الذي جعل الشعب الإيراني يتحول - بعد أن سلكه ومضى فيه قدماً - من شعب متأخر ومتّكل على الآخرين إلى أكثر الشعوب حيوية واستقلالاً في العالم المعاصر ، ومن خلال دفع الشعب إلى إبداء الإيمان والمحبة والعشق حملهم هذا الخط على تقديم التضحيات المثيرة للدهشة والعجب . وهذا الخط يمثل الهوية الوطنية والثورية .

ثمة عبارة كان يلهج بها سماحة الإمام كثيراً خلال السنوات الماضية ، وهي ( ان هذه الثورة وهذا النظام مدين دائماً للحفاة ، وأن القوة التي ستصونهما هي أولئك الحفاة والطبقات المحرومة في المجتمع ) .

ويقيناً أن التحرك نحو فك العقد التي يعاني منها

الناس وتمهيد الطريق لحياة مرفهة وسليمة وحسنة يتمتع فيها الناس بالوفرة والرخاء وهبوط الأسعار والاستفادة من الإمكانيات الموجودة ، إنما هو واجب إسلامي يقع على الجميع القيام به وخصوصاً على عواتقكم أنتم المسؤولين ومدراء البلاد ، وهو أمر عملي وممكن التحقيق ويعتبر من التطلعات الإسلامية حتماً .

إنّ الشعب الإيراني لم ينكص على عقبيه أثناء اشتعال الحرب وعلى الرغم من تعرضه لشتى أنواع الضغوط . ولم يتساهل ويغض الطرف في أي قضية من قضايا الحرب ، التي دامت ثماني سنوات ، مراعاة واستحصالاً لرضا أمريكا والاتحاد السوفيتي .

لقد كان جميع من حوله يقولون له أن السبيل لتليين مواقف أمريكا والاتحاد السوفيتي وجعلهما يتعاملان معكم بالرفقة هو التراجع عن مواقفكم الصلبة

والحازمة والمتينة والتساهل في اتخاذ الموقف منهما ، ولكن قيادة الشعب الإيراني العظيمة ونفس هذا الشعب الفذ الشجاع لم يتراجعا حتى خطوة واحدة ، ومن الأولى به اليوم ألا يتراجع .

### دور المرأة في المجتمع الإسلامي

لقد كان معلم الثورة الكبير سماحة الإمام الخميني رحمه الله يرى أن للمرأة دوراً كبيراً في الثورة سواء في إيجادها أو في استمرارها ، ويرى أن دورها في تكامل المجتمع الإسلامي وبلوغه ورشده - إسلامياً وثورياً - مهم للغاية .

لقد كان للسيدات دور بارز ومشرق في انتصار هذه الثورة واستمرارها وفي مواجهة الوقائع الكبيرة التي شهدتها العقد الأخير من عمر الثورة .





## خطوط التقاطع في قراءتين

### ( الإمام الخميني : ملامح ومنطلقات أولية في المنهجية الإحيائية )

الصيحات ، رغم إخلاص الرواد وتطلع الشعوب وتوثبها ، لم تعدوا في حياة الأمة وفي أوضاع المسلمين أكثر من أن تكون إثارات في الوعي ومواقف في الفعل والحركة ، لم تبلغ مستوى الإنجاز المتكامل في خطوطه التفصيلية والعامة .

بعبارة أصرح : ظلت النهضة منذ صيحة السيد جمال الدين الأفغاني مشروعا نظريا في عقول الرواد ، وأمنية تنشّد إليها المجتمعات الإسلامية ، ولم تتحول إلى واقع ناجز ومتكامل إلا مع آية الله الإمام الخميني . فقد أتاح التوفيق الإلهي من جهة والاستعدادات التي حظيت بها شخصية الإمام الراحل وتوفرت عليها من

لا يكمن المدخل الأساس لفهم متكامل لأبعاد شخصية الإمام الخميني ، بمنهجية الاستعراض الترتيبي لمراحل حياته من الولادة حتى الوفاة ، وإنما يكمن في استكناه إنجازاته والتبصّر بمنهجه ؛ ذلك أن أنسب أرض قادرة على استجماع خصائص شخصية الإمام الراحل ، تكمن في التطلع إلى نهضته ، والتعمن بها نصاً ومنهجاً وإنجازاً .

لقد شهد العالم الإسلامي على خط الأحياء الديني صيحات واسعة للإصلاح ودعوات متكاثرة للنهضة خلال القرن والنصف الماضيين ، بيد أن الباحث ينتهي في التحليل الأخير إلى أن أغلب تلك



جهة ثانية ، الفرصة المؤاتية لأن يتحول سماحته إلى رمز كبير للإحياء والنهضة ، تعدى إنجازه المشروع النظري إلى تشييد نموذج ، كما شمل الإنجاز الأزمنة والحالات جميعاً ، فدار جهده من التوعية والتحرك ، إلى الثورة والانتصار ، ومن ثم بناء الدولة ، ثم خوض تجربة المواجهة لتثبيت النموذج في الداخل والسعي لتعميمه في الخارج .

وبذلك نعتقد أن أهم الكتابات عن الإمام ، هي تلك التي استلهمت هذا الجانب وعبرت عنه . وإذا كان ثمة رغبة في أن يفتح العالم الإسلامي على هذه الشخصية الإحيائية التجديدية الرائدة ويستفيد منها ، فليس أمامه إلا التعرف على نهضتها واكتشاف منهج النهضة . بيد أن الذي يؤسى له أنه برغم مرور ما يقارب العقدين على انتصار الثورة وما يناهز الثماني سنوات على وفاة الإمام ، نجد أن هذا المنحى من الدراسات لم يشق بمنهجه الإحيائي طريقه بعد ، إلا من استثناءات قليلة برزت في بعض المحاولات ، إذ ما تزال سبل التغطية العاطفية والخطابية من جهة وصيغ السيرة التربيبية لتأريخ حياة الإمام هي الأكثر طغياناً وهيمنة في هذا المضمار .

وكإشارة إلى عمل بعينه ، ربما استطعنا أن ندرج كتاب الباحث اللبناني د . سمير سليمان ( الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي ) في مضمار هذه المنهجية . فهذا الكتاب رغم صغر حجمه ( ١٣٢ صفحة من الحجم الوسط ) وبعض ما يرد عليه من ملاحظات في جانب الأسلوب وصيغة الآراء والتعبير بالذات ، نجده أفلح في تلمس تلك المنهجية التي تدرس الإمام الخميني كرمز من رموز التجديد والإحياء الديني ، وتنتظر لإنجاز نهضة محكومة بمكونات ومنهج ، يمكن الإفادة منها ، وبالتالي دوام خط الإمام عبر اكتشافها ورصد هذه المكونات وتعميم منهج الإمام .

ما دمنا نتناول شخصية الإمام في إطار المنهج الذي نوهنا إليه قبل لحظة ، فذلك يعني أننا نتحدث - في هذه الشخصية - عن بعدها النهضوي دوماً ؛ أي تلك المكونات التي انصبّت حول الوضع الإسلامي المعاصر بهدف تغييره ، وتشييد واقع مغاير مكانه يقوم على أساس الإسلام .

هذا المنهج أمضى - كما أشرنا - في التعريف بشخصية إحيائية كشخصية الإمام أعطت جميع ما

تملك لله ، ولدعوة الحق التي تحملها ، حتى وجدنا الإمام في واحدة من خطاباته للأمة يذكر بأنه أوقف لحظات عمره لله ، يبذلها في سبيل خدمة شعبه لحظة ف لحظة .

إن التعريف الرُّبِّي لمراحل شخصية الإمام لا يفي بأبعاد إنجازاته ولا يستوعبها ، عدا عن أن هذا المنهج يطمس الكثير من معالم شخصيته ، ويجزئ فكره الحركي والنهضوي ، فيشويه في مواقف متناثرة موزعة على سني حياته .

بخلاف أسلوب تركيز الأضواء على معالم نهضته ، فهذه المنهجية وإن كانت تغفل بعض التفاصيل الجزئية أحياناً ، بيد أنها الأقدر على استكناه الأبعاد الكلية والعامة في شخصية الإمام وقراءتها في نطاق منظومة عضوية متواصلة ومنسجمة .

وعندما نتحدث عن النهضة كمعلم من معالم شخصية الإمام ، فما نعينه هو ذلك الهم الذي يحمله سماعته لأوضاع العالم الإسلامي ومشكلاته ، وما يستتبع الهم من رؤى تحليلية قائمة على أساس استيعاب الإسلام من جهة ، ووعي الواقع المعاش من

جهة ثانية من دون انفصال أو تعالٍ كما يحدث بالنسبة لمقتضى النخبة وحملة راية التنظير والكثرة الغالبة م رواد الإصلاح من الذين يرضون لأنفسهم مقام التنظير وحسب .

وبعد الهمّ وتحليل الواقع يصل الدور بالإمام إلى مرحلة تشخيص الحلول المناسبة للمشكلات والسعي لتمثيلها عملياً .

هذه الاضمامة المتتابعة من الأبعاد نلمسها واضحة في مدلولات النص الخميني . على سبيل المثال بين أيدينا الآن نص للذمام يحمل هذه الأبعاد ويعبر عنها جميعاً ، حيث يقول فطه سماعته وهو في معرض تدارس مشكلات المسلمين مع ممثليهم ممن حضر طهران في إحدى المؤتمرات الفريدة التي لم تتكرر بعدئذ من حيث مستوى الحضور ونوعيته ؛ مخاطبهم بقوله : « ينبغي أن نفكر في جذور المشكلات التي تعم المسلمين ونجد لها الحلول اللازمة ؟ » . ثم يواصل سماعته القول بإثارة التساؤلات التالية : « لماذا ظلّ المسلمون في أنحاء العالم يرضحون تحت سطوة الحكومات والقوى الكبرى ؟ ما هو

السبيل لحل موضوعي لهذه المشكلة ؟ أين يكمن سرّ قدرة المسلمين للتغلب على هذه المشكلات لتُحرّر - بالتالي - القدس وأفغانستان وسائر بلاد المسلمين ؟ » .

وعندما يتحوّل للجواب يعبر الإمام من مواقع خبرته بمشكلات المسلمين عن جزء أساس من أفكاره في الحركة والنهضة ، حين يقول : « تكمن مشكلة المسلمين الأساسية في الحكومات المسيطرة على مقدراتهم . إنها الحكومات التي أدت بالمسلمين إلى هذا الوضع الذي هم عليه الآن . إن مشكلة المسلمين لا تكمن في الشعوب ؛ فهذه الأخيرة قادرة على حل مشاكلها بفطرتها الذاتية ؛ بل تكمن بالحكومات المتسلّطة على رقابهم .

يستمر الإمام في نصوص ومواقف أخرى بمعالجة مشكلة السلطة في إطار منظوته الإحيائية النهضوية التي جسّد معالمها الكبرى على أرض إيران ، حيث امتحن أفكاره واختبر مقولاته الممتدة من الثورة إلى الدولة ، مع كل ما رافق هاتين المحطتين الكبيرتين وما سبقهما وتلاههما من محطات ومراحل .

البُعد النهضوي بوصفه بُعداً كاشفاً لمعلم آخر من

معالم شخصية الإمام ، نلمسه راکزاً في تلك الأصالة النازعة دوماً صوب الفعل والحركة والتغيير ، والبعيدة كل البعد عن الجمود والتجبر والانغلاق .

خصلة رجحان الفعل والعمل على الكلام يشير إليها نص نادر يقول فيه الإمام : « لست من الذين يطلقون الكلام على عواهنه ، ولا من الذين إذ قال سكت عن متابعة ما يقول » .

كان حيويّاً يحذر من الكسل والانكماش واليأس . وهذه السمات النابضة بالفاعلية نجدها واضحة جلية في نص يوحى فيه سماحته : « ينبغي للأشخاص الموجودين في البلاد الإسلامية ، من أولئك المعتقدين بالإسلام الذين تنبض قلوبهم من أجل شعوبهم ، ويريدون خدمة الإسلام ، أن يقوم كل واحد منهم ببعث شعبه من داخله ، لكي تعثر شعوبهم - بالتالي - على ذواتها التي فقدوها ؛ فالشعوب التي فقدت ذواتها فقدت بلادها » .

هو جدل محكم يصدر عن فكر إحيائي - نهضوي ثاقب ، فالنص يجمع على صعيد تعبير واحد ، بين استنهاض الشعب من داخله وبعضه ليستملك ذاته

المفقودة مجدداً ، وبين كون حالة فقدان الذات مساوية لفقدان البلد ومساوقة للتبعية والذوبان والضياع .

لا نحتاج إلى عناء كبير لإثبات صوابية هذا التحليل ؛ فبين يدينا عالمنا الإسلامي الذي يسهل قراءة وقائعه وأوضاع المسلمين فيه من خلال العلاقة المتبادلة التي حددها النص الخميني بين الشعب وذاته ، وبين الذات والبلد . وإلا هل ما يشهده العالم الإسلامي سوى دليل آخر على فقدان الأمة لذاتها ؟ وهل وجدتم شعباً مستلباً ضائعاً يفلح بتشديد نهضة وإقامة عمران حضاري حقيقي ؟

وما دمنا نثير مسألة الذات فعلياً أن نلاحظ في قراءتنا لأبعاد معينة من منظومة فكر النهضة عند الإمام ، إن قضية استعادة الأمة لذاتها لا تقوم في أطروحة الإمام على بدائل مفتوحة لا عدّها لها وحصر ، كما هي قضية لا تتحمل التجريب لأنّ الخطأ فيها يعود - بل عاد فعلاً - بتبعات مفاجئة . وإذا كان فكر الإمام يرفض بداهة أن يكون تبني الغرب أساساً كخيار استنهاضي للأمة ، فإن شرط الاستعادة لديه أن تتم بالإسلام وللإسلام .

الإسلام هو هوية ذات الأمة المقطوعة . وفي غير ذلك ستظل مشكلات العالم الإسلامي على حالها ، حتى لو تم - فرضاً - بناء الذات على أساس التغريب وما سواه من تيارات الحضارة الغربية واتجاهات الفكر المعاصر . وفي ذلك يصرح الإمام : ( إن مشكلاتنا ستظل قائمة على حالها حتى نعود للإسلام ) .

إذا كانت صورة الإسلام قد تماهت وتشاكلت مع إسلامات ، رفعتها عوائل وبيوت ، وتنادت بها سلطات وعواصم ، فإن الإسلام الذي ينادي به الإمام ويجعله شرطاً لاستعادة ذات الأمة ، إنما هو إسلام رسول الله ﷺ حيث يقول في تنمة النص الأنف : ( حتى نعود إلى الإسلام ؛ إسلام رسول الله ، وسوف لن نتمكن من حلّ قضايانا فيما لو لم نرجع إلى الإسلام ) .

من شروط الاستنهاض العملي المرتبط بالواقع أن لا يقتصر على التحليل والتنظير ، ولا على مجرد الهتاف والشعار . وهذا المَعْلَم نجده هو الآخر واضحاً في شخصية الإمام ونهضته . فعن البعد الشخصي نجد الإمام - وهو قلماً يتحدّث عن نفسه - يقول : ( إنني لست ممّن إذا قال قولاً تركه هدرًا . وإذا وجدت أنّ مصلحة

الإسلام تقتضي أن أصدر حكماً فسوف أجد في إنجازه بكل طاقاتي، ولن أقف مكتوف اليدين إزاءه، بل أقف بوجه الظلم دون وجل).

هذه نقطة كاشفة في صفة قرن القول بالعمل في تكوين شخصية الإمام. وهي بنفسها نجدها في المواقف النهضوية. على سبيل المثال نعرف جميعاً أن الإمام هو الذي أعلن الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك يوماً للقدس، وطلب من المسلمين في إيران وخارجها الاحتفاء بهذه المناسبة. بيد أنه يعود بشخصه ليرفض مجرد الاحتفال والاقتصار على الهتاف والشعار، ويحث على الحركة والفعل التغيير. يقول: «إن الاكتفاء بالاحتفال بيوم القدس عن طريق إطلاق الهتافات وعقد الاجتماعات... لا يمكن أن يقف حائلاً بوجه الحكومات؛ وقد تؤدي هذه الأعمال الغرض المطلوب لكنها لا تكفي لوحدها».

ما نسعى إليه ونبتغي ترسيخه في دراسة شخصياتنا هو تجاوز النهج الذي يقتصر على الاحتفاء بكلمات التمجيد والتبجيل وذكر المؤلفات،

لنضعها في مدارها الواقعي، كونها رموزاً ريادية لم يقتصر إنجازها على مدّوعي الأمة بالفكر، وإنما تركت في وجودها بصمات مؤثرة.

وزبدة هذه المحاولة تتمثل بالنظر لهذه الرموز الريادية. إنها شخصيات كبيرة في خطّ الأحياء الذي عمّ العالم الإسلامي منذ أكثر من مائة عام، وبالتالي فإن مهمة الباحث ينبغي أن تنصرف لاستقصاء معالم الفكر الإحيائي النهضوي لدى هؤلاء، واكتشاف نظرياتهم في قضايا الأمة ومشكلاتها الحضارية.

من مزايا هذا المنهج أنه يوفر للأمة فرصاً أوفر للتعامل الخصب مع فكر أولئك وإنجازاتهم، وهو يمنح الحيوية لفكرهم بعد أن يصاغ على شكل نظريات إزاء قضايا الواقع.

كما أنه يكسر الحصار المنهجي المفروض على رجالنا ويتجاوز الإقصاء والإلغاء الذي يمارس ضدهم على أساس الانتماء المذهبي.

وحين نتحدث في نطاق المسلمين، يمكن أن نتفق على مفهوم عريض للأحياء يتألف من حس عميق بالواقع المعاش ومرارته، وتجاوزه نحو



الأفضل ، شرط أن يستند التغيير إلى رؤية فكرية تحليلية لعل الواقع المعاش ، إلى جوارها رؤية فكرية ينطلق منها برنامج يترسم منطلقات التغيير . وقد تمارس الشخصية الإحيائية بعض منطلقات فكرها في التغيير أو أُتيحت لها إمكانات ذلك ، وقد تموت وتختفي من الساحة ويبقى فكرها الإحيائي مناراً لعمل الآخرين .

ولا ريب أن الإمام الخميني تميز من بين رموز الإحياء الإسلامي خلال أكثر من قرن ، أنه توفر على البعدين في زمن واحد ، فهو صاحب نظرية أو مشروع في الإحياء ، وقد استطاع في الوقت ذاته أن ينفذ مشروعه عملياً ويحوّله إلى إنجاز متحقق على أرض الواقع .

وعند هذه النقطة تكمن أهمية دراسة شخصية الإمام الخميني كرائد إحيائي يمثل مشروعه العملي إنجازاً قائماً بالفعل ، وصاحب نهضة يمكن التوفر على اكتشاف عناصرها العامة التي تستحق التعميم في ساحات المسلمين المختلفة .

عندما ينتهي الدارس من بعض التحديدات

المنهجية التي تتناول إمكانية الإحياء الإسلامي ومعناه ، يقف حيال إنجاز الإمام وأمامه قراءتان إيجابية وسلبية « إذا صحّ التصنيف » . والأساس في هذ التصنيف أن الممارسة الإحيائية نتيجة للإسلام تارة وللواقع تارة أخرى .

فالشخصية الإحيائية تستلهم من الإسلام عوامل الإحياء وممكناته وتدفع بها إلى المسلمين ، وهذا ما نسميه بالجانب الإيجابي من الإحياء ، في حين تتجه للواقع وتعالج العقبات التي تحول دون فاعلية هذا الدين وامتداده وعطاءه ، وهذا هو الجانب السلبي الذي يشهد صراعاً ومعارك محتدمة مع جميع العوامل المعوّقة لانطلاقة الدين ، سواء عبّرت عن نفسها بصيغة عوامل تعويق داخلية أو تحديات وعقبات خارجية يفرضها الوضع الحضاري الراهن للأمة الذي يشهد استعلاء الغرب وضغوطات حضارته المادية .

والواقع أن الإمام خاض معركة ضارية في الجبهتين معاً ، ذلك أن مهمة إحياء الدين ونفض الغبار عما لحقه من ركाम التخلف والجمود بفعل



عوامل معروفة ، لم تكن أقل قسوة من ضراوة المعركة على الجبهة الثانية ؛ جبهة الواقع في معوقاته الداخلية وتحدياته الخارجية ، إن لم تكن أشدّ منها كما صرّح الإمام أكثر من مرّة .

نعرف أن هذه المحاولة محفوفة بأسئلة أساسية ومهمة عن إمكان الإحياء ومعناه وتاريخيته في حياة المسلمين ، ثم مداه وأدواته . كما نعرف أن دراسة مثل هذه لشخصية الإمام الخميني تحتاج لجهود كبيرة وتقضيّ واسع لمئات الخلفيات والمواقف وألوف النصوص والوقائع ، بيد أن الذي لا نشك فيه أنها ستعود بمعطيات مهمة على وعينا وواقعنا .

### خط الإمام الخميني

خط الإمام الخميني كما يعرفه سماحة الإمام القائد ( دام ظله الوارف ) هو : فهمه الأصيل للإسلام كرسالة إلهية ، ومنهجه العملي في التعاطي مع قضايا الإسلام والأمة .

وهذا يعني أن لخط الإمام بعدين :

البعد الأول : فهم الإمام النظري للإسلام بما

هو عقيدة وفكر وشريعة وقيم وأخلاق وخط سير وسلوك على الله .

وبالعبد الثاني : المنهج العملي للإمام في التعاطي مع قضايا الأمة المعاصرة وأحوالها وأوضاعها وشجونها وآمالها وآلامها ، وطريقته وأسلوبه العملي في مواجهة التحديات والأخطار والمحن والفتن التي يواجهها الإسلام والأمة من قبيل الاستكبار العالمي وغيره .

إن أهم أركان هذا الخطر وميزاته وخصوصياته حسبما يشير سماحة الإمام القائد ( دام ظله الوارف ) هي :

أولاً : الربانية والارتباط بالله سبحانه وتعالى ارتباطاً وثيقاً قائماً على أساس العبودية الحقيقية لله تعالى ، والإخلاص له ، والتوكل عليه في كل الحالات ، وهذا هو قوام الخط وأساسه الأول .

ثانياً : التقيد الكامل بالتكاليف والمسؤوليات الإلهية والعمل على امتثالها وتطبيقها مهما كانت النتائج .

ثالثاً : الإصرار على الالتزام بالإسلام

المحمدي الأصل وتحطيم حاجزي التحجر والالتقاط في الفهم والعمل الإسلامي .

رابعاً: التأكيد على ارتباط الحاكمية والقيادة بالولي الفقيه في عصر غيبة الإمام ( عجل الله تعالى فرجه الشريف ) ووجوب التفاف الناس حول قيادته والتقيّد بأوامره والمسؤوليات والتكاليف التي يحددها للأمة .

خامساً: الصمود في مواجهة نفوذ القوى الأجنبية المستكبرة وعدم مساومتها ، والثبات السياسي على المواقف المبدئية تجاه كل القضايا السياسية .

سادساً: الاهتمام بالجانب الروحي والمعنوي ، والعمل على بناء الذات على التقوى ، والصمود في مواجهة وساوس النفس الإنسانية أو ( سلطة شيطان النفس ) على حد تعبير الإمام القائد .

يقول الإمام القائد ( دام ظله الوارف ) عن الخصوصيتين الأخيرتين :

( هذان الأمران المهمان وهذان الميدانان

للصراع - أي الصراع مع قوى الاستكبار والصراع مع النفس - لم يكن الإمام يفصلهما عن بعض ، كان يقف في الساحة الاجتماعية والسياسية في مقابل الشيطان الأكبر وشياطين القوى المستكبرة ، وكان يجاهد في ساحة النفس الإنسانية نفسه وبصر على العمل العبادي وبناء الذات وتركيز النفس وتهذيبها ) .

سابعاً: التبنّي المستمر لقضايا المستضعفين في العالم الإسلامي ، بشكل جاد ، والدفاع عن مواقعهم وقضاياهم بكل الوسائل الممكنة ، والعمل على إنقاذهم ورفع الحرمان عنهم وتأمين العدالة الاجتماعية .

ثامناً: الإصرار على وحدة المسلمين ومحاربة محاولات بث الفرقة بين الشعوب الإسلامية .

تاسعاً: التوجه الخاص للصراع مع الكيان الصهيوني الغاصب والمحتل للقدس ، فإن قضية الصراع مع العدو الإسرائيلي كانت تحتل مكاناً في منطق وطريقة وتخطيط الإمام ( عليه السلام ) .

يقول الإمام القائد ( دام ظله الوارف ) : ( ففي

نظر الإمام تعتبر قضية الصراع مع الصهاينة من الأصول والثوابت التي لا يجوز غض النظر عنها من قِبَل الشعوب الإسلامية بأي وجه من الوجوه، وذلك لأن الإمام قد شَخَّص بدقة الدور الإرهابي والمخرب والهدّام لهذا الكيان الغاصب قبل سنوات من الثورة).

عاشراً: إعطاء الأهمية لقدرات الشعوب واعتبارها عنصراً أساسياً في أية حركة تغييرية. ( فقد كان الإمام يخاطب الشعوب ويتكلم معها، وكان يعتقد أن تحولات العالم الكبيرة إذا حدثت بأيدي الشعوب فلن تقبل الهزيمة والانكسار، وتستطيع الشعوب أن توجد تحولاً في الدنيا وتغير المحيط الذي تعيش فيه ).

الحادي عشر: إيجاد علاقات صحيحة مع الدول على مستوى العالم باستثناء الدول المستكبرة كأمريكا مثلاً ( فالعلاقة مع أمريكا مرفوضة لأنها دولة مستكبرة ومعتدية وظالمة، وهي في حالة حرب وصراع مع الإسلام ) على حدّ تعبير الإمام القائد ( مد ظله الوارف ).

لقد تميز خط الإمام من خلال هذه الخصوصيات عن سائل الخطوط السياسية المعاصرة، وبرز كخط إيماني سياسي جهادي واضح المعالم والاتجاه، واستقطب هذا الخط دون سائر الخطوط جماهير الأمة.

ونحن بحاجة دائماً إلى شرح وبيان معالم هذا الخط وأركانه وخصائصه من أجل أن نحاكم أعمالنا وسلوكنا وأداءنا على أساسه، لأنه عندما يكون الخط واضحاً لدينا نستطيع أن نحصن المسيرة الإسلامية إيمانياً وفكرياً وثقافياً وسياسياً وفي الالتزام والأداء.

### خط الإمام

من أهم مكاسب الثورة الإسلامية ظهور خط سياسي إسلامي، يعبر عن مواقفنا الاستراتيجية السياسية والجهادية، ويرتبط بمواقفنا وأصولنا الفكرية والإيمانية، وذلك هو خط الإمام الخميني (ع)، قائد الثورة الإسلامية الكبرى في عصرنا ومؤسس الجمهورية الإسلامية.

ولا شك أن ظهور خط الإمام حدث سياسي

المسلمين ، الذين سمو أنفسهم بـ ( الطلبة السائرين على خط الإمام ) ومنذ هذا التاريخ دخل هذا المصطلح في قاموس الثورة ، إلا أن مضمون خط الإمام ، والمحتوى السياسي والفكري ، لهذا المصطلح كان موجوداً في عمق الثورة ، قبل ذلك بزمان بعيد .

هام ، يستحق دراسات واسعة وتحقيقية ، فلأول مرة في العصر الحاضر يكون لجهادنا السياسي ، خط سياسي محدد المعالم ، واضح الاتجاه .

وقد ظهر مصطلح ( خط الإمام ) لأول مرة عند احتلال السفارة الأمريكية ، من قبل الطلبة

\*\*\*



النَّشَاطَاتُ السِّيَاسِيَّةُ  
لِلشَّيْخِ الْآصِفِيِّ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فِي الْعِرَاقِ

٢٠٠٣م - ٢٠١٥م

❖ د. عامر صالح العكيلي (\*)

---

(\*) باحث واكاديمي من العراق.





بدأت مرحلة جديدة في تاريخ العراق ولاسيما اثناء الاجراءات والتحضيرات التي سبقت سقوط النظام في العراق ، اذ بين الآصفي ان النظام العراقي كان مرشحاً للسقوط وفق حقيقتين اساسيتين من وجهة النظر الامريكية :

**الأولى :** أن النظام أصبح هشاً ضعيفاً في معرض السقوط ، ولم يعد بإمكان النظام الأمني الذي أسسه حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق أن يقاوم سخط الجمهور وثورة الغضب في الشارع العراقي كثيراً .

**والثانية :** إن المعارضة الإسلامية هي أقوى البدائل المرشحة للقيام مقام النظام ، وكانت هاتان الحقيقتان لا تخفيان على غرف الرصد الأمريكية

والنتيجة واضحة لديهم ، فإن سارت الأمور على طبيعتها لا بد ان يسقط النظام السياسي ، وسوف يحل الإسلاميون محل صدام ونظامه في الحكم في العراق ، والإسلاميون كما هو معروف حالة سياسية مستعصية على النفوذ الأمريكي<sup>(١)</sup> اما وجهة النظر العراقية في هذا الشأن فقد اشار اليها الآصفي بأنها ذات بعدين : الاول هو اسقاط النظام في العراق ، والثاني ايجاد بديل اسلامي للحكم في العراق يتصف بالشرعية والقبول من قبل العراقيين ، وان هذا البعد الثاني ذو اهمية خاصة فكلما يقترب النظام من السقوط تتجلى اهمية وجود البديل الاسلامي اكثر من ذي قبل<sup>(٢)</sup> لذلك تذرعت الولايات المتحدة الامريكية بتمويه مزدوج وفي وقت واحد ، حين اعلنت للشعب الامريكي وللعالم انها ستأتي الى العراق للقضاء على

اسلحة الدمار الشامل التي في حيازة النظام ، كما اعلنت للعراقيين انها جاءت لتحرير بلدهم من حكم البعث و صدام<sup>(٣)</sup> ولقد ابدى الشيخ الأصفي وحزب الدعوة اعتراضهم من خلال مؤتمرات المعارضة على طريقة تغيير النظام عن طريق الضربة العسكرية التي تخطط لها الولايات المتحدة الامريكية ، لان الحزب يعتقد ان تغيير النظام يمكن ان يتم بوسائل متعددة وبخيارات اقل كلفة ، وليس عن طريق ضربة عسكرية تؤدي الى نتائج سلبية على الشعب ، فالحزب متفق على ضرورة اسقاط النظام وينبغي محاكمته لكن الاختلاف كان مع بقية اطراف المعارضة حول طريقة تغيير هذا النظام ، فضلا عن الاشارة الى مخاطر الاحتلال والنفوذ الامريكي ومحاولته للتغيير ، لاسيما بعد رغبة الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها بطرح البديل في العراق والذي يجسد مصالحها السياسية في المنطقة<sup>(٤)</sup> .

وفي خضم تلك الاحداث اشار الشيخ الأصفي الى تصاعد الاهتمام الامريكي بالشأن الداخلي لمستقبل العراق وسعيهم لتغيير سريع في مجرى الأحداث بعد اسقاط النظام ، وكانت الآلية الوحيدة

لتحويل السلطة في العراق من صدام إلى الولايات المتحدة الامريكية هي أن تقوم الولايات المتحدة الامريكية نفسها بإسقاط صدام ، من دون العبور بالشارع العراقي ، فينتهي كل شيء وتصبح هي ومن معهم البدائل الشرعية للنظام ، والعمل على تحويل مجرى الأحداث من البديل الإسلامي إلى البديل الأمريكي ، وعلى هذا الأساس تم سقوط نظام صدام على يد الولايات المتحدة الامريكية مباشرة ، ووضعوا أيديهم على كل شيء<sup>(٥)</sup> ، وتجدر الاشارة الى ان الشيخ الأصفي بيّن ان الاحتلال الامريكي لم يأت ليحرر الشعب العراقي من وجود ذلك النظام فحسب بل لاحتلال العراق<sup>(٦)</sup> ، والهيمنة على نفطه ، وادخال العراق في دائرة النفوذ الامريكي في العالم ، وحماية ظهر اسرائيل من ناحية العراق ، والسيطرة على منطقة الخليج<sup>(٧)</sup> كما أوماً الشيخ الأصفي من خلال رؤيته السياسية الى نقطه مهمة تتعلق بمستقبل المرحلة الجديدة للعراق وذلك بأن قوى الاستكبار العالمي والنظام العراقي سيعملان على تدمير كل ما يمكن تدميره من مؤسسات ومنشآت اقتصادية وثقافية وعسكرية حتى لا يرث النظام الجديد أي شيء من

بعنوان مجلس الحكم ولم يكن هذا المجلس يملك سيادة واقعية على وجه الارض فكان الاحتلال الامريكي هو القوة الفعلية في العراق<sup>(٩)</sup> حتى بعد ان تقرر انتقال السلطة من قوات الاحتلال ومجلس الحكم الى حكومة انتقالية عراقية خلال الأشهر الاولى من سنة ٢٠٠٤<sup>(١٠)</sup> ، وتجدر الاشارة الى ان الشيخ الأصفي عاد الى العراق وهو مقتنع تماما بدعم المقاومة ضد الاحتلال بصرف النظر عن موقف الحكومة او حزب الدعوة تجاه هذا الموقف<sup>(١١)</sup> .

عمل الشيخ الأصفي بعد سقوط النظام على تعزيز دوره السياسي بقوة عند الحوزة والمرجعية الدينية لاسيما بعد استقلاله عن الانتماء الحزبي ، اذ كانت الحوزة تنظر بصورة عامة لكل الاحزاب بنوع من التوجس<sup>(١٢)</sup> ، وفي تلك المرحلة السياسية التي يعيشها العراق بيّن الشيخ الأصفي رأي المرجعية الدينية المتمثلة في السيد السيستاني من ان الظروف الحاضرة الفعلية غير ملائمة لان تتصدى المرجعية الدينية لمقاومة الولايات المتحدة الامريكية وتعلن الجهاد عليهم على مستوى المقاومة المسلحة ومن دون ان يصدر من المرجعية الدينية منع ولو بكلمة واحدة عن

ذلك ، مما يؤدي الى عدم استقراره ، لذلك دعا الأصفي - قبل سقوط النظام - الى ضرورة ان نهىئ انفسنا الى استيعاب كل هذه المشاكل والمتاعب والخراب الذي يخلفه النظام من بعده ، كما بيّن اننا في الوقت الذي نرث من النظام السابق في العراق ركائماً من تلك المشاكل والانقراض فأنا امامنا ايضاً ثروات كبيرة من التجارب والرؤى والفهم الثوري من تجاربنا السابقة ، لذا علينا ان نوطن انفسنا فنبداً البناء في المجالات كافة<sup>(٨)</sup> .

### موقفه من العملية السياسية في العراق .

عَدَّ سقوط نظام البعث عام ٢٠٠٣ مرحلة سياسية تغييرية جديدة في تاريخ العراق المعاصر ، اذ شكلت رؤية وواقع آخر بعد مرحلة حكم عصبية وطويلة مرت على الشعب العراقي ، ففي تلك السنة عاد الشيخ الأصفي الى النجف الاشرف وبيّن ان العراق مرّ بظروف سياسية وامنية واقتصادية صعبة واكبت تلك المرحلة بعد دخول الولايات المتحدة الامريكية باليات عسكرية كثيرة ومتطورة ، اذ لم تكن للعراق يومئذ حكومة ذات سيادة حقيقية - بحسب رأيه - وإنما كانت هناك تشكيلة

عمليات المقاومة التي كانت تجري على الارض ، اذ اكد السيد السيستاني في تلك الظروف وكما يقول الشيخ الأصفي على ضرورة احتواء ومصادرة المشروع الامريكي لاحتلال العراق من خلال المطالبة بتدوين دستور للعراق يشارك فيه كل الاطراف العراقية ويصوت عليه الشعب العراقي والدعوة بعد ذلك الى انتخابات نيابية عامة للعراق يشارك فيها كل العراقيين بشرائحتهم المتعددة لأجل انتخاب حكومة وطنية تمثل الشعب ، وكان من رأي المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف أنّ هذا المشروع الوطني يطوق الاحتلال ويؤدي الى افشال خطته في التحكم بمصير الشعب العراقي وتغيير هويته الثقافية<sup>(١٣)</sup> .

واشار الشيخ الأصفي الى تلقى عدد كبير من الجماهير وعلماء المسلمين في العراق هذا الرأي بالتأييد والاسناد ووقفوا الى جانبه ، وطالبوا بأجراء انتخابات عامة وبأشراف هيئة دولية أو عربية محايدة ، و اضاف ان سلطة الاحتلال بطبيعة الحال كانت تعارض هذا الرأي لأسباب واضحة لا تخفى على أحد<sup>(١٤)</sup> ، كما بيّن الشيخ الأصفي أنّ الولايات المتحدة الامريكية لم تحسب حساباً لحضور الإسلاميين الواسع في العراق ،

وثقة الشارع العراقي بالمرجعية الدينية والإسلاميين ، فضلاً عن قدرة الإسلاميين في العراق على التعاطي السياسي مع الولايات المتحدة الامريكية ، وقدرتهم على المرونة السياسية في التعامل معهم دون المساس في سلامة من دينهم وكرامتهم واستقلالهم<sup>(١٥)</sup> .

ووضح الشيخ الأصفي ان هذه النقطة كانت موضع نقاش كثير في صفوف الإسلاميين ، فكان رأي أكثرهم أنّ حضور الإسلاميين في مواقع الحكم والقرار وإن كان في دائرة النفوذ الأمريكي أفضل من الغياب ، وعلى هذا أستقر موقف الإسلاميين من الحكم في العراق ، مؤيداً برأي المرجعية الدينية الإيجابية والذي يُعدّ أمراً أساسياً في هذه المسألة ، لذلك دعم الشيخ الأصفي الموقف لإجراء الانتخابات ووقف مع المرجعية في موقفها الواعي من مسألة الانتخابات والتمثيل النيابي ، اذ انه كان مؤمناً بضرورة المشاركة الفعالة لجماهير الشعب وتقرير مصيرهم ، لاسيما بعد معاناة الشعب الطويلة في ظل النظام السابق<sup>(١٦)</sup> ، موضحاً ان المستقبل السياسي يجب ان يقرره الشعب العراقي بملء اختياره فيما يتعلق بشكل الحكم وطريقته واختيار رجال الحكم الذين يعتمدهم ، فضلاً عن

دعوته لقوى المعارضة ان تنسجم مع واقع الشعب العراقي اذا ما ارادت ان لا تنعزل عن الساحة السياسية<sup>(١٧)</sup>.

ثم بدأت مرحلة جديدة انتقل فيها الحكم من الدائرة الضيقة التي كانت تستأثر بالحكم الى المساحة الواسعة التي يحتلها الشعب اصحاب هذه السلطة الشرعيون ، اذ اشار الشيخ الآصفي الى ان مشاركة الشعب في الانتخابات تساهم في نقل السلطة اليهم مباشرة وتمكنهم من تقرير مصيرهم<sup>(١٨)</sup> ، لاسيما انه يرى ان الاحداث والصراعات السياسية المتلاحقة منحت الساحة العراقية حدا كثيرا من النضج والوعي السياسي<sup>(١٩)</sup> كما ان حضور الجمهور في الساحة السياسية هو تكليف شرعي وعمل عبادي لتحسين الساحة من المحترفين السياسيين والانتهازيين الذين يتخذون العمل السياسي حرفة ومكسبا سياسياً<sup>(٢٠)</sup> وتجدر الاشارة الى ان عودة الاسلاميين للعراق وتقلدهم السلطة - بحسب رأي الشيخ الآصفي - يُعدّ نصراً للحركة الاسلامية ، معبراً عن ذلك في مقولته اننا لم نمت كما اراد صدام ، ولن نموت كما تريد الولايات المتحدة الامريكية ، لان المستميت لا يمكن ان

يموت<sup>(٢١)</sup> .

والنتيجة التي حصلت إن الإسلاميين سجلوا حضوراً جيداً في مواقع القرار والحكم ، وانتخبهم الناس ووضعو الولايات المتحدة الامريكية أمام أمر واقع وبدأوا يضغطون عليها بالانسحاب من العراق ، وهكذا وجدت نفسها في مقلب سياسي لم تكن تحسب له حساباً من قبل ، اذ اشار الشيخ الآصفي الى انه على الرغم من أن القوات الأمريكية تجول في الشوارع والطرق بمدركاتها وتجوب سماء العراق بطائراتها العسكرية غير ان الأحداث تفاعلت بسرعة في العراق ، باتجاه رفض حضور الأجنبي وسيادته في العراق والمطالبة بانسحابه ، أو على الأقل بجدولة الانسحاب في مدة قصيرة على الأقل ، وحصلت مواجهات مسلحة كثيرة في العراق ضد الاحتلال الأمريكي اذ كانت غرف الرصد الأمريكية بتجاربها الكثيرة في هذا الميدان تتوقع قيام مقاومة مسلحة ضدهم داخل العراق في وقت قريب<sup>(٢٢)</sup> وعلى الرغم من عدم ارتباط الشيخ الآصفي في حزب الدعوة في تلك المدة الا انه اختلف مع اراء بعض اعضاء الحزب في الاقتصار على المواجهة السياسية للاحتلال الأمريكي<sup>(٢٣)</sup> ، إذ كان



يعتقد انه لولا وجود المقاومة لما خرج الاحتلال من العراق لذلك كان يؤيد دور الفصائل المسلحة التي تقاوم الاحتلال ، مؤمناً بأن العمل العسكري والسياسي يساهما معا في اخراج الولايات المتحدة الامريكية من البلاد<sup>(٢٤)</sup> .

بعد تشكيل الحكومة العراقية الجديدة ابتداءً من انتخابات عام ٢٠٠٥ وما بعدها ابدى الشيخ الأصفي ملاحظاته على العملية السياسية في العراق من خلال تسجيله عدة نقاط على ادائها وتشكيلاتها وشخصيتها ، لذلك دأب على مراقبة الاحداث بوعي ودقة ، وكان في اغلب الاحيان يتشاور مع المعنيين في الشأن السياسي معبراً عن مساندته للحكومة والعمل لتصحيح الاخطاء<sup>(٢٥)</sup> ، دون تغاضيه عن الاشارة الى ان ما نجده على ارض الواقع من عمل سياسي من قبل الحكومة لا يُعَبَّر بالتأكيد عن مبادئ وقيم ومفاهيم السيد محمد باقر الصدر لا من بعيد ولا من قريب في مفصلي ( الدولة الرشيدة ) و( الحكم الصالح ) والتي كان قد اشار اليهما في طروحاته النظرية والعملية<sup>(٢٦)</sup> الا انه رغم ذلك كان يرى وجوب المحافظة على التجربة السياسية في العراق<sup>(٢٧)</sup> ، لذلك ساهم في

ايجاد الحلول للمشاكل التي تعاني منها الحكومة<sup>(٢٨)</sup> فضلاً عن دوره في التنسيق والتعاون مع المرجعية الدينية في النجف الاشرف لأجل توجيه العمل السياسي وفق رؤيتها للمصلحة العليا للعراق<sup>(٢٩)</sup> .

وتجدر الاشارة الى ان الشيخ الأصفي ألزم بعض الدعاة الذين أعتبتهم مشاكل الحياة السياسية بالبقاء في حزب الدعوة والعمل في إطاره ، بل ألزم الكثير ممن يسأله أو يستفتيه بدعم الحكومة ، لعلمه بأن بديلها لو خرجت من يد الاسلاميين الواعيين سوف لن يكون أفضل منها<sup>(٣٠)</sup> ، وهذا ما ينسجم مع رؤيته بأن تصدي الحاكم العاجز او الجاهل في ادارة الحكم في العراق في حد نفسه خيانة ، فضلا عما يترتب على ذلك من الوقوع في شرك المشاريع السياسية والاقتصادية التي تملئها الدول الكبرى عليه<sup>(٣١)</sup> لذلك شارك الشيخ الأصفي في عدة مرات عبر بياناته السياسية في تجسيد هذه الرؤية الثاقبة وترصين المواقف الداعمة للحكومة ولم يأبه بما سيتعرض له من ضغوط وتهديدات جراء هذه المواقف المزعجة لبعض السياسيين والكتل السياسية الأخرى وبعض الشخصيات الحوزوية<sup>(٣٢)</sup> .



وفي خضم تلك الاحداث سعت الولايات المتحدة الامريكية عن طريق الارهاب الى تعطيل العملية السياسية ، لذلك عبّر الشيخ الآصفي عن اعتقاده بأن الارهاب الذي يجري في العراق حالة مبرمجة ومخططة لتعطيل العملية السياسية وإعادة الناس الذين خرجوا الى الشارع لتقرير مصيرهم السياسي الى بيوتهم من جديد ، وقوام هذا الارهاب - بحسب رأيه - هو التطرف الديني وحزب البعث والولايات المتحدة الامريكية ، وهي الاضلاع الثلاثة لمثلث الارهاب ، وان الولايات المتحدة الامريكية هي المحركة الرئيسية للتطرف الديني وحزب البعث في ممارسة الارهاب في العراق<sup>(٣٣)</sup> ، ومن هنا نجد ان الشيخ الآصفي كان يربط بين الارهاب والاحتلال ولا يجد بينهما فاصلا ، ويرى إن الاحتلال من اكبر المستفيدين من العمليات الإرهابية ففي كل عملية إرهابية تحصل في العراق تجد الولايات المتحدة الامريكية والبريطانيين تبريراً جديدا لحضورهم وبقائهم في العراق أمام الرأي العام الدولي<sup>(٣٤)</sup> وبناءً على ذلك اكد الشيخ الآصفي ان أولى مراحل مقاومة الاحتلال الامريكي هي التحضير لوعي سياسي رافض لهذا

الاحتلال في كل شرائح الامة<sup>(٣٥)</sup> كما بين ضرورة وجود ثلاث اليات لمواجهة التحدي القائم في العراق وهي :  
(٣٦)

١ - وجود الوعي السياسي لدى الجماهير ، والذي يحصنها من الاعلام المغرض الذي يسعى لاختراق هذا الوعي لدى الامة .

٢ - ضرورة وجود خطاب اسلامي مسؤول يجعل الاسلام اولويتنا الاولى ، وهذا الخطاب يجب ان يكون عقلانياً ويدعو الى الاعتصام بحبل الله وبجمع الشمل .

٣ - المقاومة ، لان العراق يعيش في اشرس ساحات الصراع ، فلا بد الى جانب الخطاب والحوار من وجود مقاومة قوية ، فالكثيرون لا يفهمون غير لغة القوة ، ونحن يجب ان نعد لهم هذه القوة ونهيئ لإسلامنا وعراقنا وساحتنا هذه المقاومة .

وتجدر الاشارة الى ان الشيخ الآصفي كان معارضاً للاتفاقية الامنية بين الحكومة العراقية والامريكية<sup>(٣٧)</sup> وظل رافضاً للوجود الامريكي في العراق وتلك الاتفاقية حتى بعد التوقيع عليها<sup>(٣٨)</sup> ، وعبر عن رفضه لكل تفاصيلها ، لاسيما في ظل النفوذ

الامريكي الموجود على العراق ، مشيراً الى انه مهما تضمنت هذه الاتفاقية من التأكيد على استقلالية العراق فهي تحمل لا محالة الكثير من معاني النفوذ والسيطرة الأمريكية على العراق سياسياً وعسكرياً وإدارياً وأخلاقياً وثقافياً واقتصادياً<sup>(٣٩)</sup> .

### موقفه من احداث النجف ومقاومة الاحتلال عام ٢٠٠٤ .

دأب الشيخ الآصفي ومنذ بداية الاحتلال في ابداء رأيه الرفض والمعادي لوجود قوات الاحتلال وظل يدافع عن ابناء الشعب العراقي في مختلف الاوقات والظروف ، ومن ذلك المواجهات التي اندلعت بين افراد جيش المهدي وقوات الاحتلال في النجف الاشرف عام ٢٠٠٤ والتي بدأت في اطراف النجف ثم وصلت الى المدينة القديمة قرب مرقد الامام علي عليه السلام<sup>(٤٠)</sup> ، حيث يُعدّ الشيخ الآصفي من الشخصيات العلمائية النادرة ممن بقى في بيته ولم يغادره الى خارج النجف اثناء اندلاع المواجهات ، لاسيما احداث النجف الاولى في شهري اذار ونيسان عام ٢٠٠٤ رغم ان بقاءه في ظل نيران الاحتلال شكل حالة امنية في غاية

الخطورة على حياته ، فضلاً عن معيشته في ظروف اقتصادية صعبة جدا اثر خلو المدينة من حركتها الاقتصادية والمعيشية للسكان بفعل المعارك الدائرة فيها<sup>(٤١)</sup> .

كما اتخذ الشيخ الآصفي موقفاً متشدداً ورافضاً لاعتداءات القوات الاسبانية على المتظاهرين في النجف والتي ادت الى استشهاد بعض منهم ، اذ كانت مواقف الكثير من علماء الدين تدعو الى تهدئة الاوضاع دون إدانة اي من الطرفين ، أي وضع الطرفين في موقف المسؤولية ، في حين اصدر الآصفي بيان يدين فيه قوات الاحتلال ، وهو من القلائل الذين يسمون تلك القوات بالمحتلين ، وعلق ذلك البيان على بعض الجدران في المنطقة القريبة من مرقد الامام علي عليه السلام ، وبقي الشيخ الآصفي خلال تلك المدة يتابع الاحداث ويتواصل مع الجميع لأجل انهاء المعارك الدائرة<sup>(٤٢)</sup> ، بل انه طالب قوات الاحتلال بالاعتذار الى الشعب العراقي لما بدر منها من اعتداءات فضلاً عن دعوته الى اخلاء النجف من المظاهر المسلحة<sup>(٤٣)</sup> .

وادى الشيخ الآصفي دوراً محورياً وفعالاً في

التوسط لحل مشكلة احداث النجف حيث كان وسيطا بين مستشار الامن القومي العراقي الدكتور موفق الربيعي والسيد مقتدى الصدر ، وقد انتقل الاصفى عدة مرات بين بناية محافظة النجف التي كان يتخذها الدكتور موفق الربيعي مقرا له وصحن الامام علي عليه السلام الذي كان يتخذها السيد مقتدى الصدر مقرا له<sup>(٤٤)</sup> ، فأدت تلك الجهود في حل الازمة مع قوات الاحتلال الامريكي والمسماة ازمة النجف الاولى عن طريق مقابله السيد مقتدى الصدر وتسليمه رسالة تتضمن عدة نقاط تم اعدادها من قبل مكتب السيد السيستاني على انها موجهه من السيد مقتدى الصدر الى البيت الشيعي الذي كان يضم في حينها مجموعة الاحزاب والشخصيات الرئيسية<sup>(٤٥)</sup> وتم ابلاغ السيد مقتدى الصدر بان هذه الرسالة هي موقف المرجعية الدينية وطلب منه التوقيع على هذه الرسالة ، ويذكر ان نقاط الرسالة تضمنت :

١ - الغاء جميع المظاهر المسلحة في النجف الاشرف ، واشغال المباني الحكومية من قبل الدوائر والمؤسسات الحكومية وانسحاب جميع مقاتلي جيش المهدي من غير ابناء محافظة النجف الاشرف من هذه المدينة ، والتوقف عن ملاحقة الاشخاص ومحاكمتهم

والتعهد بعدم العودة على ذلك .

٢ - افساح المجال للشرطة وسائر القوات الوطنية العراقية بممارسة مهامها في توفير الامن والنظام ، وعدم مزاحمتها في ذلك من أي احد .

٣ - انسحاب قوات الاحتلال الى قواعدها باستثناء وحدات صغيرة لحماية مقرها ومبنى المحافظة .

٤ - اجراء مناقشات واسعة مع ممثلي البيت الشيعي بشأن مستقبل جيش المهدي والملفات القضائية وعدم اتخاذ أي اجراء الى ذلك الحين<sup>(٤٦)</sup> .

وعبر الشيخ الاصفى على النقاط الواردة في تلك الرسالة بأنها افضل ما يمكن عمله في الوقت الحاضر ، وعلى اثر ذلك تم انتهاء الازمة في حينها بعد موافقه الاطراف المشمولة بالاتفاق عليها<sup>(٤٧)</sup> ، وعند تجدد الاشتباكات في النجف الاشرف ندد الاصفى بقوات الاحتلال وانتهاكاتهما من خلال القصف والرمي والقتل العشوائي الذي يجري في النجف وسائر المحافظات العراقية ، ودعا الى العودة الى الهدنة بين جيش المهدي وقوات الاحتلال للوصول الى تفاهم

وانهاء حالة التوتر في المجال العسكري ، ولم يتوانى ابداً عن اصدار البيانات وابداء المواقف الايجابية من خلال اللقاءات مع الاطراف العراقية لعودة الهدوء الى محافظة النجف الاشرف<sup>(٤٨)</sup> .

### موقفه من الفدرالية .

اشار الشيخ الأصفي الى ان الدعوة الى الفدرالية حق دستوري صرح به الدستور وهو حق مشروع ، ولكن هذه الدعوة تتضمن مشاريع سياسية خطيرة تعد من الكوارث السياسية في تاريخ العراق المعاصر بعد سقوط نظام البعث ، اذ بين انه ليس لنا أن نسيء الظن بدعاة الفدرالية ولكننا لا نشك ان هذه الدعوة تحمل هذه المشاكل لمستقبل العراق السياسي وحاضره ارادوا ذلك ام لم يريدوها ، وهذه المشاريع هي اعادة الطائفية السياسية الى العراق بتعميق وتركيز ، ثم ايجاد مناطق محمية آمنه لانطلاق حملات الارهاب واعادة تنظيم حزب البعث في العراق بعيداً عن متناول اجهزة الامن المركزية في العراق وبعدها يتم تقسيم العراق والورقة التي توظفها هذه العصابات في إعادة الطائفية السياسية هي ورقة الفدرالية<sup>(٤٩)</sup> .

ووضح الشيخ الأصفي إن العراق بتكوينه الحاضر ومكوناته الحضارية والسكانية والسياسية والاقتصادية يُعدّ قوة سياسيّة واقتصاديّة وعسكريّة وثقافيّة كبيرة تقع عليه مسؤولية مواجهة التحديات الكثيرة في المنطقة ، وان تجزئة العراق وتقسيمه عن طريق الفدرالية يُضعف هذه القوة بالتأكيد<sup>(٥٠)</sup> ، كما بين ان الجمهور الذي يتفاعل مع هذا الطرح لا يعرف الغايات والنوايا التي يطلبها المخططون لمشروع الفدرالية ، لاسيما وانها سبيل لعودة الطائفية السياسية مرة اخرى الى مواقع القرار الاداري والأمني والاعلامي في المحافظات العراقية<sup>(٥١)</sup> .

### موقفه من الفتنة الطائفية في العراق ٢٠٠٤-٢٠٠٨ .

اشار الشيخ الأصفي على ان اشعال الفتنة الطائفية هو مشروع ورثته الولايات المتحدة الامريكية من البريطانيين ، لانهم لا يجدون اداة تخدم اهدافهم واطماعهم مثل اشعال الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة<sup>(٥٢)</sup> ، وعبر الشيخ الأصفي عن وجهة نظره في دور القوى العالمية في اشعال هذه الفتنة ،

فقال انه من الخطأ أن ننظر الى هذه الفتنة نظرة تجريدية سطحية معزولة عن الاسباب والخلفيات التي تكمن وراءها وبمعزل عن اللعبة السياسية التي تمارسها انظمة الاستكبار الغربي في العالم الاسلامي ، وبين الشيخ ان للولايات المتحدة الامريكية حضور ملموس في حوادث العنف الطائفي في العراق عن طريق تغذية مصادر الارهاب وفي تغليب جهة على جهة اخرى ، فضلا عن العمل في نشر جدران الفصل الطائفي بين المدن والمناطق والذي اثار غضب الشيعة والسنة معاً لما له من اثر في تعميق للحالة الطائفية<sup>(٥٣)</sup>.

ولأجل ايجاد الحلول في هذا الاطار يتطلب الاتفاق ابتداء على جذور المشكلة التي يعتقد الشيخ الأصفي انها جذور سياسية بامتياز ألّبت لباس الدين وحملت شعاره وهو ما يعني ان الحل يفترض ان يكون سياسياً ايضاً ، وفي طور ذلك كانت له آراء وطروحات بهذا الخصوص ، اذ بين الشيخ ان الانقسام الطائفي اذا كانت جذوره سياسية فان تجلياته سياسية ايضاً مرتبطة بشكل وثيق بسياسة الدول العربية والإسلامية وطريقة تعاطيها مع التنوع

الطائفي بين ابناء شعبها وفشلها الذريع بتحقيق مفهوم الدولة القومية التي تتسع لكل مواطنيها بغض النظر عن انتماءاتهم العقائدية ، ويشير الشيخ الأصفي ايضاً في هذا الخصوص الى انعدام شعور المواطنة عند ابناء أي دولة وعدم اعطاء كافة الحقوق المدنية والسياسية والدينية بشكل كامل ومتساوي لكل مكونات الشعب يجعل الانتماء الطائفي ملاذاً إجبارياً بديلاً عن الوطن<sup>(٥٤)</sup>.

كما اكد الشيخ الأصفي رفضه التجاوز على أي مكون في العراق بل انه كان في مقدمة من يستنكر ويشجب هذا الامر ، فضلاً عن عدم دخوله حرباً إعلامية شيعية سنية في هذا المجال لأنه لا يفرّق في هذا الإنكار والشجب بين أن يكون العدوان على أهل السنة أو على الشيعة في العراق ، والشيعة والسنة عنده في ذلك سواء بحكم الله ورسوله<sup>(٥٥)</sup> لذلك دعا الأصفي الى تحصين الساحة العراقية من الفتنة الطائفية واحباط خطط الأعداء في تفجير هذه الفتنة<sup>(٥٦)</sup> ، من خلال عرضه لمنهاج مكافحة هذه الفتنة بالوعي والخطاب ، واللقاء والحوار ، والعمل المشترك<sup>(٥٧)</sup> وتطبيق ذلك بمراقبة الساحة والأحداث



والفتن التي تشتعل هنا وهناك ، وتشخيص أمثال هذه الفتن بصورة مبكرة قبل أن تشتعل وتؤدي إلى حرائق واسعة في مجتمعنا تصعب السيطرة عليها ، ثم التوعية والتثقيف الإسلامي - السياسي والتأكيد على حرمة المسلم وحصانته وحرمة انتهاك كرامته وحرمة تكفيره ، فضلاً عن تعزيز وحدة الأمة الإسلامية والأخوة الإسلامية ، ناهيك عن ضرورة الاهتمام في المساحة المشتركة بين المسلمين الشيعة والسنة في اصول الدين والفقه والتفسير ، والمواقف السياسية والمصالح الإسلامية العالية ، والتأكيد على وحدة العراق بشيعة وسنة وضرورة العيش المشترك والتفاهم فيما بينهم<sup>(٥٨)</sup> .

### الشيخ الأصفي ودعمه للحشد الشعبي .

تعد قضية الحشد الشعبي<sup>(٥٩)</sup> قضية مهمة عند الشيخ الأصفي فهي استكمال لجهاده السابق ضد النظام البعثي<sup>(٦٠)</sup> ، لاسيما وان الجهاد - وفق رؤيته - تشريع حركي يناسب الظرف الزمني والوضع السياسي والمحيط الذي ينفذ ويتحرك فيه<sup>(٦١)</sup> ومن هنا يشير الشيخ الأصفي الى خطورة ما يجري في العراق ، مبيناً انها الحلقة الاخيرة من مؤامرة واسعة تقودها الولايات المتحدة الامريكية و( اسرائيل ) والمملكة العربية السعودية ودولة قطر وغيرهم

يبدو للباحث أن ما أفرزته الانتخابات بعد سقوط النظام في العراق عام ٢٠٠٣ ، وظهور المكونات المغيبة والاحزاب والكتل على الساحة السياسية ، ومن ثم تمسكها بحقها في رئاسة الحكومة وادارة مفاصل الدولة ، أغاض البعض ممن يوالون النظام السابق ، فضلاً عن مواقف بعض الدول العربية ممن لم يألفوا وجود هذه المكونات على قمة السلطة ، لذلك عملوا بقوة على عرقلة

يبدو للباحث أن ما أفرزته الانتخابات بعد سقوط النظام في العراق عام ٢٠٠٣ ، وظهور المكونات المغيبة والاحزاب والكتل على الساحة السياسية ، ومن ثم تمسكها بحقها في رئاسة الحكومة وادارة مفاصل الدولة ، أغاض البعض ممن يوالون النظام السابق ، فضلاً عن مواقف بعض الدول العربية ممن لم يألفوا وجود هذه المكونات على قمة السلطة ، لذلك عملوا بقوة على عرقلة



لإفشال العملية السياسية في العراق وإرجاع المواليين للنظام السابق الى مواقع القرار مرة أخرى<sup>(٦٣)</sup>.

لذلك شارك الشيخ الأصفي أبناء الحشد الشعبي في ساحات المعارك عن طريق زياراتهم في مختلف مناطق العراق لأجل رفع معنوياتهم وتقوية عزيمتهم ، ولم يترك منطقة من مناطق العراق تتواجد فيها قوات للحشد الشعبي الا وزارها وتفقد مقاتليها على الرغم من سوء حالته الصحية واشتداد المرض عليه في حينها ، فبعد تحرير مناطق العلم والبو عجيل في محافظة صلاح الدين قرر الذهاب هناك وبقي ثمانية ايام زار فيها مناطق ديالى وأمرلي وتكريت اضافة الى منطقة جرف الصخر ، وتجدر الإشارة الى ان الشيخ عندما كان يذهب لزيارة تلك المناطق فإنه يتواجد في الاماكن المتقدمة من الجبهات ويقول انا لست افضل من هؤلاء المجاهدين ، كما انه لا يفرق بين فصائل المقاومة ، اذ زار الجميع وطالبهم بالتوحد لمواجهة مجاميع الارهاب<sup>(٦٣)</sup> وموضحاً لهؤلاء المقاتلين إنَّ الموت في سبيل الله بيع ربيع ، يبادل فيه الانسان نفسه وماله والانفس التي يحبها بلقاء الله في الآخرة والجنة ونعيمها<sup>(٦٤)</sup>.

وبين الشيخ الأصفي اعتزازه بالمقاتلين الشباب إذ قال ان العراق الذي يحتضن مثل هؤلاء الشباب الغياري على دينهم ووطنهم وكرامتهم لن يخسروا المعركة بأذن الله<sup>(٦٥)</sup> كما انه قام بتشجيع الكثير من الطلاب والشباب في الذهاب الى ساحات القتال ومشاركة المقاتلين في كل شيء<sup>(٦٦)</sup> ، ناهيك عن اقتراحه لهم ان يعملوا معيشة مع مقاتلي الحشد الشعبي في جبهات القتال ليس لأجل القتال ، وانما لكي يشموا رائحة البارود والحرب لان هذا الشيء يرفع من معنوياتهم ويجعلهم يعيشون اجواء الجهاد والشعور بالمسؤولية<sup>(٦٧)</sup> مؤكداً للجميع على ضرورة الايمان بالنصر وتدخّل المشيئة الالهية لتحويل مجرى الاحداث السياسية والعسكرية والاقتصادية لصالح الفئة القليلة من المؤمنين وانها جزء جوهري من عقيدتنا ، واساس ايماننا بالله تعالى<sup>(٦٨)</sup> ، ومن هنا نجد الشيخ الأصفي بقيّ ولآخر لحظة في حياته وهو على فراش الموت يطالب بالدفاع عن الحشد الشعبي<sup>(٦٩)</sup> بل انه طالب الجماهير في القيام بالمسيرات المؤيدة والمدافعة عنه ، لأنه كان مؤمناً بأن العراق سيضل قوياً وعزیزاً بوجود هذا الحشد الشعبي<sup>(٧٠)</sup>.

## الهوامش :

- [١] محمد مهدي الأصفي ، التحديات الثلاثة الكبرى في عصرنا ، ط ١ ، مجمع اهل البيت عليه السلام ، النجف ، ٢٠١٠ ، ص ٧١ .
- [٢] صحيفة الجهاد ، العدد ١٤٢ ، السنة الخامسة ، ايران ، الاثنين ، ٢٥ حزيران / ١٩٨٤ ، ص ١٣ .
- [٣] محمد مهدي الأصفي ، لبيك داعي الله ، المصدر السابق ، ص ٢١ .
- [٤] ابراهيم الجعفري ، المصدر السابق ، ص ٣٥ ، ٦٦ .
- [٥] محمد مهدي الأصفي ، التحديات الثلاثة الكبرى في عصرنا ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .
- [٦] محمد مهدي الأصفي ، في رحاب القرآن ، ج ١٣ ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .
- [٧] محمد مهدي الأصفي ، رسالة الى خطباء المنبر الحسيني ، المصدر السابق ، ص ١٦ .
- [٨] صحيفة الجهاد ، العدد ٧٤ ، السنة الرابعة ، ايران ، الاثنين ، ١٤ شباط / ١٩٨٣ ، ص ٩ .
- [٩] محمد مهدي الأصفي ، المؤسسة الدينية بين الواقع والافتراء ، المصدر السابق ، ص ٣١ .
- [١٠] بيان للشيخ الأصفي حول الانتخابات العامة في العراق ، في ٢٠ ذي القعدة ١٤٢٤هـ الموافق ١٢ كانون الثاني ٢٠٠٤ ( حصل عليه الباحث من محمد صادق الشيخ كاظم الحلبي صهر الشيخ الأصفي ) ، للمزيد ينظر: ملحق رقم ( ١٧ ) .
- [١١] مقابلة اجراها الباحث مع غالب الشابندر ، المصدر السابق .
- [١٢] مقابلة اجراها الباحث مع السيد محمد محمد الحيدري ، المصدر السابق .
- [١٣] محمد مهدي الأصفي ، المؤسسة الدينية بين الواقع والافتراء ، المصدر السابق ، ص ٣٢ ، ٣٣ .
- [١٤] بيان للشيخ الأصفي حول الانتخابات العامة في العراق ،
- المصدر السابق ، للمزيد ينظر: ملحق رقم ( ١٧ ) .
- [١٥] محمد مهدي الأصفي ، التحديات الثلاثة الكبرى في عصرنا ، المصدر السابق ، ص ٧٢-٧٣ .
- [١٦] بيان الشيخ الأصفي حول الانتخابات العامة في العراق ، المصدر السابق ، للمزيد ينظر: ملحق رقم ( ١٧ ) .
- [١٧] صحيفة الجهاد ، العدد ١٨٨ ، السنة السادسة ، ايران ، الاثنين ، ٢٧ ايار / ١٩٨٧ ، ص ٦ .
- [١٨] محمد مهدي الأصفي ، الموقف من العنف والارهاب والفتنة الطائفية ، المصدر السابق ، ص ١٢ .
- [١٩] محمد مهدي الأصفي ، النهج القرآني للتعامل مع الكفار ، ط ١ ، مجمع اهل البيت ، النجف ، ٢٠١٠ ، ص ١٢ .
- [٢٠] محمد مهدي الأصفي ، لبيك داعي الله ، المصدر السابق ، ص ٧٣-٧٤ .
- [٢١] صحيفة الجهاد ، ملحق خاص بمناسبة مرور ٢٦ عاما على تأسيس حزب الدعوة الاسلامية ، المصدر السابق ، ص ٦ .
- [٢٢] محمد مهدي الأصفي ، التحديات الثلاثة الكبرى في عصرنا ، المصدر السابق ، ص ٧٣-٧٤ .
- [٢٣] مقابلة اجراها الباحث مع السيد محمد محمد الحيدري ، المصدر السابق .
- [٢٤] مقابلة اجراها الباحث مع السيد مهدي الحسني ، المصدر السابق .
- [٢٥] حسين بركة الشامي ، محمد مهدي الأصفي المفكر الداعية والانسان ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .
- [٢٦] لقاء خاص بالشيخ الأصفي في حفل افتتاح ( جامع وحسينية الثقليين ) بحضور رجال دين واساتذة ومثقفين وَاخص بالذكر منهم الدكتور صالح العلوي والدكتور نعيم بنيان والدكتور مزهر الخفاجي والدكتور ماجد حميد ،

بغداد . منطقة البلديات ، يوم الخميس المصادف ١١/٢٨ / ٢٠١٣ ؛ ويبدو للباحث ان رؤية الدولة التي وضعها السيد محمد باقر الصدر ليست هي نفسها التي وضعتها الولايات المتحدة الاميركية مع قوى المعارضة ، وكانت تلك الرؤية المشتركة التي وضعت في خارج العراق قبل اسقاط النظام عام ٢٠٠٣ لا تتوافق ولا تتلائم مع رؤية الدولة عند السيد محمد باقر الصدر مؤسس حزب الدعوة الاسلامية ، الباحث .

[٢٧] مقابلة اجراها الباحث مع الشيخ جميل ابو حسين الربيعي ، المصدر السابق .

[٢٨] مقابلة اجراها الباحث مع السيد هاشم الموسوي ، المصدر السابق .

[٢٩] حسين بركة الشامي ، محمد مهدي الأصفي المفكر الداعية والانسان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

[٣٠] عبد الاله نعمة الشبيب ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

[٣١] محمد مهدي الأصفي ، فقه الاعتراض ، المصدر السابق ، ص ٨٠٧ .

[٣٢] عبد الاله نعمة الشبيب ، المصدر السابق ، ص ١٠ ؛ ويظهر ذلك جلياً في خطبه وبياناته ولقاءاته التلفزيونية وخطبه في المؤتمرات والندوات وغيرها ، الباحث .

[٣٣] محمد مهدي الأصفي ، الوعد الصادق - دلالات ودروس عن انتصار حزب الله على إسرائيل ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

[٣٤] محمد مهدي الأصفي ، لبيك داعي الله ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠٢٣ .

[٣٥] محمد مهدي الأصفي ، رسالة الى خطباء المنبر الحسيني ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠٢٧ .

[٣٦] محمد مهدي الأصفي ، مؤتمر مؤسسة البلاغ والارشاد الاسلامي ، بغداد ، يوم الاحد المصادف الاحد ١٢ / ٤ / ٢٠١٥ .

[٣٧] وهي اتفاقية امنية بين العراق والولايات المتحدة الاميركية ، تنص هذه الاتفاقية على انسحاب القوات الأميركية المقاتلة

من المدن والقرى والقصبات بتاريخ لا يتعدى حزيران ٢٠٠٩ ، على أن تنسحب جميع القوات الأميركية بتاريخ لا يتعدى ٣١ كانون الأول ٢٠١١ وتحل محلها القوات العراقية ، الا ان تفاصيل الاتفاقية بينت الامتيازات الكثيرة التي حصلت عليها الولايات المتحدة الاميركية من اعفاءات للضرائب والسماح لهم بالتدخل في التحركات العسكرية وغيرها مما يسهم بشكل كبير في اضعاف السيادة العراقية ، للمزيد ينظر: فؤاد قاسم الامير ، آراء وملاحظات حول الاتفاقية الأمنية المقترحة بين العراق والولايات المتحدة ، ط ١ ، دار الغد ، بغداد ، ٢٠٠٨ .

[٣٨] مقابلة اجراها الباحث مع السيد احمد رضا المؤمن ، المصدر السابق .

[٣٩] بيان الشيخ محمد مهدي الأصفي حول الاتفاقية الامنية في ٢٠ جمادي الثانية ١٤٢٦ الموافق ٢٦ / ٧ / ٢٠٠٥ .

[٤٠] حامد الخفاف ، الرحلة العلاجية لسماحة السيد السيستاني وازمة النجف عام ٢٠٠٤ ، ط ١ ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص ٧ .

[٤١] اتصال هاتفي اجراها الباحث مع السيد جاسم العنكوشي ، مرافق الشيخ الأصفي ، النجف ، الساعة العاشرة مساءً ، يوم الخميس المصادف ٢١ / ١ / ٢٠١٦ .

[٤٢] مقابلة اجراها الباحث مع السيد احمد رضا المؤمن ، المصدر السابق .

[٤٣] بيان الشيخ الأصفي حول اعتداءات الاحتلال الاميركي في النجف وكربلاء ومسجد السهلة في ٦ من ربيع الثاني ١٤٢٥ الموافق ٢٥ آيار ٢٠٠٤ .

[٤٤] اتصال هاتفي اجراها الباحث مع الدكتور موفق الربيعي ، المصدر السابق .

[٤٥] حامد الخفاف ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .

[٤٦] رسالة تتضمن اربع نقاط من قبل مكتب السيد السيستاني

[٥٩] الحشد الشعبي هي قوات نظامية عراقية ، وجزء من القوات المسلحة العراقية ، تأسست بأمر القائد العام للقوات المسلحة ومؤلفة من حوالي ٦٧ فصيلاً ، تشكلت بعد فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقتها المرجعية الدينية في النجف الأشرف بزعامة السيد علي السيستاني في ١٣ حزيران ٢٠١٤ ، وذلك بعد سيطرة العصابات الارهابية ( داعش ) على مساحات واسعة في عدد من المحافظات الواقعة شمال بغداد ، الا ان القوات العراقية المسلحة والحشد الشعبي اوقفوا تقدم العصابات الارهابية ثم استعادة تلك الاراضي وتحريرها ورفع العلم العراقي فوق مبانيها بعد عودة الحياة اليها من جديد ، وأقر قانون هيئة الحشد الشعبي بعد تصويت مجلس النواب العراقي بأغلبية الأصوات لصالح القانون في ٢٦ تشرين الثاني ٢٠١٦ ، للمزيد ينظر: موقع الحشد الشعبي .

<http://al-hashed.net>

[٦٠] مقابلة اجراها الباحث مع محمد صادق الشيخ كاظم الحلفي ، المصدر السابق .

[٦١] محمد مهدي الأصفي ، الجهاد ، موسوعة الأصفي . الآثار الفقهية ، ج ٤ ، ط ١ ، مؤسسة بوستان ، قم ، ٢٠١٥ ، ص ٢٥ .

[٦٢] بيان للشيخ الأصفي حول اندفاع ومشاركة الشباب في الحشد الشعبي في ١٦ شعبان ١٤٣٥ هـ الموافق ١٥ / ٦ / ٢٠١٤ ( حصل عليه الباحث من محمد صادق الشيخ كاظم الحلفي صهرالشيخ الأصفي ) ، للمزيد ينظر: ملحق رقم ( ٢٠ ) .

[٦٣] مقابلة اجراها الباحث مع السيد حيدرالعنكوشي ، المصدر السابق .

[٦٤] محمد مهدي الأصفي ، الموت الأخضر ، القسم الثاني ، ط ١ ، مجمع اهل البيت ، النجف ، ٢٠١٢ ، ص ٣٣ .

[٦٥] بيان للشيخ الأصفي حول اندفاع ومشاركة الشباب في الحشد الشعبي ، المصدر السابق ، للمزيد ينظر: ملحق رقم ( ٢٠ ) .

الى السيد مقتدى الصدر في ٦ ربيع الثاني ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٥ / آيار ٢٠٠٤ ) حصل عليها الباحث من كتاب حامد الخفاف ، الرحلة العلاجية لسماحة السيد السيستاني وازمة النجف عام ٢٠٠٤ ) ، للمزيد ينظر: ملحق رقم ( ١٨ ) .

[٤٧] حامد الخفاف ، المصدر السابق ، ص ٦٠-٦١ .

[٤٨] بيان الشيخ الأصفي حول اعتداءات الاحتلال في النجف وباقي المحافظات في ١٩ جمادي الثانية ١٤٢٥ الموافق ٥ / ٨ / ٢٠٠٤ .

[٤٩] محمد مهدي الأصفي ، رسالة الى خطباء المنبر الحسيني ، المصدر السابق ، ص ٢٨-٢٩ .

[٥٠] بيان الشيخ الأصفي حول الفدرالية في ٢٠ جمادي الثانية ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٦ / ٧ / ٢٠٠٥ .

[٥١] محمد مهدي الأصفي ، رسالة الى خطباء المنبر الحسيني ، المصدر السابق ، ص ٢٨-٣٠ .

[٥٢] محمد مهدي الأصفي ، الموقف من العنف والارهاب والفتنة الطائفية ، المصدر السابق ، ص ١٩ .

[٥٣] محمد مهدي الأصفي ، الامة الواحدة والموقف من الفتنة الطائفية ، المصدر السابق ، ص ١٥-١٨ .

[٥٤] علي محمد كريم ، المصدر السابق ، ص ٧ .

[٥٥] محمد مهدي الأصفي ، الموقف من العنف والارهاب والفتنة الطائفية ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .

[٥٦] بيان للشيخ الأصفي فيما يخص الفتنة الطائفية في ١٨ صفر ١٤٣٤ هـ الموافق ١٣ / ١٢ / ٢٠١٢ ) حصل عليه الباحث من محمد صادق الشيخ كاظم الحلفي صهرالشيخ الأصفي ) ، للمزيد ينظر: ملحق رقم ( ١٩ ) .

[٥٧] محمد مهدي الأصفي ، في ضيافة الرحمن . تأملات ورؤى في مناسك الحج والعمرة ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

[٥٨] محمد مهدي الأصفي ، لبيك داعي الله ، المصدر السابق ، ص ٢٦-٢٥ .

السابق ، ص ٤٠ .  
[٦٩] مقابلة اجراها الباحث مع الشيخ جميل ابو حسين الربيعي ،  
المصدر السابق .  
[٧٠] محمد مهدي الآصفي ، حوار حول الحشد الشعبي تم نشره  
في يوم الثلاثاء المصادف ٣٠ / ٦ / ٢٠١٥ ، يوتيوب ،  
www . youtube . com / watch?v=٣H٠٤cvJeJO .

[٦٦] مجلة الغدير، تصدر عن مركز الدراسات والبحوث في ولاية  
الفيق ، السنة الاولى ، العدد الثالث ، النجف ، حزيران ٢٠١٥ ،  
ص ٥٤ .  
[٦٧] مقابلة اجراها الباحث مع السيد احمد رضا المؤمن ، المصدر  
السابق .  
[٦٨] محمد مهدي الآصفي ، في علاقة النصر بالله ، المصدر







ملف العدد:

# الزيارة الأربعينية والإبعاد الدينية والجهادية

❖ الأربعين الحسيني حُلُوّ الشهادة والقيم الحسينية محاضرات الامام الحامني دام ظله

❖ الثورة الحسينية وزيارة الأربعين الحسيني وأثرها الفكري والعقائدي في جهاد الحشد الشعبي

❖ دور الأربعين في صناعة الشخصية المهدوية

❖ دور الزيارة الأربعينية في الإصلاح

❖ زيارة الأربعين في ميزان النهوض الحضاري





الاربعين الحسبي  
خلود الشهادة والفيمة الحسينية  
محاضرات الامام الخامنئي دام ظلّه

❖ إعداد: إبراهيم الأسدي (\*)

---

(\*) باحث وكاتب من العراق.



من أين تأتي أهمية الأربعين ؟ هل هي مجرد مرور أربعين يوم على استشهاد الشهيد ، ما هي خصوصية الأربعين ؟ خصوصية الأربعين تكمن في أن في أربعين الحسين عليه السلام إحياء لذكرى شهادة الحسين عليه السلام ؛ وهذا أمر مهم للغاية .

افترضوا بأن تقع هذه الشهادة العظيمة في التاريخ ؛ أي أن الحسين بن علي عليه السلام وبقية الشهداء يستشهدون في كربلاء ، لكن بني أمية ، كما تمكنوا من قتل الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام ، ودفنوا أجسادهم تحت التراب ، يتمكنون من محو ذكرى وخاطرة هذه الذرية الطاهرة من أذهان الأجيال البشرية ، في تلك الأيام والأيام التالية . هل كانت لتلك الشهادة فائدة للعالم الإسلامي ؟ وإن تكن ذات أثر

لذلك العصر ، هل هذه الخاطرة كانت ذا أثر في التاريخ وهل كان لها أثر في تنوير الأجيال المتأخرة في مواجهة الظلم الذي يجري عليهم من قبل ظلمة وحكام عصرهم .

لو قتل الحسين عليه السلام ، ولم يعرف الناس في ذلك اليوم والأجيال التي من بعده بهذه الشهادة ، هل كان لهذه الخاطرة أثر أو دور في توعية الناس وهدايتهم وإثارة الشعوب والمجتمعات والتاريخ ؟ تعلمون جيداً ، بأنها لم تكن ذات أثر . نعم ؛ الحسين عليه السلام يستشهد ، ويصل إلى أعلى عليين في المرضاة الإلهية ؛ الشهداء الذين استشهدوا في الغربة والظلام ولم يعلم بهم أحد ، ينالون أجرهم في الآخرة ، تنال أرواحهم الروح والريحان عند الله تعالى . لكنهم هل يصبحون أسوة

ودرساً للآخرين ؟

متى يصبح الشهداء أسوة ؟ تصبح سيرة الشهيد درساً وعبرة للناس ، عندما يعلم الناس والأجيال الحاضرة والقادمة بقصة شهادته ومظلوميته . الشهيد الذي يتدفق دمه ويسري إلى أعماق التاريخ يصبح درساً واسوة للأجيال .

مظلومية شعبٍ ما تصبح مرهماً يداوي جراحه الملتهبة ظلماً وعدواناً ، عندما تتحول هذه المظلومية إلى صرخة ، تصل إلى أسماع الناس . لذلك تلاحظون الضجة التي تفتعلها القوى الاستكبارية لكي لا يصل صوتنا إلى الشعوب . لذلك تلاحظون القوى الاستكبارية مستعدة لدفع الأثمان الباهضة لكي لا يعلم العالم ما هي تفاصيل الحرب المفروضة وما هي عواملها وما هي الدوافع التي تكمن خلفها ، وعلى يد من ، وبدعم من فرضت علينا هذه الحرب .

في ذلك الوقت أيضاً ، الجهاز الاستكباري كان مستعداً لصرف جميع ما في يده ، من أجل أن لا يبقى اسم الحسين عليه السلام وذكر الحسين ، ودم الحسين عليه السلام والشهادة في عاشورا ، درساً للناس في ذلك الزمان

والشعوب الآتية . بالطبع ، في البداية ما استطاعوا أن يدركوا جيداً ، عظمة هذا الأمر . كل ما مرّ الزمان ، عرفوا أكثر . في أواسط العصر العباسي ، عندما أدركوا تأثير هذه الزيارة في معرفة الناس ، قاموا بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام ، فتحوا الماء عليه ؛ أرادوا أن لا يبقوا له أثر .<sup>(١)</sup> هذا هو دور ذكرى الشهداء والشهادة . الشهادة ، بدون ذكرى ، وبدون إحياء لهذه الذكرى ، من غير تدفق دماء الشهداء ، ليس لها أثر . الأربعين ، هو اليوم الذي رفعت به راية الشهادة ، هو اليوم الذي اعتلت به رسالة كربلاء ويوم ذوي الشهداء ؛ سواء كانت عائلة الإمام الحسين عليه السلام أتت إلى كربلاء<sup>(٢)</sup> أم لم تأتي .<sup>(٣)</sup>

لكن الأربعين الأول هو اليوم الذي أتى أول زائري الحسين بن علي عليه السلام لزيارة قبره إلى كربلاء ؛<sup>(٤)</sup> جابر بن عبد الله الأنصاري ،<sup>(٥)</sup> وعطية<sup>(٦)</sup> من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ومن أنصار أمير المؤمنين عليه السلام . كما ورد في التاريخ ، جابر بن عبد الله كان رجلاً ضريباً ، وكان عطية ماسك بيده يقوده نحو قبر الحسين بن علي عليه السلام . وعندما لمس القبر بكى وأخذ يتكلم مع الحسين بن علي عليه السلام .<sup>(٧)</sup>



فهو بمجيئه وكلامه مع الحسين عليه السلام ، أحيا ذكرى الحسين بن علي عليه السلام ، وأسس سنة زيارة قبور الشهداء ، يوم الأربعين ، هو يوم بهذه العظمة والأهمية .

### الأربعين ، استذكارة النهضة الحسينية

أساساً ، أهمية الأربعين تكمن في هذه النقطة ، بأن في هذا اليوم ، بتدبير إلهي ، أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خلدوا ذكرى النهضة الحسينية وإلى الأبد وتأسست هذه السنة . إذا لم يحرص ذوي الشهداء وأصحاب العزاء ، في الحوادث المختلفة ، كاستشهاد الحسين بن علي عليه السلام في عاشوراء ، على إحياء ذكر وأثار الشهادة ، لم يكن لهذه الشهادة الأثر المطلوب ولا يمكن الاستفادة القصوى من معطياتها .

صحيح إن الله تعالى يحيي الشهداء في هذه الدنيا ويبقى ذكر الشهيد في أذهان الناس ، لكن السبب الطبيعي الذي جعله الله لهذا الأمر - كباقي الأمور - هو الشيء الذي جعله الله باختيارنا وإرادتنا . نحن نستطيع من خلال اتخاذ القرار الصحيح والمناسب أن نحيي ذكرى الشهداء ونخلّد فلسفة

ومفهوم الشهادة .

إن لم تقوم السيدة زينب الكبرى عليها السلام والإمام السجاد عليه السلام خلال الأسر - سواء في عصر عاشوراء عندما كانوا بكرباء ، وسواء في طريقهم إلى الشام والكوفة ومن ثم في زيارتهم لكربلاء ثم في طريقهم إلى المدينة ، وعلى طوال السنين التي عاشوا بها بعد واقعة عاشوراء<sup>(٨)</sup> - بإفشاء الأمر وتبيين ما جرى على الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء وبيان حقيقة وفلسفة عاشوراء وهدف الحسين بن علي عليه السلام وما فعلته الأعداء من ظلم بحق الحسين عليه السلام ،<sup>(٩)</sup> لما بقيت عاشوراء متدفقة حية ومشتعلة إلى يومنا هذا .

لماذا يؤكد الإمام الصادق عليه السلام على البكاء على الحسين عليه السلام ولماذا كل هذا الثواب لمن ينشد شعرا على الحسين عليه السلام أو عن عاشوراء؟<sup>(١٠)</sup> لأن الجهاز الإعلامي آنذاك ، كان مجهزاً لتهميش قضية عاشوراء وكل ما يتعلق بموضوع أهل البيت بصورة عامة لكي لا تعرف الناس ماذا جرى في كربلاء وما هي القضية . هكذا هو الإعلام ، في تلك الأيام أيضاً كانت القوى الظالمة والجائرة ، تبذل ما بوسعها من الأكاذيب

والإشاعات المغرضة ، لكي لا تصل الحقيقة إلى الناس . في هذه الظروف ، هل كان لقضية كعاشوراء حدثت في صحراء أن تدوي وتبقى بهذا النشاط والتأثير ؟ باليقين كانت تضيق لولا تلك المساعي وتلك المجاهدة .

الذي أبقى هذه الذكرى ، مساعي أهل بيت الحسين بن علي ؑ . وكما واجه جهاد الحسين بن علي ؑ وأصحابه الموانع والصعوبات ، كذلك واجهت مساعي زينب الكبرى ؑ والإمام السجاد ؑ وبقية أهل البيت العظام ، المصاعب . بالطبع لم تكن الساحة عسكرية ، بل كانت ساحة إعلامية ، ثقافية وتبليغية . يجب أن ننتبه إلى هذه النقاط .

الدرس الذي يجب أن نأخذه من الأربعين ، هو أنه لابد علينا أن نحتفظ بذكرى الشهادة الحقيقية وخاطرة الشهادة أمام عواصف الأعداء الإعلامية . إن لم يكن إعلام الحق في مواجهة إعلام العدو ، سيبقى العدو يصول في الساحة لوحده ويغلب . ساحة الإعلام ، ساحة عظيمة جدا وخطيرة للغاية .

جهاز يزيد الظالم ، من خلال الإعلام ، كان

يندد بالحسين بن علي ؑ ويعرفه كشخص خرج على دولة العدل والإسلام وقام من أجل الدنيا ! والبعض كانوا يصدقون هذه الدعايات الكاذبة . وبعد ما قُتل الحسين بن علي ؑ بتلك الصورة العجيبة والفجيعة ، من قبل الأعداء في رمضاء كربلاء ، عبروا عن هذا الأمر بالفتح والنصر والغلبة ؛ لكن الإعلام الصحيح الذي قام به الإئمة ، غير كل هذه الأراجيف . هكذا هو الحق .<sup>(١١)</sup>

### ذكر المصيبة في أربعين سيد الشهداء ؑ

أود أن أنعى الحسين بن علي ؑ بجملة واحدة ، فغدا ذكرى أربعين سيد الشهداء ؑ . نحن هنا من جميع أنحاء البلاد اجتمعنا في مزار الإمام الخميني في ذكرى وفاته . تزامن هذا التجمع والاجتماع حول قبر الإمام الراحل ، مع أربعين الحسين ؑ تزامناً عجيباً . في يوم الأربعين ، بعد تلك الأيام المرة وتلك الشهادة العجيبة ، اجتمع أول زوّار لأبي عبد الله الحسين ؑ حول قبر ذلك الإمام المعصوم الشهيد .

كان من ضمن هؤلاء الزوّار ، "جابر بن عبد الله الأنصاري" ، و"عطية بن سعد العوفي" أحد أصحاب

## الاتساع المتزايد لزيارة كربلاء

"كربلاء المقدسة" هي كعبة القلوب . النقطة التي دفن فيها ذات يوم كل شيء ؛ يوم انتهت به الاصاله ، الحقيقة ، القيم وجميع معالم الإسلام المحمدي ﷺ . لكن لاحظوا اليوم كيف تنجذب قلوب الناس في جميع أنحاء العالم إلى هذه النقطة ! هذا ، ليس بصورة ايمان وعقيدة ، بل بصورة العشق الحقيقي . من ايران ، من السعودية ، من الهند ، ومن جميع أنحاء العالم ، تأتي الناس إلى هذه المكان بكل شوق . فيتبين أن الأيادي المادية لن تستطيع أبداً أن تدفن القيم والاصالة . فإن كان هناك أناس ضعاف النفوس ، دفنت أمام أعينهم الأصالة والحقيقة ، سينالون جزاء ضعف همتهم وهوان حميتهم . لكن سيبعث الله تعالى ، أناس يستفيدون من هذه الأصالة .

منذ أن وقت حادثة عاشوراء ، وحتى صار الناس يتوافدون على قبر الحسين ، قد اتسعت هذه الدائرة بصورة متزايدة على خلاف الوضع الطبيعي في العالم . لأنكم عندما ترمون بحجارة في الماء ، تتكون امواج - على شكل دائرة أطراف هذه الحجارة - لكن كل ما يمر

أمير المؤمنين ﷺ . كما كان جابر بن عبد الله الأنصاري من أصحاب الرسول ﷺ وممن شارك في واقعة بدر ؛<sup>(١٣)</sup> وكان شيخاً عجوزاً في ذلك القوت قد تجاوز - على الظاهر - السبعين من عمره أو أكثر من ذلك . لأنه كان ممن حارب مع الرسول ﷺ في بدر ؛ لكن عطية كان من أصحاب أمير المؤمنين وكان أقلّ عمراً من جابر في ذلك الوقت . لأنه - عطية بن سعي العوفي - عاش حتى زمن الإمام الباقر ﷺ .<sup>(١٣)</sup>

ينقل عطية : عندما وصلنا إلى ذلك المكان ، أردنا أن نتوجه نحو القبر ، ولكن جابر قال : تعال نغتسل بشط الفرات أولاً . فاغتسلنا بشط الفرات ، ثم تأزر بأزار ووضع إزار على كتفه ؛ كمن يريد الطواف ببيت الله الحرام . ثم اتجه نحو قبر الحسين ﷺ . وكان ضريباً . وعندما وصلنا قرب قبر الإمام الحسين ﷺ وعندما تلمس القبر وعرفه ، تدفقت مشاعره . لعل هذا الشيخ كان قد رأى الحسين بن علي ﷺ في حجر الرسول ﷺ ، فصرخ بصوت عالٍ ثلاث مرات : يا حسين ، يا حسين ، يا حسين !<sup>(١٤)(١٥)</sup>

## الأربعين ، أول تدفق لعين المحبة الحسينية

تفتحت في الأربعين أول أزهار الحب الحسيني .  
 أول تدفق لعيون الحب الحسيني المتدفق ، الحب  
 الذي أجرى نهر الزيارة طوال هذه القرون . مغناطيس  
 الحب الحسيني الجذاب ، قد جذب القلوب في أول  
 أربعين نحوه . فذهاب جابر بن عبد الله الأنصاري ،  
 وعطية بن سعد العوفي ، إلى زيارة الامام  
 الحسين عليه السلام <sup>(١٧)</sup> في الأربعين ، <sup>(١٨)</sup> كانت بداية لتيار  
 مبارك استمر طوال هذه القرون حتي يومنا هذا ،  
 واستمرت هذه المسيرة بعظمة أكثر ، وجاذبة أقوى ،  
 وحماس أشد لكي تحيي اسم الحسين وذكرى عاشوراء  
 في العالم . <sup>(١٩)</sup>

أعطى اسم الحسين بن علي عليه السلام سيد أحرار  
 العالم وسيد الشهداء ، رونقاً لهذه الأيام . فمجيء أهل  
 بيت النبي صلى الله عليه وآله إلى كربلاء في يوم الأربعين - بناء على  
 نقل بعض الروايات <sup>(٢٠)</sup> - إن كان صحيحاً أم غير  
 صحيح ، فالظاهر أنه لا شك بأن جابر بن عبد الله  
 الأنصاري ، مع أحد كبار التابعين - الذي سمي  
 بعطية <sup>(٢١)</sup> في بعض الروايات ، وسمي في البعض الآخر

الزمن ، تصغر هذه الدائرة إلى أن تختفي . لكن في  
 هذه الحادثة ، وقع العكس ، أي كل ما اتسعت هذه  
 الدائرة ، ارتفعت أمواجه أكثر ، واتضحت ، وبرزت ،  
 وبقيت ، وولدت ، وتدفقت .

الآن ، أيضاً هناك موانع . هناك من أتباع  
 المتوكل ، لا يستسيغون هذه الزيارة ولا يستطيعون  
 تحملها ! هناك من يواجه المجاميع التي تتجه لزيارة  
 الأربعين من أنحاء العراق نحو كربلاء . قد واجهت  
 العشائر المؤمنة والغيورة في العراق اختبارات دموية من  
 أجل القيام بهذه الزيارة ، لا يسمحون ببث أنباءها .

لو كان المجال مفتوحاً ، لرأيتم هذا الاشتياق ؛  
 لرأيتم كم هي كثيرة هذه القلوب العاشقة والمتحمسة  
 والمحبة للحسين عليه السلام . كم هي واسعة ، كم هي  
 عميقة ! لأن الحب والعشق ، كالنار الملتهبة . هذه  
 المحبة ، هي محبة معنوية ، يزداد اشتعالها يوم بعد  
 يوم ، لا تنطفي أبداً ، لا تتمد . هذا هو العامل  
 المعنوي . هنيئاً لقلب من يحضى بجرقه من هذه  
 الشعلة . <sup>(١٦)</sup>

بعطا؛<sup>(٢٢)</sup> - على العموم كان أحد كبار التابعين في الكوفة<sup>(٢٣)</sup> - قد قطعوا هذا الطريق وقد وصلوا في هذا اليوم<sup>(٢٤)</sup> - الأربعاء - إلى مزار شهداء كربلاء .

بداية الجاذبية الحسينية ، في يوم الأربعاء . هي التي جاءت بجابر بن عبد الله الأنصاري من المدينة إلى كربلاء . هذه الجاذبية ، هي نفسها اليوم ، بعد هذه القرون المتمادية ، في قلبي أنا وقلوبكم . الذين في قلوبهم معرفة أهل البيت ، يتوقد دائما في قلوبهم العشق والحماس إلى كربلاء ، هذا الأثر قد بدأ من ذلك اليوم . العشق لتربة الحسين ، ولمرقد سيد الشهداء عليه السلام .

جابر بن عبد الله الأنصاري كان من مجاهدي صدر الإسلام ؛ كان ممن حاربوا في واقعة بدر<sup>(٢٥)</sup> أي أنه كان بخدمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجاهد مع الرسول ، قبل ولادة الإمام الحسين عليه السلام . فهو ممن شاهد ولادة الحسين ونشوءه بعينه . جابر بن عبد الله - قطعاً - كان ممن شاهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحضن الحسين بن علي عليه السلام ويبوس عينيه ، ويبوس وجهه ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضع الطعام في فم الحسين بن علي عليه السلام بيده الشريفة ويسقيه الماء ، فمن المحتمل أن يكون جابر بن عبد

الله قد رأى هذه المشاهد بعينه . جابر بن عبد الله - قطعاً - قد سمع بأذنه قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة"<sup>(٢٦)</sup> ومن ثم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم موقع الحسين عليه السلام وشخصية الحسين عليه السلام في زمن الخلفاء ، وفي زمن أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة وفي الكوفة ، كلها كان قد شاهدها جابر بن عبد الله الأنصاري .

والآن جابر قد سمع بخبر شهادة الحسين بن علي عليه السلام . فلذة كبد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم استشهد عطشنا . فقام من المدينة ، وجاء إلى الكوفة ، وأخذ معه عطية . يروي عطية أن جابر توجه نحو نهر الفرات ، واغتسل هناك ، لبس ثوباً أبيضاً نضيفاً ، ومن ثم أخذ يخطوا خطوات هادئة ، ويسير باحترام واجلال نحو قبر الحسين عليه السلام .

الرواية التي قرأتها تقول : عندما وصل إلى القبر ، صرخ ثلاث مرات بصوت مرتفع ، قائلاً : "الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر" فإنه عندما يرى كيف قتل الحسين بن علي عليه السلام فلذة كبدة النبي والزهراء ، مظلوما بيد أصحاب الشهوات والطواغيت ، يكبر . ثم تنقل الرواية : بأنه أغمي عليه على قبر الإمام



للحسين بن علي عليه السلام (٢٨)

### الأربعين : بداية نشر الرسالة الحسينية

اليوم ، هو يوم الأربعين ، ومناسبة التاسع والعشرين من بهمن هي أيضاً مناسبة من هذا النوع . الاربعين في واقعة الطف ، كانت بداية لمشروع . بعد أن انتهت واقعة كربلاء ، وبعد أن جرت تلك المصيبة العظيمة ، وبعد أن ضحى أبا عبد الله عليه السلام وصحبه واهل بيته تلك التضحية المنقطعة النظير في ذلك المكان الضيق والمحدود ؛ كان على الأسرى أن ينشروا هذه الرسالة في مكان أوسع . كان على حادثة الأسر أن تفشي ما حدث في كربلاء ، الخطب والحقائق التي بينتها زينب الكبرى عليها السلام والإمام السجاد عليه السلام نشرت تلك الفكرة والواقعة والهدف والاتجاه كإعلام قوي في مساحة واسعة ولا تزال تعمل بنفس القوة والقدرة .

### الصمت المميت ؛ نتيجة الاختناق اليزيدي بعد

#### عاشوراء

من صفات المكان المضطهد أن الناس

الحسين عليه السلام - من شدة الحزن . لا أعلم ماذا جرى ، لكن الرواية تقول أنه بعد ما أفلق من غيبوته ، بدأ يتحدث مع الإمام الحسين عليه السلام قائلاً :

"السلام عليكم يا آل الله ، السلام عليكم يا صفوة الله" (٢٧)

يا أيها الحسين المظلوم ، يا أيها الشهيد !

اليوم نحن أيضاً نقول لك في بداية هذا العام ، من أعماق وجودنا : "السلام عليك يا أبا عبد الله ، السلام على الحسين الشهيد" . ألا أن شهادتك ، وجهادك وثباتك ، قد أعطى رونقاً للإسلام ووهب دين النبي صلى الله عليه وآله حياة جديدة . إن لم تكن تلك الشهادة ، لم يبق لدين النبي صلى الله عليه وآله أثراً . اليوم قلوبنا مشتاقة الي الحسين بن علي عليه السلام ولذلك القبر الشريف الطاهر . نحن وإن كنا بعيدين ، لكننا نلهج بذكر الحسين بن علي عليه السلام ونتكلم بحبنا وعشقنا له . نحن قد عاهدنا أنفسنا ونعاهدنا ثانية أن لن نفارق اسم الحسين عليه السلام وذكر الحسين عليه السلام في حياتنا أبداً . جميع افراد شعبنا ، وجميع المواطنين ، وجميع الشيعة في العالم وجميع الاحرار في أرجاء العالم ، لديهم هذا الشعور بالنسبة



يكن هناك جابر بن عبد الله الأنصاري وعطيّة العوفي فحسب بل كان معهم جماعة من بني هاشم أيضاً . كانت جماعة من بني هاشم مجتمعة حول تربة سيد الشهداء عليه السلام فقاموا ليستقبلوا زينب عليها السلام .<sup>(٢٩)</sup> ولعل إصرار زينب الكبرى عليها السلام على العودة إلى كربلاء - عند مغادرتهم للشام -<sup>(٣٠)</sup> كان من ضمن سياستها الولائية ومن أجل تكوين هذه المجموعة الصغيرة لكن ذات البُعد العميق ، في ذلك المكان . والآن هناك من يستبعد وصولهم إلى كربلاء في الأربعين ،<sup>(٣١)</sup> المرحوم الشهيد أية الله القاضي له بحث مفصل في هذا المجال ،<sup>(٣٢)</sup> وهناك يثبت أنه من الممكن أن يقع هذا الأمر .

على كل حال كما ورد في كلام القدماء والكبار ، أن زينب الكبرى عليها السلام ومجموعة من أهل البيت عندما دخلوا إلى كربلاء ، كان هناك عطية العوفي وجابر بن عبد الله الأنصاري ورجال من بني هاشم مجتمعين في ذلك المكان . وهذا الأمر هو شاهد ونموذج من تحقق الهدف الذي يجب أن يتحقق بالشهادة ؛ أي بث هذا الفكر واعطاء الجرأة للناس . ومن هنا حدثت ثورة التوّابين ؛ مع أن ثورة التوّابين قد قُمت ،<sup>(٣٣)</sup> لكن

لا يجدون الفرصة والجرأة لبيان الحقائق التي يعرفونها من خلال عملهم وتصرفاتهم ؛ لأن الجهاز الظالم والمستبد لا يسمح للناس أن يعرفوا ويفهموا وإن خرج فهم الناس عن سيطرتهم ، - أي عرف الناس ما لا ينبغي أن يعرفوه - فهناك لا تسمح لهم بالعمل بما عرفوا . ففي الكوفة ، وفي الشام ، وفي الطريق ، قد عرف الكثير من الناس من خلال ما تكلمت به السيدة زينب عليها السلام والإمام السجاد عليه السلام وأيضاً من خلال حالة الأسرا ، الكثير من الأمور ، لكنهم لم يجرؤا ، ولم يستطيعوا أن يظهروا ما عرفوا ، أمام ذلك الجهاز الظالم والمستكبر والمستبد وفي ذلك الفضاء المضطهد . فبقيت تلك الحقيقة عقدة وعبرة في حناجر المؤمنين .

### الأربعين : اول مبادرة لكسر جوا الاضطهاد

هذه العقدة ، انفجرت في يوم الأربعين ، اول تدفق لكسر هذا الاختناق حصل في يوم الأربعين حيث رجعت زينب عليها السلام إلى كربلاء .

يقول المرحوم السيد بن طاووس ومجموعة من الاكابر - عندما دخلت قافلة الأسرا ، أي السيدة زينب عليها السلام وبقية الأسرا في الأربعين إلى كربلاء ، لم

بعدها بفترة قصيرة حدث ثورة المختار وبقية الأبطال في الكوفة<sup>(٣٤)</sup> التي كانت نتيجتها دحر السلسلة الأموية وسحق الشجرة الخبيثة . نعم ؛ ثم ظهرت السلسلة المروانية ؛<sup>(٣٥)</sup> لكن استمرت المواجهة وانفتح الطريق .

هذه من صفات وخصوصيات الأربعين ؛ أي في الأربعين إفشاء للحقائق ، وفي الأربعين ، مبادرة وعمل كما في الأربعين تحقق للأهداف التي تروم لها إفشاء الحقائق .

مثل هذه القضية ، وقعت في الأربعينية التي أقامها أهالي مدينة تبريز ، وقد قتلها سابقا إلى أهالي مدينة تبريز الأعداء ، إن لم تكن حادثة التاسع والعشرين من بهمن في تبريز - أي لم يكن إحياء لذكرى شهداء مدينة قم من قبل أهالي تبريز بتلك الطريقة والتضحية - لربما أخذت الثورة مسيرة أخرى . كان من المحتمل أن لا تحصل هذه الحادثة العظيمة ، التي حدثت ؛ أي قضية تبريز وقيام أهالي تبريز في التاسع والعشرين من بهمن ، كانت حادثة مصيرية . فالدماء التي سالت في قم والقيم الرئيسية التي أوجدت الحركة في قم ، قد أحيها أهالي تبريز في

الأربعين التي أقاموها لشهداء قم . بالطبع قد ضحى الناس الكثير في هذا المجال ، قد بذلوا أرواحهم وراحتهم وأمنهم في هذا الطريق ؛ لكن النتيجة التي حصلوا عليها هي وعي ، كل البلاد . فقد أقيم أربعين لشهداء قم في تبريز ، وأقيمت أربعينيات متعددة لشهداء تبريز في التاسع والعشرين من بهمن في مدن كثيرة . وهذا إن دل على شيء فهو يدل على اتساع النهضة ، وهذه خاصية الحركة الصحيحة .<sup>(٣٦)</sup>

### التكليف الجماهيري : إحياء ذكرى وخاطرات الأعداء المؤثرة

جهاز الظلم الجور آنذاك ما كان بوده أن يبقى أثرا لواقعة عاشوراء الحسين ، لكن زينب الكبرى عليها السلام لم تسمح بذلك . فقد قامت عمتنا زينب الكبرى عليها السلام بمهمتين : أحدهما ، حركة الأسر وما قامت به في الكوفة والشام من تبين للحق من خلال خطاباتها التي أفشت بها الكثير من الأمور والحقائق ؛ والحركة الثانية ، مجيئها إلى كربلاء في الأربعين - إما الأربعين العام الاول أو الثاني ليس مهم - المهم أن هذه الحركة تعني أنه يجب أن لا نسمح للدوافع الخبيثة التي تريد

منهم كما تعلمون المتوكل العباسي - حوالي ١٧٠ او ١٨٠ عام - بعد واقعة عاشوراء ؛ أراد أن يهدم قبر أبي عبد الله ﷺ ؛ فعلى الشعب الإيراني أن يبقى منتظرا وينظر ماذا يفعل الأعداء - أعداء الثورة - من مؤامرات وفتن واعمال خبيثة من أجل إمحاء جمال وحلاوة الثورة. (٣٧)

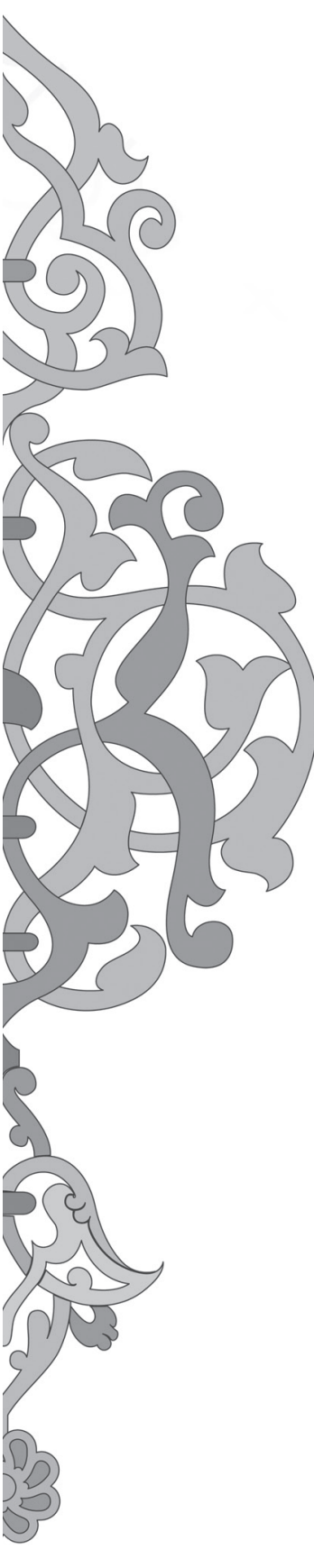
محو المقاطع المهمة والمؤثرة والتمينة ، أن تنجح ؛ بالطبع أنها لن تنجح . ما دامت الشعوب واعية ، وما زالت الألسن الناطقة بالحق موجودة . وما زالت قلوب المؤمنين متحمسة ، لن يستطيعوا أن يمحو هذه الذكريات وهذه الحقائق من الأذهان . كما أنهم ما استطاعوا إلى يومنا هذا . هذه الدوافع المعاندة والمعادية كانت من صدر الإسلام إلى أمد طويل ؛

### الهوامش :

- ج ٣ ، ص ٢٠٦ ؛ الفتوح ، ج ٥ ، ص ١٢١-١٢٢ ؛ الإرشاد ، ج ٢ ، ص ١١٥-١١٦ ؛ الاحتجاج ، ج ٢ ، ص ٣٣-٣٤ ؛ بحار الانوار ، ج ٤٥ ، ص ١٩٨ ؛ مقتل الحسين ، المقرّم ، ص ٣٢٢ ؛ [١٠] ثوار الأعمال ، ص ٨٣-٨٥ ؛ بحار الانوار ، ج ٤٤ ، ص ٢٨٢-٢٨٣ .
- [١١] في لقاء مع مجموعة من أهالي مدن نائين ، ابرده ، خراسان ومجموعة من عوائل الشهداء من مدن طهران ، گرگان ، چهاردونگه ، واعضاء جمعية الصليب الأحمر ، ومسؤولي الأقسام الثقافية في مؤسسة الشهيد ومجموعة من طالبات الجامعات في اصفهان ، بتاريخ ٢٩ - ٦ - ١٣٦٨ هـ . ش / ١٩٨٩ م .
- [١٢] التاريخ الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ ؛ اختيار معرفة الرجال ، ج ١ ، شرح ص ٢٠٥-٢٠٨ .
- [١٣] قاموس الرجال ، ج ٧ ، ص ٢٠٩-٢١١ .
- [١٤] تنبيه الغافلين ، ص ٩٠ ؛ بشارة المصطفى ، ص ١٢٥ ، بحار الانوار ، ج ٦٥ ، ص ١٣٠ .
- [١٥] خطبة صلاة الجمعة في طهران بتاريخ ١٤ - ٣ - ١٣٧٨ هـ . ش /

- [١] مقاتل الطالبين ، ص ٤٧٨-٤٧٩ ؛ مناقب آل أبي طالب ، ج ٢ ، ص ٥٣ ؛ بحار الانوار ، ج ٤٥ ، ص ٣٩٤-٣٩٥ .
- [٢] الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٤٢٢ .
- [٣] العدد القوية ، ص ٢١٩ ؛ بحار الانوار ، ج ٩٨ ، ص ٣٣٤-٣٣٥ .
- [٤] نفس المصدر .
- [٥] رجال الطوسي ، ص ٣١-٣٢ ؛ الاستيعاب ، ج ١ ، ص ٢١٩-٢٢٠ .
- [٦] قاموس الرجال ، ج ٧ ، ص ٢٠٩-٢١١ .
- [٧] تنبيه الغافلين ، ص ٩٠ ؛ مقتل الحسين ، خوارزمي ، ج ٢ ، ص ١٩٠-١٩١ ؛ بحار الأنوار ، ج ٦٥ ، ص ١٣٠-١٣١ .
- [٨] الكافي ، ج ١ ، ص ٤٦٨ ؛ تاريخ مدينة دمشق ، ج ٤١ ، ص ٤١٥ ؛ بحار الانوار ، ج ٤٦ ، ص ١٢ . الزينبيات ، ص ١٢٢ ؛ قاموس الرجال ، ج ١١ ، ص ٤٣ .
- [٩] الفتوح ، ج ٥ ، ص ١٢٣ ؛ مقاتل الطالبين ، ص ١١٩-١٢٠ ؛ الإحتجاج ، ج ٢ ، ص ٣٣-٣٤ ؛ مناقب آل أبي طالب ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ ؛ اللهوف ، ص ٩٢-٩٣ ؛ بحار الانوار ، ج ٤٥ ، ص ١٤٨-١٤٩ ؛ أخبار الزينبيات ، ص ١١٥-١١٩ ؛ أنساب الأشراف ،

- ١٩٩٩ م .
- [١٦] في لقاء مع وزير التجارة والوفد المرافق له ، بعد سفره إلى كربلاء ، بتاريخ ٣ . ٨ . ١٣٧٨ هـ . ش / ١٩٩٩ م .
- [١٧] مقتل الحسين ، خوارزمي ، ج ٢ ، ص ١٩٠ . ١٩١ ؛ بحار الأنوار ، ج ٦٥ ، ص ١٣٠ . ١٣١ .
- [١٨] مسار الشيعة ، ص ٤٦ ؛ بحار الأنوار ، ج ٩٥ ، ص ١٩٥ .
- [١٩] خطاب العام الجديد بمناسبة حلول العام ١٣٨٥ الهجري الشمسي . / ٢٠٠٦ م .
- [٢٠] الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٤٢٢ ؛ اللهوف ، ص ١١٤ ؛ بحار الأنوار ، ج ٩٨ ، ص ٣٣٥ . ٣٣٦ .
- [٢١] بشارة المصطفى ، ص ١٢٤ . ١٢٦ ؛ بحار الأنوار ، ج ٦٥ ، ص ١٣٠ . ١٣١ .
- [٢٢] بحار الأنوار ، ج ٩٨ ، ص ٣٢٩ .
- [٢٣] قاموس الرجال ، ج ٧ ، ص ٢٠٩ . ٢١١ ؛ الأعلام ، ج ٤ ، ص ٢٣٧ .
- [٢٤] العدد القوية ، ص ٢١٩ ؛ بحار الأنوار ، ج ٩٨ ، ص ٣٣٤ . ٣٣٥ .
- [٢٥] التاريخ الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ ؛ اختيار معرفة الرجال ، ج ١ ، شرح ص ٢٠٨ . ٢٠٥ .
- [٢٦] المعجم الكبير ، ج ٣ ، ص ٣٩ ؛ شرح الأخبار ، ج ٣ ، ص ٧٦ ؛ بحار الأنوار ، ج ٢٧ ، ص ١١٩ .
- [٢٧] بحار الأنوار ، ج ٩٨ ، ص ٣٢٩ .
- [٢٨] كلامه في الصحن الجامع الرضوي - مشهد المقدسة ، بتاريخ ١ . ١٣٨٥ / ٢٠٠٦ م .
- [٢٩] اللهوف ، ص ١١٤ .
- [٣٠] المصدر السابق .
- [٣١] بحار الأنوار ، ج ٩٨ ، ص ٣٣٤ .
- [٣٢] بحث حول أول أربعين لسيد الشهداء - عليه السلام ..
- [٣٣] الطبقات الكبرى ، خامسة ١ ، ص ٥٠٩ . ٥١٠ .
- [٣٤] الاخبار الطوال ، ص ٢٨٨ . ٣٠٨ ؛ الأمالي ، الطوسي ، ص ٢٤٠ . ٢٤٥ ؛ بحار الأنوار ، ج ٤٥ ، ص ٣٣٢ . ٣٣٨ .
- [٣٥] الاخبار الطوال ، ص ٢٨١ . ٢٨٥ ؛ الإختصاص ، ص ١٣١ .
- [٣٦] لقاء مع جمع من أهالي محافظة أذربايجان الشرقية بتاريخ ٢٨ . ١١ . ١٣٨٧ هـ . ش / ٢٠٠٨ م .
- [٣٧] في لقاء مع مجموعة من أهالي مدينة قم ، بمناسبة ذكرى يوم التاسع عشر من دي في حسينية الإمام الخميني عليه السلام بتاريخ ١٧ . ١٠ . ١٣٩٣ هـ . ش / ٢٠١٤ م .



# الثَّوْرَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ وَرِيَاةُ الْارْتِعَانِ

## وَأَثَرُهَا الْفِكْرِيُّ وَالْعَقَائِدِيُّ فِي جِهَادِ الْحَشْدِ الشَّعْبِيِّ

❖ د. خمائل شاكر الجمالي (\*)

---

(\*) مركز إحياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد.





## المقدمة

الصعيد النضالي ، فتحولت من تراث إلى خطاب وفكر لم يفقد نبرته خلال الأزمنة ، ورسالة إلى فريضة لدى الأجيال في وجوب التصدي للانحراف والفساد والظلم ، خاصة إذا كان نابعاً من السلطة ، مُشكلة بذلك منهجاً أصبح مثلاً أعلى في وعي المتطلعين إلى التغيير ، بصرف النظر عن ميولهم ومواقفهم السياسية والاجتماعية .

مثل الإمام الحسين عليه السلام في ثورته فكر وعقيدة الجهاد النضالي ؛ بأسلوب واقعي مؤثر ، وكانت بمثابة رسالة وفريضة عند الأجيال ؛ للتصدي للانحراف والفساد والظلم ، وكان من أهم أدوات ثورة الإمام عليه السلام هو معالجة وعي المجتمع نحو ما نسميه وحدة الجهاد

سجلت ثورة الإمام الحسين عليه السلام نجاحاً في إبراز مفاهيم فكرية وعقائدية في المجتمع الإسلامي من الممكن تحديدها تحت عنوان الهوية العقائدية للثورة ، استهدفت تحقيق متطلبات الوعي الإسلامي المعاصر . إذ إن من السمات الأصيلة للثورة تداخلها العضوي بالهوية الإسلامية ، فهي تجسد الإسلام فكراً حياً ، وهي شعار المسلم الذي يلتزم منها دروساً لحياته التي يرنو بناءها على أسس التوحيد . فكل مبادئ الإسلام وجوانب العقيدة تجسدت عملياً في هذه الثورة ، إذ نجد الإسلام في السياق الفكري ، وفي العمل ، وفي مرحلة التحقيق والتطبيق لها .

إذ مثلت هذه الثورة منظومة واقعية مؤثرة على

الوطني ، والوقوف ضد السكون الظاهري الذي يسود بعض المجتمعات ؛ لنصرة الحق من التشتت والتمزق والاستجابة لثورة جهادية نضالية ، للوقوف بوجه الرعب والفرع الذي يهدد الإسلام والمسلمين ؛ فكانت في ثورته الجهادية وخروجه بالجيش للمواجهة في كربلاء مشخصاً الواقع ؛ الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية في عهد ( معاوية ويزيد ) عهد الظلم والاستبداد ، مشدداً لمبدأ الرسالة الإسلامية ومبدأ المعاد ، وخطابه الجهادية مع أصحابه يؤكد الشهادة بصورة واقعية ؛ إذ عدّ الإمام الحسين عليه السلام الشهادة قيمة حضارية لبقاء الدين الإسلامي وحمائته من الانقراض والانحراف على قوى الشر التكفيرية مشدداً بتكرار الشهادة علناً ؛ إنما أراد أن يجسد هذه الحتمية ؛ لأنها غابت منذ استشهاد الإمام علي عليه السلام . فقد ركز الإمام الحسين عليه السلام في تصريحاته وبياناته على عنصر الشهادة في سبيل الحق والدين ، فقد فضل الموت على الحياة مع الظلم وسجل موقفاً إنسانياً ما زال خالداً في ضمائر الناس جميعاً على مرّ الأيام والعصور بقوله : ( فإني لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما ) .

ومن أجل تأصيل خط الشهادة الحسينية في

حياة المسلمين ، وهذه الروح التي لها أعلى مستوى من الضمير والإرادة النضالية الحقيقية التي باتت تحرك الضمائر في نفوس الأجيال وأبناء الحشد الشعبي ، مثلما أراد إمامهم الحسين عليه السلام في ثورته من أجل الشهادة والتضحية لتكريس مبدأ الشهادة في المجتمع الإسلامي وفي نفوس الشرفاء من أبناء الوطن ؛ فقد تعلم أبناء الحشد الشعبي من ثورة الإمام الحسين عليه السلام ثقافة الجهاد والشهادة لتحرير إرادة الأمة الإسلامية ، وإن يقدموا أبناء الحشد الشعبي هذه الثقافة الأخلاقية الجهادية ليس بأسنتهم ؛ وإنما كتبوه بدمائهم وحياتهم ، وليطرزوا تاريخهم بهذا الانتصار الحقيقي ضد الشر والارهاب . . وليكونوا مشروع شهادة كما قدّم الإمام الحسين عليه السلام نفسه وأهله من أجل الإسلام والدفاع لنصرة الدين وتسجيل عنوان الشهادة مثلما يكتب الآن أبناء الحشد الشعبي .

### الثورة الحسينية وأثرها الفكري والعقائدي في جهاد الحشد الشعبي

سجلت ثورة الإمام الحسين عليه السلام نجاحاً في إبراز مفاهيم فكرية وعقائدية في المجتمع الإسلامي من

يمثل في ضمائرهم درساً يوضح السمات الأصيلة التي تجسد الإسلام والدفاع والجهاد عنه حتى التضحية بالنفس والمال .

ومن هذا المنطق الإسلامي ركز الإمام الحسين (عليه السلام) في ثورته على الإنسان وصون كرامته واتجاهاته العقائدية والدينية ، مرتكزاً بذلك على مفهوم الحرية الإنسانية وانتشالها من القيود غير الشرعية التي وضعتها الخلافة الأموية على الإنسان ، عن طريق تفويض إرادة الأمة وربطها عملياً بالنظام السياسي الاموي ؛ فالحرية تعبير أصيل عن الكرامة الإنسانية ، وهي تقدر بمعيار ذاتي وتضفي عليها قيمة معنوية وخلقية أصيلة ، بوصفها المظهر الجوهري للكرامة وتحقيق الذات ، الذين لا يعود للحياة بدونهما أي معني<sup>(٢)</sup> .

ومن الواضح أن الإسلام حرم كل ما يبعث على استهانة الإنسان وخدش كرامته ، وحرص على اعزاز الإنسان وحماية شرفه وكرامته وصون حريته ، وحرم كل ما يثلب كرامته ، وجهد في حماية الإنسان فرداً ومجتمعاً ، مادياً وروحياً ، لذلك شرع الحدود والأحكام

الممكن تحديدها تحت عنوان الهوية العقيدية للثورة ، استهدفت تحقيق متطلبات الوعي الإسلامي المعاصر . إذ إن من السمات الأصيلة للثورة تداخلها العضوي بالهوية الإسلامية ، فهي تجسد الإسلام فكراً حياً ، وهي شعار المسلم الذي يلتمس منها دروساً لحياته التي يرنو بناءها على أسس التوحيد . فكل مبادئ الإسلام وجوانب العقيدة تجسدت عملياً في هذه الثورة ، إذ نجد الإسلام في السياق الفكري ، وفي العمل ، وفي مرحلة التحقيق والتطبيق لها<sup>(١)</sup> .

لقد طرح الإمام الحسين (عليه السلام) شعار ( هيهات منا الذلة ) من خلال ثورته ؛ لينبه الأمة الإسلامية إلى أصالتها الرسالية ، وعقيدتها القرآنية التي جعلت المؤمنين أعزة في دستور الله تعالى : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ المنافقون : ٨١ .

من هذا الشعار الذي تجسد في الفكر الإسلامي ومبادئ العقيدة الإسلامية يلتمس أبناء الحشد الشعبي شعارهم للوقوف والدفاع عن الدين والعقيدة ؛ لقد وجدوا من ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) أثراً فكرياً وعقائدياً

صيانة لأرواحهم واموالهم وحرمتهم ردعا لكل العابثين بأمن وكرامة الإنسان في أي مجتمع وليس فقط المجتمع الإسلامي<sup>(٣)</sup>.

إذ هدَفَ الإمام عليه السَّلم بثورته اجمالاً ، شق الطريق الصحيح للأمة المهزومة إرادتها والمسحوقة كرامتها ؛ لتجاهد وتكافح من أجل إنسانيتها ، ونلمح هذا النمط من السلوك الداعي إلى رفض الذل والرفع من معنوية الإنسان تجاه الظلم ، بقوله لَمَّا خُيِّرَ بين البيعة والقتل دون رخصة : ( لا والله اعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا اقر اقرار العبيد ، إلا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين : بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك ، ورسوله ، والمؤمنون ، وجدود طابت ، وحجور طهرت ، وانوف حمية ، ونفوس ابية ، لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام )<sup>(٤)</sup>.

ركز الإمام الحسين عليه السلام في ثورته على الحفاظ على كرامة الإنسان وصون حريته واحترام حقوقه ، وحماية شرفه ، من هذا التركيز كان المنطلق الأساس للحشد الشعبي لاستلهم همة الجهاد البطولي لديهم للحفاظ على كرامة الانسان حماية شرف الوطن من أيدي قوى الشر التكفيرية ، مثلما تجسد في ثورة

الإمام عليه السلام في دفاعه للحفاظ كرامة وحقوق الإنسان من أيدي الأمويين .

فكان تحرك الإمام الحسين عليه السلام ، من أجل مشروع الدولة الإسلامية التي لا تقوم على الفتوية أو المذهبية أو الطبقية ، ولا على الغلبة والاستقواء . هذا المنظور الإسلامي هو حلم الإنسانية الدائم ، فالإنسان بنظرته يبحث دائماً عن المساواة والعدالة والكرامة والحرية ، وهذه المفاهيم نهض من أجلها الإمام عليه السلام بوجه حكم معاوية ويزيد ، وبهذا المعنى فان الخطاب العام لحركة الإمام عليه السلام هو خطاب الوحدة خارج الحزبية والمذهبية ، فمن الخطأ ومن المغالطات ربط ثورة الإمام الحسين عليه السلام بالشيعية ، فهو ركز الأسس الفكرية التي يجب على المسلم الالتزام بها طبقاً لمنهج الرسول صلى الله عليه وآله ، وهنا تطور مفهوم التشيع والمشايع لهذه الأسس والمبادئ التي أرادت ثورة الإمام عليه السلام تركيزها في المجتمع الاسلامي<sup>(٥)</sup>.

نعم فكان تحرك الإمام الحسين عليه السلام من أجل مشروع الدولة الإسلامية ، لا يقوم على فئة أو مذهب ، أو طبقة معينة ، فأن المفاهيم التي نهض بها الإمام

من يرى ، وكما في الجاهلية القديمة أن تملك المال والثروة والجاه والسلطان ، وهي العزة ، فلذا كانوا فيها يحترمون الغني ، ويقدرّون الثري<sup>(٦)</sup> .

ولا ريب إن هذا المفهوم ، هو مفهوم خاطئ يرفضه الإسلام ، ومثّل ﷺ هذا الرفض الإسلامي في ثورته ، إذ رفض الواقع المعاش مع يزيد ، ورفض الخضوع وتمتع بحريته وأنكر الذل ، فهو القائل للأمويين بشكل قاطع وعملي : ( موت في عز ، خير من حياة في ذل )<sup>(٧)</sup> .

لقد ركز الإمام ﷺ في كربلاء قبل استشهاده على مفهوم الحرية الإنسانية ، مصرحاً للجيش الأموي في أحد خطاباته بتجريدتهم عن كل ما ينتمون إليه قائلاً لهم : ( ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان ، إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه ، وأرجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون )<sup>(٨)</sup> .

لقد وضع الإمام الحسين ﷺ في ثورته كيفية الحفاظ على صورة الإسلام ، ومحتواه العقائدي ، وصون كرامة الإنسان من العيش في ذل وهوان ،

الحسين ﷺ تشمل الإنسان المسلم ، الذي يجب عليه تجسيد الوحدة الإسلامية ، فكان لهذا التحرك الأثر الكبير في ضمير أبناء الحشد الشعبي ، وإن لا تتوقف همّتهم في الجهاد والدفاع عن أرض الوطن عند فئة أو طبقة معينة ، فالجهاد في صفوف الحشد الشعبي يشمل الإنسان المؤمن الشريف الذي تدفعه روح الجهاد والشهادة من أجل أرض الوطن ، وتحقيق مبادئ ومفاهيم ثورة الإمام الحسين ﷺ ، التي جاهد وضحى من أجلها .

أراد الإمام ﷺ أن يوضح للإنسانية عموماً والمسلمين خصوصاً ، إن المحاولات الأموية التي سعت إلى تشويه الإسلام ، وإفراغ الأمة الإسلامية من محتواها العقائدي ، هي محاولات خارجة عن السياق والنظام الإسلامي ؛ إذ أراد ﷺ أن يصحح مفهوم الذل ومفهوم العزة الذي تحول في أذهان كثير من الناس إلى مفهوم قلق مضطرب عن طريق ممارسات معاوية ويزيد وأتباعهم ؛ فكان من يرى أن العزة : هي أن يكون للإنسان عشيرة كبيرة مرهوبة الجانب تدفع عنه كل ضيم واعتداء ، وبذلك يكون اعتماده على العصبية القبلية التي كانت محوراً لتحركاته وتصرفاته . وهناك



والوقوف بوجه واقع الخضوع مهما بلغ الأمر في السلطة ، لهذا نجد أبناء الحشد الشعبي يجاهدون من أجل العيش في كرامة ، وليس بذل أو خنوع مثلما تسعى من أجله قوى الشر التكفيرية من ذل الإسلام والمسلمين فقد تعلم أبناء الحشد الشعبي من ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) المبادئ الفكرية والعقائدية لصورة الإسلام ، في الموت بعز على الحياة بذل ؛ لهذا يشيدوا بالجهاد والتضحية بالنفس لحفظ الكرامة الإنسانية والدفاع من أجل الحرية ، وصون الكرامة الإسلام والوقوف بوجه كل من يحاول المساس بالفكر والعقيدة الإسلامية ؛ مضحين بالغالي والنفيس من النفس والارواح دون الدين والعقيدة التي وجدوا إمامهم الحسين (عليه السلام) ضحى بنفسه وأهله وعياله من أجل الدين والعقيدة الإسلامية .

لذلك شدد الإمام الحسين (عليه السلام) على أهمية المعاد في أساس ثورته : ( وإن الجنة حق . والنار حق . وإن الساعة آتية لا ريب منها . وإن الله يبعث من في القبور ) . ذلك لأن الأمة في عهد معاوية أصبحت منهارة دينياً ؛ لأن الحكم غايته السلطة لا إقامة العدل في بلاد الله ، ولما كان الحكم والسلطة غاية معاوية ،

فهو لم يتورع عن اتخاذ اي وسيلة في سبيل الوصول إليه وبقائه تحت يديه ، فأصبحت الأمور الاعتقادية للحاكم ومن هم في بلاط السلطة لا قيمة لا ولا قدسية لها ؛ لذلك عاش الحكم والرعية حال الانفصال بين دعواهم وإيمانهم بالإسلام ، وعدم صدقية الايمان بمدأ المعاد ، وبين واقعهم العملي ، فقد وصفهم الإمام الحسين (عليه السلام) : ( الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درئت معاشهم ، فإذا مُحصوا بالبلاء قل الديانون )<sup>(٩)</sup> .

هكذا نجد أن ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) أسقطت الحكم الأموي بفعل مؤثراتها النضالية والثورية وحررت إرادة الأمة وفعلت رقابتها على السلطة ، فكانت بحق خطاباً جهادياً لم يفقد روحيته عبر الأزمنة في وجوب الخروج على النظام الظالم ، ومنهجاً أعلى في وعي المتطلعين إلى الإصلاح والتغيير ، بصرف النظر عن ميولهم ومواقعهم السياسية والاجتماعية . فهي ثورة وأن أخفقت عسكرياً في معركة غير متكافئة ، لكنها حققت انتصاراً مهماً في الاتجاه السياسي الثورة ، وكذلك خلفت نوعاً من المقاومة السلبية غير الرسمية العاملة باستمرار داخل النظام الأموي ، بحيث صارت



عادةً وسلوكاً اجتماعياً ، أو ظاهرة اجتماعية داخل الحكم الأموي ، تمثلت بمعارضة العلماء والفقهاء المسلمين ، فولدت معارضة سياسية دينية منهم ، امثال أبو حنيفة النعمان واحمد بن حنبل . . ، كانت متأثرة بإشاعات ثورة الإمام الحسين عليه السلام السياسية والإصلاحية ، حتى وصل الحال إلى أن أبا حنيفة النعمان وهو احد ائمة مذاهب أهل السنة الرئيسة في الإسلام ، رفض أن يشغل أيَّ منصب في دولة بني أمية ، فضرب من والى الكوفة ابن هبيرة ؛ لرفضه تولي منصب قضائها وسجن أبا حنيفة على أثر ذلك بتهمة عدم الولاء للخلافة الأموية ، حتى تمكن أبو حنيفة من الهرب بمساعدة حارس السجن ويلجأ إلى مكة حتى سقوط دولة بني أمية<sup>(١٠)</sup> .

إذ مثلت هذه الثورة منظومة واقعية مؤثرة على الصعيد النضالي ، فتحوّلت من تراث إلى خطاب وفكر لم يفقد نبرته خلال الأزمنة ، ورسالة إلى فريضة لدى الأجيال في وجوب التصدي للانحراف والفساد والظلم ، خاصة إذا كان نابعاً من السلطة ، مُشكلة بذلك منهجاً أصبح مثلاً أعلى في وعي المتطلعين إلى التغيير ، بصرف النظر عن ميولهم ومواقفهم السياسية

والاجتماعية<sup>(١١)</sup> .

مثل الإمام الحسين عليه السلام في ثورته فكر وعقيدة الجهاد النضالي ؛ بأسلوب واقعي مؤثر ، وكانت بمثابة رسالة وفريضة عند الأجيال ؛ للتصدي للانحراف والفساد والظلم ، فكانت ثورة الإمام الجهادية أهم أدواتها هو معالجة وعي المجتمع نحو ما نسميه وحدة الجهاد الوطني ، والوقوف ضد السكون الظاهري الذي يسود بعض المجتمعات ؛ لنصرة الحق من التشتت والتمزق والاستجابة لثورة جهادية نضالية ، للوقوف بوجه الرعب والفرع الذي يهدد الإسلام والمسلمين ؛ فكانت في ثورته الجهادية وخروجه بالجيش للمواجهة في كربلاء مشخفاً الواقع ؛ الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية في عهد معاوية ويزيد عهد الظلم والاستبداد ، مشدداً لمبدأ الرسالة الإسلامية ومبدأ المعاد ، وخطابه الجهادي مع اصحابه يؤكد الشهادة بصورة واقعية<sup>(١٢)</sup> .

إذ عدَّ الإمام الحسين عليه السلام الشهادة قيمة حضارية لبقاء الدين الإسلامي وحمائته من الانقراض والانحراف على ايدي الشر التكفيرية مشدداً بتكرار الشهادة علناً ؛ إنما أراد أن يجسد هذه الحتمية ؛ لأنها

غابت منذ استشهاد الإمام علي عليه السلام . فقد ركز الإمام الحسين عليه السلام في تصريحاته وبياناته على عنصر الشهادة في سبيل الحق والدين ، وأثر الإمام الحسين عليه السلام اليقين بالآخرة واشتياقه لربه ؛ فهو يعرف أن مصيره الشهادة ؛ فهو فضل الموت على الحياة مع الظلم وسجل موقفاً إنسانياً ما زال خالداً في ضمائر الناس جميعاً على مرّ الأيام والعصور ؛ فقد عرض نفسه وأهله للقتل من أجل حماية الإسلام : ( فأني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين لا برماً ) . . وقيمة الجهاد والشهادة عند الله . فقد خلق الإمام الحسين عليه السلام روح التضامن والجهاد بفعل ثورته الجهادية في ميدان كربلاء ؛ إذ كان الاستشهاد هدفه ومشروعه النهائي وبثّ إرادة الشهادة والتضحية السليمة من أجل أرجاع الدين والحق ، ومن أجل تأصيل خط الشهادة الحسينية في حياة المسلمين ، هذه الروح التي لها أعلى مستوى من الضمير والإرادة النضالية الحقيقية التي باتت تحرك الضمائر في نفوس الأجيال وأبناء الحشد الشعبي ، مثلما أراد إمامهم الحسين عليه السلام في ثورته من أجل الشهادة والتضحية لتكريس مبدأ الشهادة في المجتمع الإسلامي وفي

نفوس الشرفاء من أبناء الوطن ؛ فقد تعلم أبناء الحشد الشعبي من ثورة الإمام الحسين عليه السلام ثقافة الجهاد والشهادة لتحرير إرادة الأمة الإسلامية ، وإن يقدم أبناء الحشد الشعبي هذه الثقافة الأخلاقية الجهادية ليس بألسنتهم ؛ وإنما كتبوه بدمائهم وحياتهم ، وليطرزوا تاريخهم بهذا الانتصار الحقيقي ضد الشر والارهاب . . وليكونوا مشروع شهادة كما قدم الإمام الحسين عليه السلام نفسه وأهله من أجل الإسلام والدفاع لنصرة الدين وتسجيل عنوان الشهادة مثلما الآن يكتبوا أبناء الحشد الشعبي .

إذ يقول بعض الكتاب : إن هذه الواقعة في كربلاء بمعطياتها ، أذكت التشيع إلى أقصى حد ، وكانت عاملاً على وحدة بؤرة التشيع وحماسهم لنصرة الإسلام ، وسبباً جارفاً ليثأروا من قتلة الإمام الحسين عليه السلام ، ومن ثم جعلتهم يشعرون بوجوب توحيد صفوفهم ، والالتفاف لمشايعة المبادئ التي خرج الإمام الحسين عليه السلام للدفاع عنها وإصلاح ما انتكس وأنحرف منها<sup>(١٣)</sup> .

لقد ركزت ثورة الإمام الحسين عليه السلام التشيع في إطاره

العقائدي وأصبح عقيدة راسخة في نفوس جزء من المسلمين . إذ أبرزت ثورته روح الولاء والإخلاص لأهل بيت الرسول ﷺ عند المسلمين ، وقد أنضم تحت مقتضيات هذه الثورة الكثيرون ممن كانوا يقفون موقف الحياد بين طرفي النزاع أو الصراع ، خاصة بعد نجاح الإمام ﷺ من تجريد الحكم الأموي من الغطاء الديني الذي كانوا يستترون تحت رذائه . إذ إن الثورة الحسينية كانت أحد أهم أدواتها وأهدافها لمحاولة معالجة وعي المجتمع نحو ما نسميه الآن الوحدة الوطنية ، أو تضامن وطني أو وحدة إسلامية بالمعنى العام . فقد كشف الإمام ﷺ عن خلل عميق في هذه الوحدة وعلى السكون الظاهري الذي كان موجوداً في المجتمع آنذاك ؛ فالسكون يمثل حالة الازدواجية في التعامل مع المواقف ، فالناس ظاهرياً راضون بما هم عليه ، وحقيقة نوازع الناس تختلف كثيراً ، فهم يعرفون الحق ولا يتبعوه ، وناصروا السلطة ولو بسكوتهم ؛ لوصول المجتمع إلى حالة من التشتت والتمزق في اتجاهاتها حول طرفي النزاع ، حتى قال الفرزدق للإمام الحسين ﷺ عن حال أهل الكوفة : قلوبهم معك<sup>(١٤)</sup> .

دلت ثورة الإمام الحسين ﷺ على الواقع

الإسلامي لأهل بيت الرسول ﷺ ، وكشفت للعالم الإسلامي المواقف والإمكانات والسمات الصالحة التي يملكونها ، من الثبات على الحق والصمود امام الاحداث ، وتبني القضايا المصيرية للامة ، مما جعلت الامة الاسلامية تكن لهم الود والتقدير والولاء والاعتبار ؛ إذ وجد الفكر الإنساني في ثورة الإمام الحسين ﷺ شيئاً يتناغم مع ضمائر الأمم وعقولها وعواطفها ، كما وجد فيها ذاتية الانسان فرداً ومجتمعاً ، ضامنة لحقوقه وكرامته بعيداً عن مضايقة النظام السياسي ايأ كان نوعه ، وهذا اضفى الى ان يستوحي هذا الفكر الانساني كل الافكار والمفاهيم والسنن والقيم التي اطرحتها النهضة ووظفتها في فهم التاريخ والافادة من حركة التاريخ<sup>(١٥)</sup> .

لقد تحولت إرادة الأمة الإسلامية في عهد معاوية ويزيد إلى إرادة مهزومة ضعيفة ، لذلك فإن بعث الروح النضالية فيها ، يجب أن يرتبط بقيمة الشهادة في سبيل أعلاء كلمة الله تعالى والانتصار لدينه ؛ لهذا كانت حتمية الشهادة من ثوابت ثورة الإمام الحسين ﷺ فهو منذ خروجه على الحكم الأموي بقيادة يزيد لم يكن يتوقع غير الشهادة له ولمن معه ، وحديثه مع الناس بصورة عامة ، ومع انصاره بصورة خاصة كان يؤكد الشهادة له ولأصحابه

بصورة قطعية وعلى الذين يخرجون معه ، إن يوطنوا أنفسهم عليها ، ولذلك كان يكرر التصريح بها دائماً ، إذ عدَّ الإمام عليه السلام الشهادة قيمة حضارية لبقاء الدين الإسلامي وحمانيته من الانحراف والانقراض<sup>(١٦)</sup> .

فإلحاح الإمام عليه السلام بتكرار شهادته علناً أثناء خروجه على يزيد ، إنما أراد أن يجسد هذه الحتمية ؛ لأنها غابت منذ استشهاد الإمام علي عليه السلام باستثناءات محددة ، كما هو الحال عند شهادة حجر بن عدي وأصحابه ، وبهذا ركز الإمام عليه السلام في تصريحاته وبياناته بشكل متواصل على عنصر الشهادة في سبيل الحق والدين ، فقبل أن يخرج من مكة ، قام خطيباً فقال : ( الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله . . خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهني إلا أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف ، وخطر لي مصرع انا لاقيه ، كأني وبأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء . . لا محيص عن يوم خط بالقلم ، رضا الله رضانا أهل البيت . . )<sup>(١٧)</sup> .

كما صرح عليه السلام بالشهادة في مواضع أخرى ، منها قوله عليه السلام : ( ليرغب المؤمن في لقاء ربه محققاً فأني لا أرى الموت إلا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلا

برماً )<sup>(١٨)</sup> .

لهذا فإن ثورة الإمام الحسين عليه السلام ركزت على إحياء عنصر الشهادة في الأمة وواقعها ، ولم تكن حركة في هدفها النهائي ( مشروع سلطة ) كما يصورها بعضهم ، لذلك فإن الشهادة كانت ثمن النجاح اللاحق لثورته ، وأما طلب الحكم فهو وإن صح فهو هدف لا يخل بمكانة الإمام الحسين عليه السلام وقداسته . فذلك تبدو حتمية الشهادة لادراك الفتح الحضاري هي المقوم أو المفسر الأساسي لحركته ضد يزيد . فالهدف الذي يتناسب مع تصريحات الإمام الحسين عليه السلام هو الشهادة ، إذ يتناسب مع الظروف الموضوعية بمواجهته بقلّة اتباعه وامكاناته العسكرية ، مع قوة الحكم الأموي وصرامته<sup>(١٩)</sup> .

فالإمام عليه السلام أراد الشهادة من أجل أرجاع روح الجهاد والتضحية السليمة من أجل الدين وقواعده ، التي فقدتها الأمة تدريجياً ، من أجل تأصيل خط الشهادة في حياة المسلمين ، هذه الروح التي كانت في عهد رسول الله ﷺ في أعلى المستويات ، لكنها انتكست في عهد معاوية ويزيد ، لذلك رأينا كيف تحركت روح الجهاد في الأمة بعد شهادة الإمام عليه السلام ،

فلا نجد أن أي موقف في مواجهة السلطة من أجل الدفاع عن الرسالة الإسلامية، إلا ولشهادة الإمام الحسين عليه السلام وثورته أثر عليها، سواء وعت الأمة لذلك أم لا<sup>(٢٠)</sup>.

إن ربط الإمام الحسين عليه السلام الشهادة بالفتح، إنما يعني أن الفتح هو ليس التغلب والانتصار على العدو عسكرياً، إنما الفتح له مفهوم حضاري، فالصراع في كربلاء لم يكن بين رجلين ولا بين جيشين، وإنما بين عقيدتين وفكرتين ومبدأين؛ فالأمويون يريدون أن يعيدوا الجاهلية بكل ابعادها، والإمام عليه السلام يريد أن يكرس الإسلام الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فكانت الشهادة من مفاتيح الفتح التي اعادت إلى الأمة وعيها وضميرها، ولو لم يسقط الإمام عليه السلام الشرعية وبجرد الأمويين من الغطاء الديني بشهادته وتضحيته وجهاده وصلابة موقفه لتغيرت جميع الموازين الفكرية والعقائدية والشرعية والاخلاقية، ولطرح الإسلام طرحاً مشوهاً محرفاً عن سياقاته الأصيلة<sup>(٢١)</sup>.

فالشهادة عند الإمام الحسين عليه السلام تعني الفتح بمعناه العام وهي تثبيت وتحقيق الغايات الحضارية،

فدم الشهيد هو الأداة الأقوى لتحقيق تلك الغايات، هذا الدم هو مفتاح الفتح فلا شيء يحرك ضمائر الناس ويزيل حجب الظلمة والجهل من عقول الناس وقلوبهم؛ لأن مفهوم الفتح في سياقه الإسلامي، هو تمكين الحق من القلوب، وانشراحها على رسالة الله تعالى.

وبذلك حقق الإمام الحسين عليه السلام هدفه في تكريس الشهادة في المجتمع الإسلامي وفي نفوس الأمة، منذ ثورته وكيف ثقافة الاستشهاد تزامنت مع تحرير إرادة الأمة وتعزيز رقابتها العملية على السلطة، أدت بالنهاية إلى سقوط الحكم الأموي؛ لأن الشهادة لها بعد ومفهوم قرآني أكدته السنة النبوية الشريفة<sup>(٢٢)</sup>.

لذلك جاءت ثورة الإمام عليه السلام لتجديد هوية المسلمين وإحياء قيمها ومفاهيمها في وعي الناس وعقولهم، واستطاعت هذه الثورة أن تبين الموقف النظري والعملية والشرعية للأمة تجاه الانحراف الذي يصيبها، وعندما يتجاوز الحكام على دينهم، إلا وهو الخروج عليهم ومواجهتهم لتصحيح الانحراف والتجاوز؛ فثورته حافظت على جميع جهود الرسول



محمد ﷺ من دين وعدل وحقوق ، التي أراد بنو أمية هدمه .

وقد أحييت هذه الثورة الإسلام ، بعد إن تعرض لردة حضارية وقد المح الإمام علي بن الحسين ﷺ إلى انتصار القضية الإسلامية على أثر ثورة أبيه ﷺ ، حينما سأله إبراهيم بن طلحة بن عبدالله قائلاً : من الغالب ؟ قال ﷺ : ( إذا أردت أن تعرف من غلب ، فأذن واقم تعرف الغالب .. ) (٢٣) .

لقد أكدت الثورة الحسينية أهمية الدين ، وإنه يستحق هذا المقدار العظيم من التضحية والفداء في سبيل الله وفي سبيل إقامة الاحكام الإسلامية والشعائر الدينية ؛ لأن الدين على عظمتها إنما اكتسب الأهمية ؛ لأنه امر الله ونهيه ، والرسول ﷺ إنما اكتسب الأهمية ؛ لأنه رسول الله تعالى (٢٤) .

وجسد الإمام ﷺ مبدأ المعاد بنهضته تجسيدا حياً إذ عرض نفسه وأهله للقتل من أجل حماية الإسلام ، وإيماناً منه إنه ملاقي ربه وهو سعيد لوقوفه بوجه حكم يزيد ومن قبله معاوية ، فقد عبر عن هذه الحقيقة في قوله ﷺ : ( .. وان الدنيا قد تغيرت

وتنكرت وادبر معروفها ، ولم يبقَ منها إلا صباية كصباية الاناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ، إلا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله ، فأني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً ) (٢٥) .

جسد الإمام الحسين ﷺ في ثورته على الحكم الأموي ، قيمة الصبر وقوة التحمل والصلابة في الحق . فعند خروجه بأنصاره وأهل بيته إلى الكوفة ، أوصاهم بالصبر والتوكل والصلابة في سبيل المبدأ ، إذ قال لهم : ( أيها الناس فمن كان منكم يصبر على حد السيف وطعن الاسنة فليقم معنا ، وإلا فليصرف عنا ) (٢٦) . ( وكل يوم ربنا في شان ، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه ، وهو المستعان على إداء الشكر .. ) (٢٧) . ولقد قدّم الإمام الحسين ﷺ وآله وأصحابه في ثورتهم على الحكم الأموي الأخلاق الإسلامية العالية بكل صفاتها ونقائنها ، ولم يقدّموا إلى المجتمع الإسلامي هذا اللون من الأخلاق بالسنتهم ، وإنما كتبوه بدمائهم وحياتهم (٢٨) .

ولهذا فان شهادة الإمام الحسين ﷺ ، كانت تمثل انتصاراً حقيقياً للإسلام وللاُمة من



حيث تحرير إرادتها آنياً ومستقبلاً ؛ اما ظواهر النصوص التي كانت تصدر من الإمام (عليه السلام) التي تشير إلى إن الهدف من ثورته هو إقامة الحكم الإسلامي لكي يحقق الإصلاح السياسي العام في الدولة الإسلامية ، فقد فسر الشهيد محمد باقر الصدر ذلك بقوله : إن الإمام الحسين (عليه السلام) حينما كان هدفه من الشهادة هو هز ضمير الأمة وشحذ إرادتها ، فلا فائدة عندئذ من عنونة عمله بالشهادة فقط ؛ لأن عنوان الشهادة لا يكفي بمفرده تحقيق ذلك الهدف وكان ممكناً أن يقال عنه بأنه ذهب لكي ينتحر ، اما لو رأت الأمة إنساناً مخلصاً كالإمام (عليه السلام) وقد تحرك نحو هدف إقامة النظام الإسلامي الأصح ، ومن أجل كلمة الله ، وقد ضحى بنفسه من أجل هذا الهدف عندئذ تدرك الأمة أن السعي للهدف الذي ضحى من أجله الإمام (عليه السلام) يعدّ من اقدس الواجبات ويستحق التضحية كما ضحى له (عليه السلام) ؛ ولهذا فالإمام (عليه السلام) عندما خرج معلناً ثورته ومعارضته ليزيد أعلن عن هدفه ومبررات خروجه والغاية التي ينشدها ، واتضح من مجموع خطابه واقواله

وبياناته ، إنه كان يريد تصحيح الأوضاع المنحرفة ، وتشبيد نظام حكم صالح تقام فيه الشريعة وتضان فيه الحقوق ويحكمه الاختيار من الأمة الإسلامية<sup>(٢٩)</sup> .

لذلك فإن الإمام الحسين (عليه السلام) أراد أن يقوم بثورته ويضحى بنفسه وأهله وماله من أجل أرجاع الروح والإرادة والجهاد في الأمة ، التي فقدتها تدريجياً في ظل مثل هكذا خلافة وحكم . ومن أجل تأصيل خط الشهادة ومعارضة الانحراف السياسي ، اما بياناته السياسية فلا تعدو كونها بيانات للرؤية والتصور السياسي لماهية الخلافة والإمامة في الإسلام ، التي يعتمدها ويؤمن بها الإمام الحسين (عليه السلام) إذ لا بدّ أن يوضحها ؛ لأنها القاعدة لانطلاقة ثورته ، مقابل الرؤية السياسية المسيطرة على الذهنية عند المسلمين ، كما أراد (عليه السلام) أن يشخص للأمة أساس المشكلة والمعاناة التي تعانيها في حياتها ، سواء في جانبها العقائدي الديني ام السياسي ام الاقتصادي والاجتماعي والاخلاقي ، فان علة ذلك وأساسه هو الانحراف السياسي العام للقيادة السياسية

التي تحكم باسم الخلافة الإسلامية ، إذ كانت شؤون الأمة بأيدي عناصر لا تحمل هموم الإسلام والأمة ، بل تخطط للقضاء على روح الإسلام وإبعاده عن حياة الأمة<sup>(٣٠)</sup> .

لقد استحقت الثورة الحسينية هذا البعد الجماهيري ، فمع مطلع كل شهر محرم من كل سنة هجرية ، يُستحضر موقف وثورة الإمام الحسين عليه السلام ، في وجدان الفكر الإنساني برمته ، وهذا يدل على أن فكر الثورة يمثل عقيدة راسخة في نفوس المفكرين والقادة والقواعد الجماهيرية في كل البلدان الإسلامية وغير الإسلامية ، لذا فهي لم تخص طائفة معينة ، وإنما تخص الإنسانية عموماً<sup>(٣١)</sup> .

من ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، ومن واقعة طف كربلاء نجد قيمة الشهادة الحضارية ، وأصبحت عقيدة راسخة في نفوس المسلمين عامةً ، وأبناء الحشد الشعبي خاصةً ؛ إذ برزت في ثورة الإمام الحسين عليه السلام روح الولاء والإخلاص لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن هذه القيمة الحضارية التي أنصبت في الفكر العقائدي

والإنساني الروحي في ضمائر ونفوس أبناء الحشد الشعبي ؛ لتقدير ذلك الولاء والود والتقدير للإمام الحسين عليه السلام ؛ الذي ضحى بنفسه وأهله وماله للشهادة وأعلى كلمة الله تعالى ، وتكرار عنصر الشهادة لقوله : ( ليرغب المؤمن في لقاء ربه محققاً ، فأني لا أرى الموت إلا شهادة .. ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً ) .

لذا فإن ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، ركزت في نفوس أبناء الحشد الشعبي عنصر الشهادة ؛ ولهذا نجد مشروع الشهادة يتناغم مع ضمائرهم وروحهم وولائهم لوطنهم ؛ من أجل الدين والعقيدة والدفاع من أجل الوطن ضد قوى الشر والارهاب التكفيرية ، ويخطوا طريق الشهادة بدمائهم الطاهرة ؛ كما خطها إمامنا الحسين عليه السلام ؛ هكذا هم أبناء الحشد الشعبي يسطرون ويسجلون خط الجهاد والشهادة من ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، لأنها وجدان الفكر الإنساني برمته ؛ فثورة الحسين عليه السلام عقيدة راسخة في فكر وعقيدة أبناء الحشد الشعبي للجهاد وتمثيل خط الشهادة للدين والوطن .

## الهوامش :

- [١] مطهري ، مرتضى : الملحة الحسينية ، ط ٣ ، قم ، طليعة النور للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٣٠ هـ ، ص ٢٢٠ .
- [٢] الصدر ، محمد باقر : اقتصادنا ، ط ٢ ، قم ، مؤسسة بوستان للنشر ، ١٤٢٥ هـ ، ص ٢٢٦ .
- [٣] الصدر ، محمد مهدي : أخلاق أهل البيت (عليه السلام) ، د . م ، د . ن ، د . ت ، ص ٤٦٥ .
- [٤] الحراني ، ابن شعبة : تحف العقول فيما جاء من المواعظ والحكم من آل الرسول ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، ط ٢ ، قم ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٥٨ .
- [٥] الحراني ، المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .
- [٦] حسن ، حسين الحاج : الرسالة في الثورة الحسينية ، ط ١ ، بيروت ، دار الكرام للنشر والتوزيع والتحقيق ، ١٩٩٣ ، ص ١٥١ . ١٥٢ .
- [٧] ابن شهر آشوب ، مشير الدين ابن عبد الله . مناقب آل أبي طالب ، تحقيق : لجنة من اساتذة النجف الأشرف ، النجف الأشرف ، منشورات المكتبة الحيدرية ، ١٩٥٦ ، ص ٢٢٤ .
- [٨] الأمين ، محسن : لواعج الأشجان في مقتل الحسين (عليه السلام) ، قم ، بصيرتي للنشر والطباعة ، ١٣٧٣ هـ ، ص ١٨٥ .
- [٩] الحراني ، مصدر سابق ، ص ٢٤٥ .
- [١٠] بيضون ، إبراهيم : ثورة الحسين حدثا وإشكاليات ، ط ١ ، بيروت ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ٢٠٠١ ، ص ٣١١ .
- [١١] الحراني ، المصدر السابق ، ص ٣١١ .
- [١٢] ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، لبنان ، دار الثقافة للنشر ، ج ٥ ، د . ت ، ص ٤٠٦-٤٠٧ .
- [١٣] القرشي ، باقر شريف . حياة الإمام الحسين (عليه السلام) ، ط ١ ، النجف الأشرف ، مطبعة الآداب ، ١٩٧٥ ، ص ٤٤٣-٤٤٤ .
- [١٤] الحراني ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ .
- [١٥] الأصفى ، محمد مهدي . في ظلال الطف ، ط ١ ، بيروت ، دار الكرام ، ١٤١٦ هـ ، ص ١٧٣-١٧٤ .
- [١٦] لجنة الحديث في معهد باقر العلوم . موسوعة كلمات الإمام الحسن (عليه السلام) ، ط ١ ، قم ، دار المعروف للنشر ، ١٤١٣ هـ ، ص ٣٩٧ .
- [١٧] الطبري ، محمد بن جرير . تاريخ الطبري ( تاريخ الامم والملوك ) ، بيروت ، مؤسسة العلمي للمطبوعات ، د . ت ، ص ٣٠٥ .
- [١٨] الأصفى ، المصدر السابق ، ص ١٧٧-١٧٨ .
- [١٩] الأصفى ، المصدر نفسه ، ص ١٧٨ .
- [٢٠] المجلسي ، محمد باقر . بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الأطهار ، تحقيق : يحيى العابد ، ط ٢ ، ج ٤٥ ، بيروت ، مؤسسة الوفاء للنشر ، ١٩٨٣ ، ص ١٧٧ .
- [٢١] ابن حنبل ، احمد : مسند الإمام احمد ، بيروت ، دار صادر ، د . ت ، ص ١٩٠ .
- [٢٢] الصدر ، محمد محمد صادق . أضواء على ثورة الحسين (عليه السلام) ، ط ٢ ، النجف الأشرف ، د . ن ، ١٤١٧ هـ ، ص ١٠١ .
- [٢٣] الهديي ، حبيب إبراهيم : قراءات في بيانات الثورة الحسينية وأبعادها الرئيسية ، ط ١ ، د . م ، المؤسسة الإسلامية للبحوث والدراسات والمعلومات ، ٢٠٠٢ ، ص ١٠٧-١٠٩ .
- [٢٤] النصيري ، كاظم : أهل البيت (عليه السلام) في الكتاب المقدس ، ط ١ ، بيروت ، دار صادر للنشر ، ١٩٩٧ ، ص ١١٣-١١٤ .
- [٢٥] الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد . تاريخ الإسلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط ١ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٧ ، ص ١٢ .
- [٢٦] الطبري ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ .
- [٢٧] الطبري ، المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٩٠-٢٩٢ .

- [٢٨] شمس الدين ، محمد مهدي . ثورة الإمام الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية ، تحقيق : سامي الغريبي ، ط ١ ، د . م ، دار الكتاب الإسلامي ، ٢٠٠٦ ، ص ١٩٤-١٩٥ .
- [٢٩] بارا ، انطوان ، الحسين في الفكر المسيحي ، ط ١ ، قم ، فاروس للنشر ، ٢٠٠٤ ، ص ٧١ .
- [٣٠] بارا ، المصدر السابق ، ص ٣٥٧-٣٥٨ .
- [٣١] القزويني ، شاكِر: لحمّة عاشوراء منهج للحياة والموت والعبادة ، مجلة الكوثر، النجف الأشرف ، السنة السابعة ، العدد ١١٤ ، ٢٠٠٧ ، ص ١٦ .

# دَوْرُ الْأَرْبَعِينَ فِي صِنَاعَةِ الشَّخْصِيَّةِ الْمَهْدِيَّةِ

❖ الشيخ الشهيد مشتاق الزيدي(\*)

---

(\*) نشر هذا البحث في دراسات سابقة لسماحة الشيخ رحمه الله ، وقد ارتأينا إعادة نشره لأهميته، ووفاءً لفكر هذا المجاهد الفذ.





## مقدمة :

من أهمّ الأرصدة المعنوية الماضية التي يمتلكها أتباع مذهب آل البيت عليه السلام هو وجود إمام ثائر عندهم ، كانت وما زالت ثورته نبراس الثورات ، وتضحيتته أمّ التضحيات ، وحرارة مقتله من أشدّ المهيجات ، فتولّد لديهم ببركة ثورته ما لم يتولّد عند غيرهم ، وهو عنصر الإصلاح لا لمصلحة دنيوية ولو كلف ذلك الحياة ، وإنّ الذلّة لا وجود لها في صفحة الحياة ... ، إيماناً منهم بتضحياته وبكلماته ... ، والتي منها :

« ما خرجت أشراً ولا بطراً وإنّما لطلب الإصلاح ... » <sup>(١)</sup> .

« ... هيهات منّا الذلّة ... » <sup>(٢)</sup> .

« ... لا أعطي بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد ... » <sup>(٣)</sup> .

« ... مثلي لا يبيع لمثله ... » <sup>(٤)</sup> .

ومن الأرصدة المعنوية المستقبلية التي يمتلكها أتباع مذهب آل البيت عليه السلام الإيمان بالإمام الغائب المنقذ الذي يملؤها قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً ، وأنّه إمامهم الثاني عشر . وهذا الإيمان هو ممّا يحفّزهم على العمل الجادّ في التمهيد لظهوره ، والاستعداد للانخراط تحت قيادته ، والانتظار لفرجه .

فإنّ الانتظار للإمام المنقذ عليه السلام من أهمّ المحفّزات على العمل الديني والاجتماعي والإعداد

لذلك من أهم الطاعات .

فبين تراث الماضي وأمل المستقبل تكوّن الحاضر الإيماني والتعبوي لدى أتباع الحقّ ، وتولّدت حالة معنوية عالية تمخّض منها عدّة فعاليات وعبادات وتحركات .

منها : الروح الجهادية والقتالية التي يمتلكها الأتباع دون غيرهم ، ونموذج الحشد الشعبي شاهد على ذلك ، وهذا يحتاج إلى أفراد أبحاث مستقلة للوقوف على هذه الظاهرة .

ومنها : عدم الانصياع للحكومات الظالمة ، وعدم الارتباط بها من كلّ النواحي .

ومنها : الاستقلالية في إدارة المذهب فكراً واقتصادياً ، وعدم الارتباط بأيّ أجندة .  
وغيرها العشرات .

ومن هذه الفعاليات العبادية المهمّة فعالية الزيارة الأربعينية المقدّسة ، فهذه الفعالية تميّزت بربط الماضي الحسيني بالمستقبل المهدوي لتوليد حاضر يفرض علينا واقعاً يجعلنا نُنظّم أنفسنا من كلّ النواحي استعداداً وتمهيداً لدولة الحقّ .

فالذي يطلّع على وقائع زيارة الأربعين وما يراه من تجمهر عشرات الملايين زماناً ومكاناً وبلغات وقوميات وتوجّهات شتّى – يجمعهم رجل واحد اسمه الحسين (عليه السلام) ، وينادون بنداء واحد هو : ( اللَّهُمَّ عَجِّلْ لَوْلِيكَ الْفَرَجَ ، وسهّلْ له المخرج ) – يرى بوضوح أنّ تلك الزيارة من أهمّ مميّزات الظهور .

وفي هذا البحث المختصر نقف على أهمّ تلك المعطيات التي لها دور في الظهور ، وسنغصّ النظر عن ما للزيارة من أهميّة واضحة ومعطيات جمّة في شتّى المجالات ، لأنّ هدفنا هو التركيز على هذه المفردة العظيمة ، وهو دور الأربعين في التمهيد للظهور وصناعة الشخصية المهدوية .

فالتمهيد وانتظار الفرج أهمّ المفردات التي تُشغل ذهن البشرية المؤمنة ، فالعمل عليه ومعرفة ما يقرب الظهور ويرفع الموانع من أهمّ العبادات في الغيبة كما ورد في الروايات : « أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَنْتَظَارُ الْفَرَجِ » ، ففي ( الإمامة والتبصرة من الحيرة ) : « إِنَّ النَّبِيَّ قَالَ : أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي أَنْتَظَارُ الْفَرَجِ ، وَلَا يَزَالُ شَيْعَتُنَا فِي حُزْنٍ حَتَّى يَظْهَرَ وَلَدِي الَّذِي بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ أَنَّهُ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا ، كَمَا

مُلِئْتُ ظُلْمًا وَجَوْرًا»<sup>(٥)</sup> .

محاور هذا مجملها :

الأول : البناء المعنوي والروحي .

الثاني : البناء الاقتصادي .

الثالث : البناء التعبوي .

الرابع : البناء الاجتماعي .

الخامس : البناء الفكري والعلمي .

السادس : البناء الأمني .

السابع : البناء الأخلاقي .

الثامن : المحور العسكري .

التاسع : المحور الإعلامي .

العاشر : المحور التمريني والتدريبي .

الحادي عشر : المحور التكافلي .

الثاني عشر : البناء السياسي .

تفصيل المحاور :

### المحور الأول : البناء المعنوي والروحي :

من أهم ما يساهم في التمهيد للظهور هو بناء

شخصية معنوية وروحية لدى المؤمن تؤهله لنصرة

القيام المهدوي ، وهناك آليات عديدة لبناء

الشخصية الإسلامية عموماً ، ولعل أهم تلك الآليات

ولكن ليس كل انتظار هو ممدوح ، وإنما الانتظار مع الإيمان والعمل الجاد في التمهيد للإمام عليه السلام ، والعمل طبقاً لمعاد الشريعة ، لا الانتظار مع الخمول واليأس وارتكاب المحرمات والتسليم للظلم والظالمين .

وهناك جملة من الأعمال تُمهّد للظهور وترفع بعض موانعه وهي تقع على عاتق المؤمنين ، منها : إكمال عدّة ( ٣١٣ )<sup>(٦)</sup> الذين يُشكّلون النواة القيادية الأولى حول الإمام عليه السلام ، ومنها : الدعاء له بالفرج ، وغيرها ، ففي الرواية : « فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ أَظْهَرَ أَمْرَهُ »<sup>(٧)</sup> ، فظاهر الرواية أن اجتماع العدّة ( ٣١٣ ) شرط لإظهار أمره .

ومن جملة الممهّدات والمربيّات لمجتمع الظهور هي زيارة الأربعين لما لها من أبعاد مختلفة وعديدة ، نحاول التركيز عليها وبيانها وتطويرها والدفع بالمؤمنين نحو جعلها من الطرق العبادية التي يُتمسك بها لبناء شخصية الظهور .

ونطرح دور الأربعين في البناء للظهور في

هو اتخاذ القدوة الحسنة والسير على نهجها والتزوّد بالعلم والمعرفة وغيرها . وبناء هكذا شخصية يجعل الإنسان قوياً عند الشدائد ، صبوراً عند النوائب ، عزيزاً يابئ الذلّ ، شجاعاً لا يعرف الجبن ، صادقاً لا يكذب ، أميناً لا يخون ... الخ .

ومن الآليات المهمة أيضاً هو انتهاج السلوك العبادي واتخاذها وسيلةً للتقرب لله وبناء ملكات وفضائل وكسر الشهوات ومحو الرذائل ، فالصلاة - مثلاً - لها آثارها المعنوية الكبيرة كما نطقت الآيات والروايات ، فهي تُعطي حصانة للإنسان عن الوقوع في الفحشاء والمنكر ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ( العنكبوت : ٤٥ ) ، وهي وسيلة للتقرب للساحة الإلهية والابتعاد عن الخطط الشيطانية « الصلاة قربان كلّ تقى »<sup>(٨)</sup> ، وهي سبيل للعروج إلى الربّ « الصلاة ميزان أمّتي »<sup>(٩)</sup> ، إلى غير ذلك من الآثار .

وهكذا الصوم والحجّ والجهاد وأداء الحقوق الشرعية وغيرها كلّ له آثاره وبناء لشخصية الإنسان المؤمن وتربيتها تربية إسلاميّة .

وزيارة الأربعين - وبالخصوص مشياً - تُمثّل ممارسة عبادية متنوّعة وطويلة الأمد زماناً ومسافةً - تشابه إلى حدّ ما موسم الحجّ من حيث التنوّع العبادي والجهد المعنوي والتعبوي ، فيمارس فيها مجموعة من العبادات كالزيارة والصلاة - وخصوصاً صلاة الجماعة - والتسبيح والوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء والمشي - بناءً على عباديته - وغيرها .

وهذه الممارسات العبادية المتنوّعة تخلق - خصوصاً مع طول أمدّها واستمراريتها - جوّاً روحياً عالياً من خلال ما يحصده المؤمن من حسنات ومحو للسيئات ورفع للدرجات وتوطين النفس على الصعوبات ، وخصوصاً المشي مع تحمّل المتاعب والحرّ والبرد وتورّم الأقدام وتغيّر اللون وذبول الشفاه والجوع والخوف - كما في زمن الطغاة - ، وغيرها من الصعوبات .

وهذا يخلق شخصية دينية صلبة الإيمان كي تكون مؤهلة ومستعدة لنصرة الإمام الحجّة عليه السلام ، ممّا يُوفّر أحد مقتضيات تعجيل الظهور ، وهو وجود الموارد البشرية الناضجة والمستعدة استعداداً حقّاً

لنصرة المنقذ سواء من عدة (٣١٣) أو من عدة (١٠/٠٠٠) كما نطقت الروايات، منها: «... فَإِذَا أَكْمَلَ لَهُ الْعَقْدُ وَهِيَ عَشْرَةُ أَلْفٍ [أَلْفٍ] رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللَّهِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»<sup>(١٠)</sup>، فإكمال العدة يمثل أحد المقتضيات المهمة للظهور، فلا يبقى إلا بعض المقتضيات الأخرى وزوال المانع.

### بعض روايات المشي وأجرها :

لذا وردت روايات في المشي وأهميته العبادية، نذكر منها وهي مستفيضة، بل متواترة، وفيها الصحاح، فلا حاجة لبحث سندها، منها :

١ - عن أبي الصامت، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ مَاشِياً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ دَرَجَةٍ... »<sup>(١١)</sup>.

٢ - عن علي بن ميمون الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : « يَا عَلِيُّ، زُرِ الْحُسَيْنَ وَلَا تَدَعُهُ »، قَالَ : قُلْتُ : مَا لِمَنْ أَنَا مِنَ الثَّوَابِ ؟ قَالَ : « مَنْ أَنَا مَاشِياً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً، وَمَحَى عَنْهُ سَيِّئَةً، وَرَفَعَ لَهُ

دَرَجَةً، فَإِذَا أَنَا وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ مَلَكَينِ يَكْتُبَانِ مَا خَرَجَ مِنْ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ، وَلَا يَكْتُبَانِ مَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ مِنْ شَرٍّ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَإِذَا انْصَرَفَ وَدَّعُوهُ، وَقَالُوا : يَا وَلِيَّ اللَّهِ، مَغْفُوراً لَكَ، أَنْتَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ وَحِزْبِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ، وَاللَّهِ لَا تَرَى النَّارَ بِعَيْنِكَ أَبَداً، وَلَا تَرَكَ، وَلَا تَطْعَمُكَ أَبَداً »<sup>(١٢)</sup>.

٣ - عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله عليه السلام : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ فَلَهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِهِ بِأَوَّلِ خُطْوَةٍ مَغْفِرَةٌ ذُنُوبِهِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقْدَسُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَتَّى يَأْتِيَهُ، فَإِذَا أَنَا نَاجَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ : عَبْدِي سَلْنِي أُعْطِكَ، أَدْعُنِي أُجِيبَكَ، أَطْلُبْ مِنِّي أُعْطِكَ، سَلْنِي حَاجَةً أَقْضِيهَا »<sup>(١٣)</sup>. وغيرها.

فالروايات واضحة في دور المشي لزيارة الحسين عليه السلام في البناء المعنوي وتحصيل الأجر الرافع للدرجات، وهو ممّا تحتاجه الشخصية الممهّدة للإمام الحجة عليه السلام خصوصاً مع اقتران الزيارة بالدعاء بالفرج من قبل هذا الزائر الذي يقول له الله تعالى - كما في الرواية الماضية - : « أَدْعُنِي أُجِيبَكَ... ».



## المحور الثاني : البناء الاقتصادي :

إنَّ القوَّة الاقتصادية وتأمين الوضع المالي من أهمِّ مقوِّمات نجاح الأمم والحركات بعد الموارد البشرية ، وكذلك معرفة كيفية إدارة المال وعدم الإسراف به والتبذير وحسن الاقتصاد بالصرف يُشكِّل قواماً اقتصادياً أخرى .

فالمال والاقتصاد له أهمّية في البناء الاجتماعي والفردية ، ودوره مهمٌّ في خلق حياة سعيدة وأُسرة صالحة وحياة أمانة - كونه أحد مقوِّماتها - ، ولا يعني ذلك أنَّه علّة تامّة لتلك الأمور ، بل قد يكون وبالأعلى الإنسان إذا لم يُحسن التصرف ، فهو سلاح ذو حدين .

والقرآن في اللحظة التي يُبيِّن أنَّ المال زينة ﴿ اَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ( الكهف : ٤٦ ) ، يُبيِّن أنَّ المال فتنة ﴿ إِنَّمَا اَمْوَالُكُمْ وَاَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ( التغابن : ١٥ ) ، فهو زينة ومفاد إيجابي إذا صانه ووضعه في موضعه واتَّخذه وسيلةً للآخرة وكفى به نفسه وعياله ومجتمعه وأُمَّته الإسلامية وقضى حوائجهم ، وهو فتنة وعذاب إذا ما ضيَّعه وبذَّره وجعله وسيلةً للدنيا والشهوة والحرام وانتهاك الأعراض وقتل

النفوس . وكذلك الروايات بيَّنت هذه الحقيقة ومدحت المال مع الدين وذمَّت المال إذا كان وسيلةً للعصيان ، ووازنت بين النظرتين<sup>(١٤)</sup> .

ومن الممارسات الإيجابية للمال والاقتصاد هو ما تقوم به الجموع المؤمنة من ممارسات عبادية في الأربعين ، وتوظيف القوَّة المالية في إحياء هذه المناسبة - من خلال الصرف المالي على المواكب وإطعام الطعام الذي تمارسه المواكب لملايين الزائرين - ، وهذا ما يُمثِّل قوَّة اقتصادية كامنة في الأُمَّة الحسينية التي هي أُمَّة الإمام المهدي عليه السلام وناصرته ، فلا ميزانية مالية ولا دعم دولة ولا حزب وإنما هي تمويل من شعب الحسين لزوّار الحسين عليه السلام ، وهذا التمويل الهائل ما هو إلا ممارسة وتدريب اقتصادي على الصرف المالي المنضبط الذي يمارسه الممهّدون للظهور ، وثقافة متقنة على الصرف والبذل في سبيل الدين وإنجاح الثورة المهدوية .

وهذه الممارسة والاستعداد للصرف ، بل والصرف الفعلي لم يكن لولا هذه الزيارة المباركة ، فإذا كان عصر الظهور فلا يجد المؤمن حرجاً في الصرف المالي بعد أن مارس الصرف لعشرات السنين على



جمهور الحسين (عليه السلام) .

خصوصاً وأنّ بعض المؤمنين يقاسم زوّار الحسين (عليه السلام) قوت عياله ومؤنته السنوية ، لكي يُنفقها في موسم الزيارة ، بل بعضهم - كما سمعت ورأيت بأُمّ عيني - يبيع بيته أو سيّارته ويشترى ما هو أقلّ منهما إذا لم يكف ما جمعه للموسم .

فهكذا عمل يصدر من هكذا شعب حسيني يُؤهلهم لتكوين مجتمع مهدوي يقود الأُمّة إلى برّ الأمان ، ويبني اقتصاداً رصيناً يكفّ حاجة الأُمّة .

### المحور الثالث : البناء التعبوي :

من المفاهيم المهمّة في عالم الدعوة وتجميع الجماهير والأنصار هو مفهوم التعبئة ، وهي قوّة شعبية كامنة أو ظاهرة لها حضورها في كلّ نواحي الحياة لخدمة قضية ما تهتمّ الوطن أو المواطن ، وهي على أنواع ، فقد تكون تعبئة عسكرية أو إعلامية أو اجتماعية أو غيرها .

ومن أهمّ أنواعها هو التعبئة الاجتماعية ، وهي تحريك واستنفار المجتمع بكلّ قطاعاته للمشاركة الإيجابية لتحقيق الأهداف المطلوبة . ولا بدّ أن تشمل

التعبئة الاجتماعية جميع قطاعات المجتمع من المسؤولين الرسميين والسياسيين ، قادة الرأي ، القادة المحليين وجموع المواطنين ( نساء ، رجال ، بل الأطفال من مدارسهم ) .

وهذا ما يحصل فعلاً في زيارة الأربعين ، فإنّ هناك تعبئة جماهيرية عامّة لتحقيق هدف ديني هامّ في حياة الفرد والمجتمع .

فمن أهمّ ما تحتاجه كلّ دعوة سماوية كانت أم أرضية هو وجود قوّة معنوية أو ماديّة أو شخصية قيادية تمتلك ( كاريزما ) عالية تستطيع أن تخلق جمهوراً وأتباعاً من خلال التعبئة الجماهيرية الواسعة التي تُقدّم الولاء والخدمة مجّاناً وبلا مقابل .

والذي يلاحظ زيارة الأربعين لا يجد أيّ مجهود في التعبئة الجماهيرية ، بل الجمهور مقبل على الزيارة وعلى الخدمات بلا نظير ، بل كثير من الجماهير يُنفق أموالاً وجهداً مضاعفاً في تلك الأيام وبيتهج بذلك الصرف وبهذا الجهد .

وهذا العمل التطوّعي العظيم لا تجد له نظيراً في كلّ العالم ، وهو مفخرة يتميّز بها أتباع آل

البيت عليه السلام ، وهو من ثمرات الثورة الحسينية الخالدة .

وهذه التعبئة الجماهيرية في الزيارة إنما هي صورة من صور التعبئة للإمام المهدي عليه السلام حال قيامه بالثورة العالمية المباركة .

فالجمهور الحسيني معباً للحركة المهدوية ومستعداً لها على أحسن ما يكون ، فلا نحتاج أن نعدّ برامجاً تعبوية كثيرة لأجل الحركة المهدوية - من هذه الجهة - لأنها معدّة إعداداً واضحاً وبخبرة تمتدُّ مئات السنين ، نعم نحتاج إلى برامج مهدوية أخرى من جهات أخرى .

فدور زيارة الأربعين في تعبئة المؤمنين تعبئة مهدوية واضحة وفعّالة من خلال الحرارة التي تكوّنت في قلوبهم بمقتل الحسين عليه السلام .

#### المحور الرابع : البناء الاجتماعي :

من أهمّ ما يُميّز المجتمع الناجح والصالح هو قوّة الترابط الاجتماعي بين أفرادهِ وعملهم كخليفة النحل الواحدة لإنجاز مهامّهم المناطة بهم ، ممّا يساعد على البناء السليم لكلِّ مفاصل الحياة سواء

كانت فردية أو اجتماعية ويساعد على أن ينال كلّ فرد فرصته في الحياة .

لذا نجد الروايات اهتمّت كثيراً بالترابط الاجتماعي بين كلّ أفراد المجتمع سواء كانوا من الأرحام أم لا ، ومن هذه الروايات :

عن مرّازم ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « عليكم بالصلاة في المساجد ، وحسن الجوار للناس ، وإقامة الشهادة ، وحضور الجنائز ، إنّه لا بدّ لكم من الناس ، إنّ أحداً لا يستغني عن الناس حياته ، والناس لا بدّ لبعضهم من بعض » <sup>(١٥)</sup> .

وعن حبيب الخثعمي ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « عليكم بالورع والاجتهاد ، واشهدوا الجنائز ، وعودوا المرضى ، واحضروا مع قومكم مساجدكم ، وأحبوا للناس ما تُحبُّون لأنفسكم ، أمّا يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقّه ولا يعرف حقّ جاره » <sup>(١٦)</sup> .

وعن زيد الشحام ، عن أبي عبد الله عليه السلام : « ... صلوا عشائركم ، واشهدوا جنائزهم ، وعودوا مرضاهم ، وأدّوا حقوقهم ، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه

وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خُلُقَه مع الناس  
 قيل : هذا جعفري ، فيسرّني ذلك ، ويدخل عليّ منه  
 السرور . . . »<sup>(١٧)</sup> .

إلى غيرها من الروايات وآداب التعاشر والترابط  
 الاجتماعي<sup>(١٨)</sup> .

وبالمقابل من أهمّ ما يُدَمِّر المجتمع هو كثرة  
 النزاعات والخلافات والتحزّبات وتحوُّله إلى شَيْع يتلاعب  
 به الظلمة ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا  
 يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخُّ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ  
 كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ( القصص : ٤ ) ، وهذه سُنَّة قائمة  
 يتّخذها الظالمون لإضعاف المجتمع .

كما أنّ التنازع سبب واضح لهدر الطاقات  
 وضياح الفرص والتراجع الفردي والاجتماعي على كلّ  
 المستويات .

لذا يحرص علماء الاجتماع في البلدان على  
 خلق جوّ اجتماعي بين أفراد مجتمعاتهم بعيداً عن  
 الخلافات والصراعات والشتات ، والحرص على خلق  
 روح التعاون والمحبة وتقوية الروابط الاجتماعية  
 والأسرية .

والذي يلاحظ الزيارة الأربعينية يرى قوّة الترابط  
 بين أفراد الزائرين كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً أثرياء  
 وفقراء رؤساء ومرؤوسين ، فلا تميّز بين غني أو فقير  
 ولا بين مشهور أو مغمور . . . الخ .

فالكلّ سواسية ، بل في بعض الأحيان ينقلب  
 الميزان وترى الكبير يخدم الصغير ، أو المشهور يخدم  
 المغمور ، أو الرئيس يخدم المرؤوس ، وهكذا .

فترى الترابط الاجتماعي بأعلى صورة وبأجمل ما  
 يكون ، وكأنّك تسير في مجتمع ملائكي ، وهذا البناء  
 إنّما هو بناء نابع من هذه الزيارة المباركة .

وهذا الترابط الاجتماعي ليس بين مدينة  
 ومدينة ، بل بين دولة ودولة ، بل بين دول ودول  
 وشعوب وشعوب ، فإنّ هناك جماهير من عشرات  
 الدول تلتقي فيما بينها فتكوّن أواصر ووشائج قويّة .

وهذا فضلاً عن أنّ هناك حواجز اجتماعية  
 ونفسية وثقافية بين شعوب بعض البلدان والبلدان  
 الأخرى بسبب حروب أو غيرها ، ولكنّا نراها قد ذابت  
 بسبب هذا الملتقى العامّ الحاصل في زيارة الأربعين .

فزيارة الأربعين تجعل الترابط الاجتماعي ليس

### المحور الخامس : البناء الفكري والعلمي :

إنَّ تحصين الأُمَّة فكرياً وعلمياً من أهمِّ الواجبات التي تقع على عاتق المؤسَّسات الدينية ، ولعلَّ تسويق المعلومة إلى الجمهور يُعدُّ من أهمِّ المشكلات التي تواجه المبلِّغ .

لذا يجب علينا استثمار المواسم التي يسهل فيها تسويق المعلومات إلى الجمهور ، والمتابع لسيرة النبيِّ وآل البيت (عليهم السلام) يرى أنَّهم يداؤبون على استثمار المواسم العبادية لإيصال صوتهم للجماهير كما في مواسم الحجِّ والعمرة وصلاة العيد والجمعة والجماعة والمجالس والمآتم الحسينية .

لذا كانت لهم خطب وكلمات ومواقف في تلك المواسم سجَّلها التاريخ ونقلتها الأحاديث .

ولعلَّ شعائر الحسين (عليه السلام) عموماً وزيارة الأربعين خصوصاً من أهمِّ ما يُسوَّق المعلومات الدينية للجمهور في هذه الأيام .

إنَّ خلق مجتمع متعلِّم على سبيل النجاة يُعدُّ من أهمِّ ركائز البناء الديني للفرد والمجتمع ، بل هو

بين أبناء بلد ما فحسب ، بل بين الشعوب والبلدان الأخرى ممَّا يُعزِّز خلق نسيج اجتماعي كبير يربط دولاً وشعوباً فيما بينها بالرغم من اختلافها باللغة أو اللون أو الثقافة أو غيرها ، لخلق مجتمع مهدوي منسجم فيما بينه ممَّا يسهم في الظهور .

إنَّ زيارة الأربعين تلغي الطبقية ، وتلغي القطرية ، وتلغي العرقية ، وتلغي القومية ، وتلغي العنصرية ، وتخلق مجتمعاً مترابطاً يرتبط بمنقذ عالمي اسمه المهدي (عليه السلام) .

فزيارة الأربعين تُعمِّق الوجود التعارفي الذي خُلِقَ له الإنسان كما عبَّرت الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ( الحجرات : ١٣ ) .

إنَّ زيارة الأربعين فرصة كبيرة للانفتاح الحضاري بين أُمَّة الإيمان ، ومجال لحوار الحضارات على أُسس دينية تدعونا إلى الانتظار للإمام والإعداد له كلُّ من دولته ولغته وعرقه وقوميته ، فيكون ذلك تمهيداً ودعوة إلى عالمية دولة الإمام الحجة (عليه السلام) .

قوام للدين والدنيا ، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام :  
« قوام الدين والدنيا بأربعة : عالم مستعمل علمه ،  
وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ... » (١٩) .

ومن جملة البناء الديني المهم في عقيدة  
المؤمن هو بنائه مهدياً ، وذلك من خلال استثمار ذلك  
الموسم لتبليغ القضية المهدوية للناس وتعريفهم  
بتفاصيلها وتحسينهم فكرياً ضد الدجالين والمدعين  
والمشوهين .

فيكون موسم الزيارة موسم تبليغ وترويج لقضية  
الإمام المهدي عليه السلام ، ويقع هذا التبليغ على عاتق  
الجميع - خصوصاً أهل التخصص بالقضية المهدوية -  
من خلال المحاضرات والإرشادات والنشرات والكتب  
وغيرها .

فالزيارة فرصة كبيرة لتسويق القضية المهدوية  
للعالم ككل ، وتوعية الجماهير بها ، والتركيز على  
عنصر الانتظار ، والاستعداد للظهور ، وبناء الدولة  
العالمية الإلهية المنقذة لكل الشعوب المظلومة .

ومن نماذج ذلك :

**أولاً :** العمل على إزالة الشبهات التي تثار حول

قضية الإمام المهدي عليه السلام كولاته ، وطول عمره ،  
وفائده في زمن الغيبة ، وإرهاصات ظهوره ، وغيرها .

**ثانياً :** ردُّ الشبهات المعاصرة كشبهة ابن گويطع  
وغيره بطرق علمية مبسطة .

**ثالثاً :** تشخيص القضايا المهدوية المهمة  
وبيانها للمجتمع بطرق سهلة ومناسبة .

ويتم ذلك من خلال :

١- عقد الندوات والبرامج المهدوية في وسائل  
الإعلام وخصوصاً المرئية .

٢- إجراء المسابقات العامة للاستكتاب في قضايا  
معاصرة تخص القضية المهدوية .

٣- إجراء المسابقات العامة بين المؤمنين من  
خلال طرح أسئلة والإجابة عنها .

٤- الكتابة بالصحف والمجلات العامة وخصوصاً  
المجلات العالمية وبلغات مختلفة لإيصال القضية  
المهدوية للعالم .

٥- إرسال المبلغين المتخصصين إلى المجتمع  
لتبليغ القضية المهدوية واستثمار المواسم العامة



لذلك .

النظرية إلى التطبيق ، فلا يُكتفى بمعرفة البناء الأمني والمباني الأمنية من دون أن تُحوّل تلك المعرفة إلى تطبيق عملي على أرض الواقع .

وآل البيت عليهم السلام جعلوا نظاماً أمنياً كبيراً . يستحقّ دراسات مستقلة - في كيفية التعامل مع الصديق والعدوّ ، ولعلّ أهمّ مفاصله روايات التقيّة <sup>(٢١)</sup> وروايات كشف الأسرار والإذاعة <sup>(٢٢)</sup> ، فهي تُؤسّس لنظام أمني مركّز في التعامل العامّ وكيفية تحصين الأمة المؤمنة .

وزيارة الأربعين هي بناء وتدريب أمني معمّق لعموم المكلفين وبالأخصّ لأصحاب المسؤولية في المواكب والزيارة .

فهم يعملون على عدم السماح بالاختراق لأيّ شخص غريب أو غير معرّف سواء داخل الموكب أو أثناء المسير أو ممّن يُوزّع الطعام أو غيرها من الخدمات ، وحتى من يُشتبه به يبقى تحت المراقبة والاختبار حتّى يرفع اللبس عنه ويتبيّن أمره .

وهذا ملاحظ بشكل كثير خصوصاً من له تجربة عملية مع أصحاب المواكب والخدمات والزائرين ، فهم يلاحظون حركات وتصرفات وسكنات الزائر وتوجّهاته

٦- حتّ الخطباء عموماً وخطباء المنبر الحسيني خصوصاً على طرح القضية المهدوية وكتابة محاضرات تخصّصية لهم في ذلك .

٧- إنشاء مراكز تخصّصية علمية وبحثية في الإمام المهدي عليه السلام وأبعاد حركته .

٨- إنشاء مؤسسات تهتمّ بإقامة فعاليات ميدانية وكشّافة ومخيّمات ودورات للجامعيين وطالّاب المدارس تُعرّفهم بالإمام المهدي عليه السلام وحركته .

وغيرها من الوسائل <sup>(٢٠)</sup> .

## المحور السادس : البناء الأمني :

تُشكّل الحصانة الأمنية للشعوب والدول ركيزة أساسية في البناء السليم لها ودفع المخاطر عنها ، لذلك تقاس قوّة الدول وقدرتها على مقاومة المخاطر بقوّة نظامها الأمني العامّ .

إنّ التحصين الأمني يُعدّ اليوم من أهمّ مقوّمات النجاح لأيّ حركة تريد الإصلاح والتغيير ، وهذا التحصين الأمني لا ينفع كثيراً إذا لم يخرج من



أمريكا لو أصبح خلل في الطاقة الكهربائية في واشنطن أو نيويورك لكانت مئات حالات الاغتصاب والتعدي والسرقة والخ ) ، ثم قال لي : ( أي شخص ربى هكذا مجتمع ؟ ) ، فقلت : ( إن الذي رباه شخص اسمه الحسين عليه السلام ) .

فهذا البناء العملي الأمني يعطينا دروساً عملية تنفعنا كثيراً في التمهيد للحركة المهدوية المباركة ، والحفاظ عليها ، ومراقبة من يسير فيها .

### المحور السابع : البناء الأخلاقي :

من أهم المبادئ التي ركّز عليها التشريع هو خلق ملكات أخلاقية وصفات نفسانية في الفرد والمجتمع ، وقد دأب المشرّع على التنظير لذلك بعشرات الآيات ومئات الروايات من جهة ، وأرسل أئمة وأنبياء بمكارم الأخلاق العظيمة عملياً من جهة أخرى .

وزيارة الأربعين تُعتبر من الدروس الأخلاقية العملية التي تكون ملكات أخلاقية من جهة ، وتكشف عملياً عن مستوانا الأخلاقي ودرجته من جهة أخرى .

ففي زيارة الحسين عليه السلام مشياً عدّة معطيات

وحتى كلامه ومواقفه ، ويسهرون إلى الصباح للحفاظ على أمن الزائر وممتلكاته وحرمته . خصوصاً أمن الزائرات المؤمنات ، لذا ترى أنّ المرأة تعيش أيام الزيارة حالة من الأمن من كلّ النواحي ، فلا تخاف على عرضها ولا على مالها ولا على حياتها ما دامت سائرة في هذا الطريق المبارك ، وحتى الزائرات الأجنبية عن العراق يسرن لوحدهنّ ، بل أحياناً امرأة منفردة لوحدها تسير بلا خوف .

وهذا كلّهُ بسبب النظام الأمني العالي الذي يكتنف الزيارة ، وهو يفوق أيّ نظام أمني في العالم وفي أعظم الدول الأمنية ، فلا تجد مشاكل ولا تعدياً ولا غير ذلك ، وهذا لا يحصل في أعظم المجتمعات بسبب الاحتكاك والاختلاط .

وفي هذا الصدد نقل لي أحد أساتذتي عن أحد السياسيين العراقيين أنّ أحد القادة الأمنيين الأمريكيين رأى زيارة الأربعين – إبان الاحتلال الأمريكي للعراق – ، وأنّ هذا الأمريكي كان يقول : ( إنّي أتعجب من الشعور بالأمن طوال زيارة الأربعين ، وعدم وجود المشاكل بين الزائرين ، وعدم التعدي على حرمة الزائرات طوال وقت الزيارة ، والحال أنّنا في

أخلاقية نذكرها إجمالاً :

١. **الصبر** : فإن الصبر قيمة أخلاقية عالية أكدت عليها الآيات والروايات ، وإليك جملة منها :

أما الآيات كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ ( البقرة : ١٥٥ - ١٥٧ ) .

أما الروايات فمنها ما عن أَبِي بَصِيرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ : « ... الصَّبْرُ يُعْقِبُ خَيْرًا ، فَاصْبِرُوا وَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الصَّبْرِ تَوْجَرُوا » (٢٣) .

وعن حَمَزَةَ بْنِ حُمْرَانَ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام ، قَالَ : « الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالصَّبْرُ ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ . وَجَهَنَّمَ مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ ، فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهُ لَذَّتَهَا وَشَهَوَاتَهَا دَخَلَ النَّارَ » (٢٤) .

وعن أَبِي سَيَّارٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ، قَالَ : « إِذَا

دَخَلَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ كَانَتْ الصَّلَاةُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَالزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ ، وَالْبُرُّ مُطْلَقًا عَلَيْهِ ، وَيَتَنَحَّى الصَّبْرُ نَاحِيَةً ، فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ يَلَيَّانِ مُسَاءَلَتَهُ قَالَ الصَّبْرُ لِلصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْبُرِّ : دُونَكُمْ صَاحِبَكُمْ ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَأَنَا دُونَهُ » (٢٥) .

فتبين أن الصبر له قيمة معنوية عالية ، وله أجر عظيم ، وأثر بالغ في الدنيا والبرزخ والآخرة .

والمشي في الأربعين وتحمل عناء السفر ووعثائه وما يحدث من صعاب لهُو من المصاديق الواضحة للصبر ، وخصوصاً المشي من أماكن بعيدة مع كثرة الزحام والابتلاءات .

فزيارة الأربعين تعطينا دروساً عملية في الصبر على ما نكره من تحمل الأذى أو الجوع أو الألم أو غيرها ، والصبر على ما نُحِبُّ من طاعات .

٢. **التواضع** : إن سمة التواضع من أهم سمات وفضائل المؤمن ، وهي تقع في قبال رذيلة التكبر ، وقد وقع التواضع موضوعاً للمدح في العديد من الآيات والروايات .

فمن الآيات قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ

يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿ (الفرقان: ٦٣) ، وقوله تعالى: ﴿وَخُفِضَ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨) .

ومن الروايات نذكر رواية واحدة ، فى مستدرک الوسائل عن مصباح الشريعة ، قال الصادق عليه السلام : « التَّوَّاضُّعُ أَصْلُ كُلِّ شَرَفٍ وَخَيْرٍ وَنَفِيسٍ ، وَمَرْتَبَةٍ رَفِيعَةٍ ، وَلَوْ كَانَ لِلتَّوَّاضُّعِ لُغَةٌ يَفْهَمُهَا الْخَلْقُ لَنَطَقَ عَنْ حَقَائِقِ مَا فِي مَخْفِيَّاتِ الْعَوَاقِبِ ، وَالتَّوَّاضُّعُ مَا يَكُونُ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ ، وَمَا سِوَاهُ مَكْرٌ ، وَمَنْ تَوَّاضَعَ لِلَّهِ شَرَّفَهُ اللَّهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ ، وَلَأَهْلُ التَّوَّاضُّعِ سِيَمَاءٌ يَعْرِفُهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ مِنَ الْعَارِفِينَ ، قَالَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) : ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦] ، وَقَالَ أَيْضًا : ﴿مَنْ يَزِدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ [الآية المائدة: ٥٤] . وَأَصْلُ التَّوَّاضُّعِ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ وَهَيْبَتِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَلَيْسَ لِلَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) عِبَادَةٌ يَقْبَلُهَا وَيَرْضَاهَا إِلَّا وَبَائِهَا التَّوَّاضُّعُ ، وَلَا يَعْرِفُ مَا فِي مَعْنَى حَقِيقَةِ التَّوَّاضُّعِ إِلَّا الْمُقَرَّبُونَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّصِلُونَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، قَالَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ

(عَزَّ وَجَلَّ) أَعَزَّ خَلْقِهِ وَسَيِّدَ بَرِيَّتِهِ مُحَمَّدًا بِالتَّوَّاضُّعِ فَقَالَ (عَزَّ وَجَلَّ) : ﴿وَخُفِضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] ، وَالتَّوَّاضُّعُ مَرْعَةُ الْخُشُوعِ وَالْخُشُوعِ وَالْخَشْيَةِ وَالْحَيَاءِ ، وَإِنَّهُمْ لَا يَنْبُتْنَ إِلَّا مِنْهَا وَفِيهَا ، وَلَا يَسْلَمُ الشَّوْقُ التَّامُ الْحَقِيقِيُّ إِلَّا لِلتَّوَّاضُّعِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿٢٦﴾ .

وفي المشي إلى كربلاء يمرُّ الماشي بتمارين واضحة في التواضع والبساطة ، فقد يبيت على فراش غير لائق ، أو يمشي في الطرق الوعرة ، أو يخدم غيره من الزوّار ، أو يبتدأ بالسلام على من يلاقيه ، وهذه كلها من علامات التواضع كما في الرواية ، ففي مشكاة الأنوار ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مِنْ رَأْسِ التَّوَّاضُّعِ أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ عَلَى مَنْ لَقِيتَ ، وَتَرُدَّ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ ، وَأَنْ تَرْضَى بِالذُّونِ مِنَ الْمَجْلِسِ ، وَلَا تُحِبَّ الْمِدْحَةَ وَالتَّزْكِيَةَ » ﴿٢٧﴾ .

كما أَنَّ ما يُقَدِّمُهُ أصحاب الموكب هو من أعظم صور التواضع ، فيقومون بفرش الفراش للزوّار ، وإطعامهم ، والسهر على خدمتهم ، وتوفير كلِّ الأمور لهم تواضعاً لله وخدمةً لعنوان قد تعنونوا به وهو عنوان : ( زائر الحسين ) .

٣. الإيثار : من الكمالات التي تكشف عن رقيّ نفس الإنسان انّصافه بالإيثار ، وهو ( تقديم الطرف الآخر لمصلحته وتفضيله على النفس مراعاةً له وتقديمه بمادّة - مال مثلاً - أو منفعة أو حقّ من الحقوق ) (٢٨) .

وقد جاءت الآيات والروايات مادحة لهذه الصفة .  
فمن الآيات قوله تعالى : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ( الحشر : ٩ ) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ( البقرة : ٢٠٧ ) .

ومن الروايات ما عن عليّ بن سويد السائيّ ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، قال : قُلْتُ لَهُ : أَوْصِنِي ، فَقَالَ : « أَمُرُّكَ بِتَقْوَى اللَّهِ » ، ثُمَّ سَكَتَ ، فَشَكَّوْتُ إِلَيْهِ قَلَّةَ ذَاتِ يَدَي ، وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَقَدْ عَرِيتُ حَتَّى بَلَغَ مِنْ عَزِيّ أَنْ أَبَا فَلَانٍ نَزَعَ ثَوْبَيْنِ كَانَا عَلَيْهِ فَكَسَانِيَهُمَا ، فَقَالَ : « صُمْ وَتَصَدَّقْ » ، فَقُلْتُ : أَتَصَدَّقُ مِمَّا وَصَلَنِي بِهِ إِخْوَانِي وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا ؟ قَالَ : « تَصَدَّقْ بِمَا رَزَقَكَ اللَّهُ وَلَوْ أَثَرَتْ عَلَى نَفْسِكَ » (٢٩) .

عن أبان بن تغلب ، قَالَ : كُنْتُ أَطُوفُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَعَرَضَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا كَانَ سَ أَلْيِي الذَّهَابَ مَعَهُ فِي حَاجَةٍ ، فَأَشَارَ إِلَيَّ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَأَذْهَبَ إِلَيْهِ ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَطُوفُ إِذْ أَشَارَ إِلَيَّ أَيْضًا ، فَرَأَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « يَا أَبَانُ ، إِيَّاكَ يُرِيدُ هَذَا ؟ » ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : « فَمَنْ هُوَ ؟ » ، قُلْتُ : رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ، قَالَ : « هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ؟ » ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : « فَادْهَبْ إِلَيْهِ » ، قُلْتُ : فَأَقْطَعُ الطَّوْفَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » ، قُلْتُ : وَإِنْ كَانَ طَوَافَ الْفَرِيضَةِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » ، قَالَ : فَذَهَبْتُ مَعَهُ ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْدُ ، فَسَأَلْتُهُ ، فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ حَقِّ الْمَوْمِنِ عَلَى الْمَوْمِنِ ، فَقَالَ : « يَا أَبَانُ ، دَعَاهُ لَا تَرُدُّهُ » ، قُلْتُ : بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ ، فَلَمْ أَرْلُ أُرْدُدْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « يَا أَبَانُ تَقَاسِمُهُ شَطْرَ مَا لَكَ » ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَرَأَى مَا دَخَلَنِي ، فَقَالَ : « يَا أَبَانُ ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ( عَزَّ وَجَلَّ ) قَدْ ذَكَرَ الْمُؤْتِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ؟ » ، قُلْتُ : بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ ، فَقَالَ : « أَمَّا إِذَا أَنْتَ قَاسَمْتَهُ فَلَمْ تُؤْتِرْهُ بَعْدُ إِنَّمَا أَنْتَ وَهُوَ سَوَاءٌ إِنَّمَا تَتَوْتِرُهُ إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَهُ مِنَ النَّصْفِ الْآخِرِ » (٣٠) .

وفي الأربعين نجد مصاديق الإيثار واضحة ،

فإنَّ تقديم الآخرين على النفس من أعظم ما يقوم به السائر إلى الحسين والخادم في موكب الحسين ، فيقدِّم مصلحة الزائر على مصلحة نفسه ، وراحة الزائر على راحة نفسه ، ويُنفق من ماله لكي لا ينفق الزائر من ماله ، وهكذا ، فيتعلَّم من الزيارة درساً عظيماً وهو الإيثار .

٤ - **التضحية**: فإنَّ الماشي إلى زيارة الحسين يُقدِّم الجهد الجهيد والتضحية بماله أو بوقته أو بنفسه تضحية منه لأجل هذه الشعيرة وهذا الدين ، وفي ذلك تمرين على التضحية لأجل المبادئ والقيم السامية ، وقد أشار الإمام الصادق إلى ذلك في دعائه لهم: «... اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَرُؤَاةِ قَبْرِ أَبِي الْحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بَرْنَا وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صَلَاتِنَا وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا... ، وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمْلَأُوا مِنْكَ فِي غُرَبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ وَمَا أَثَرُونَا بِهِ عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ... » (٣١) .

٥ - **العفة**: من الصفات التي رُكزت عليها

الشريعة صفة العفة في البطن والفرج ، بل وصفت العفة بأنَّها من أفضل العبادات ، وجاءت النصوص مبيِّنة لذلك :

فمن القرآن قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ ( المؤمنون : ٥ ) ، وقوله تعالى : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾ ( الأحزاب : ٣٥ ) .

ومن الروايات ما عَنْ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : « إِيَّاكَ وَالسَّفَلَةَ فَإِنَّمَا شِيعَةٌ عَلَيَّ مِنْ عَفٍّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ ، وَاشْتَدَّ جِهَادُهُ ، وَعَمِلَ لِخَالِقِهِ وَرَجَا ثَوَابَهُ وَخَافَ عِقَابَهُ ، فَإِذَا رَأَيْتَ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ شِيعَةٌ جَعَفَرٍ » (٣٢) .

فإنَّ الزيارة فيها نحو من أنحاء الاختلاط ، وهو وجود الزائرات والزائرين في مكان واحد ، وهنا تبرز العفة في التعامل مع الجنس الآخر من خلال غَضِّ البصر وحفظ اللسان وحفظ اليد والفرج عن التعدي ، ومنع النظرات المحرَّمة والتزام الحجاب الشرعي والتعامل مع الآخر بأنَّه من المحارم كما ورد في الروايات : صحيح صَفْوَانَ الْجَمَّالِ ، قَالَ : قُلْتُ



لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: قَدْ عَرَفْتَنِي بِعَمَلِي تَأْتِينِي الْمَرْأَةُ  
أَعْرِفُهَا بِإِسْلَامِهَا وَحُبِّهَا إِيَّاكُمْ وَوَلَاتِيهَا لَكُمْ لَيْسَ لَهَا  
مَحْرَمٌ قَال: « إِذَا جَاءَتِ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةَ فَأَحْمِلْهَا فَإِنَّ  
الْمُؤْمِنَ مَحْرَمٌ الْمُؤْمِنَةِ »، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:  
« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ »  
[التوبة: ٧١] « (٣٣) .

لذا ذهب الفقهاء إلى عدم اشتراط المحرم في  
الحج والزيارة ما دامت المرأة مأمونة على نفسها كما  
بيّنت ذلك في بحثٍ مستقلّ بعنوان ( مشي النساء  
إلى كربلاء ) (٣٤) .

٦ - الشجاعة: فإن الزيارة تُعلم الإنسان  
الشجاعة في اتّخاذ الموقف، والصبر على الخوف،  
وقوّة الإقدام خصوصاً مع المنع للزيارة كما كان  
يحصل أيام الطاغية .

ففيها توطين للنفس على المواجهة والتعدّي  
للموت والقتل والسجن والتعذيب، وما هذا إلا صور  
رائعة من صور الشجاعة والإقدام في سبيل المبادئ  
والقيم الدينية .

لذا وردت الروايات في الحث على الزيارة حتّى

في مثل هكذا محن وشدائد .

منها:

أ. أجر من حُبَسَ في طريق الحسين ﷺ:

في الوسائل عن هشام بن سالم، قال: قُلْتُ لِلْإِمَامِ  
الصادق ﷺ: فَمَا لِمَنْ حُبَسَ فِي إِيْتَانِهِ؟ قَالَ: « لَهُ بِكُلِّ  
يَوْمٍ يُحْبَسُ وَيَعْتَمُ فَرْحَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٣٥) .

ب. أجر من ضُرِبَ بطريق الحسين ﷺ: في

مستدرک الوسائل في حديث طويل لهشام عن الصادق،  
قُلْتُ: فَإِنْ ضُرِبَ بَعْدَ الْحَبْسِ فِي إِيْتَانِهِ؟ قَالَ: « لَهُ بِكُلِّ  
ضَرْبَةٍ حَوْرَاءٌ، وَبِكُلِّ وَجَعٍ يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَلْفُ أَلْفِ حَسَنَةٍ،  
وَيُمَحَى بِهَا عَنْهُ أَلْفُ أَلْفِ سَيِّئَةٍ » (٣٦) .

ج. أجر من مات في طريق الحسين ﷺ:

في بحار الأنوار: «... فَإِنْ هَلَكَ فِي سَفَرِهِ نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ  
فَغَسَلَتْهُ، وَفُتِحَ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ رَوْحُهَا حَتَّى  
يُنْشَرَ، وَإِنْ سَلِمَ فُتِحَ الْبَابُ الَّذِي يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ فَجُعِلَ لَهُ  
بِكُلِّ دِرْهَمٍ أُنْفَقَهُ عَشْرَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، وَدُخِرَ ذَلِكَ لَهُ، فَإِذَا  
حُشِرَ قِيلَ لَهُ: لَكَ بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشْرَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ، وَإِنَّ اللَّهَ  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظَرَ لَكَ وَدَخَرَهَا لَكَ عِنْدَهُ » (٣٧) .



## د - أجر من قتل في طريق

**الحسين** عليه السلام: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ لَهُ طَوِيلٍ قَالَ: أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، هَلْ يُرَازُ وَالِدُكَ؟ قَالَ: فَقَالَ: «نَعَمْ...»، إِلَى أَنْ قَالَ: قُلْتُ: فَمَا لِمَنْ قُتِلَ عِنْدَهُ جَارٌ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ فَقَتَلَهُ؟ قَالَ: «أَوَّلُ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ يُغْفَرُ لَهُ بِهَا كُلُّ خَطِيئَةٍ، وَتُغْسَلُ طَبِئَتُهُ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَخْلُصَ كَمَا خَلَصَتْ لِلْأَنْبِيَاءِ الْمُخْلِصِينَ، وَيَذْهَبُ عَنْهَا مَا كَانَ خَالِطَهَا مِنْ أَجْنَاسٍ طِينِ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَيُغْسَلُ قَلْبُهُ، وَيُشْرَحَ صَدْرُهُ، وَيَمْلَأُ إِيْمَانًا، فَيَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ مُخْلَصٌ مِنْ كُلِّ مَا تَخَالِطُهُ الْأَبْدَانُ وَالْقُلُوبُ» (٣٨).

فإن هذه مراكز تدريب ميدانية على الشجاعة والإقدام وعدم التهيّب من الأعداء والطغاة، فتكون من أهم وسائل الإعداد الجهادي لأنصار الإمام الحجة عليه السلام.

٧ - الموالاة والبراءة: من المفاهيم العقائدية التي ركّزها آل البيت عليهم السلام في نفوس أتباعهم مفهوم الولاء لأولياء الله تعالى والبراءة من أعداء الله تعالى،

وهو أن تجعل حبك ومودتك واطاعتك لأولياء الله تعالى وبغضك وعصيانك لأعداء الله تعالى، وهذان المفهومان لهما تأثير على المستوى العقدي فلا إيمان حقيقي إلا بهما، وعلى المستوى العملي فلا قبول، بل لا صحة للعمل - على خلاف - إلا بهما، وهذا ما أشارت له الكثير من الآيات والروايات.

فمن الآيات وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً...﴾ (آل عمران: ٢٨).

ومن الروايات: عَنْ سَعِيدِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «مَنْ أَوْثَقَ عُورَى الْإِيْمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ، وَتُعْطِيَ فِي اللَّهِ، وَتَمْنَعَ فِي اللَّهِ» <sup>(٣٩)</sup>.

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ

الله ﷻ، قَالَ: «كُلُّ مَنْ لَمْ يُحِبَّ عَلَى الدِّينِ وَلَمْ يُبْغِضْ عَلَى الدِّينِ فَلَا دِينَ لَهُ» (٤٠).

وعن أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَحِبُّ فِي اللَّهِ، وَأُبْغِضْ فِي اللَّهِ، وَوَالِ فِي اللَّهِ، وَعَادِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا تَنَالُ وَلَايَةَ اللَّهِ إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعَمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ مُوَاخَاةَ النَّاسِ يَوْمَكُمْ هَذَا أَكْثَرَهَا فِي الدُّنْيَا، عَلَيْهَا يَتَوَادُّونَ، وَعَلَيْهَا يَتَبَاغَضُونَ، وَذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، فَقَالَ لَهُ: وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ أَنَّي قَدْ وَالَيْتُ وَعَادَيْتُ فِي اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)؟ وَمَنْ وَلِيَّ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) حَتَّى أُوَالِيَهُ؟ وَمَنْ عَدُوُّهُ حَتَّى أُعَادِيَهُ؟ فَأَشَارَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا؟ فَقَالَ: بَلَى، قَالَ: وَلِيَّ هَذَا وَلِيَّ اللَّهِ قَوْلِهِ، وَعَدُوُّ هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ فَعَادِهِ، وَالِ وَلِيَّ هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ قَاتِلُ أَبِيكَ وَوَلَدِكَ، وَعَادِ عَدُوَّ هَذَا وَلَوْ أَنَّهُ أَبُوكَ وَوَلَدُكَ» (٤١).

وزيارة الأربعين مصداق واضح لتقوية الولاء لآل البيت ﷺ والبراءة من أعدائهم، وخصوصاً إذا

اكتنفها الشعارات الدالة على ذلك ممَّا يُعزِّزُ العنصرين المهمَّين في عقيدة الإنسان الحقَّة وعمله المقبول، وهذا التولِّي والتبرِّي يفعلُه زوَّار الحسين ﷺ من خلال إحياء الشعائر التي يمارسونها في شعيرة الأربعين استجابةً لأمر آل البيت ﷺ وغطَّةً لأعدائهم، والروايات تشير لذلك، منها: عن معاوية بن وهب، عن الصادق ﷺ: «... اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزَوَّارِ قَبْرِ أَبِي الْحُسَيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بَرْنَا وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صَلَاتِنَا وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُونَا...» (٤٢).

وفي هذه الصور الولائية البرائية عدَّة أمور:

أ - إيصال رسالة إلى العالم أجمع بأننا سائرون على هذا النهج الذي رسمه آل البيت ﷺ وخصوصاً الإمام الحسين ﷺ في رفض الظلم والدفاع عن عقيدة الأمة وإصلاحها ولو كلف ذلك الحياة.

ب - إيصال رسالة بأننا رافضون للنهج التكفيري والأُموي المستبيح للنفوس والأعراض والأموال لأغراض سلطوية ودينيوية، وأنَّ هذا النهج

لا بدّ أن يحارب كي لا يتكرّر في التاريخ .

ج - إيصال رسالة للعالم بأنّ مذهب آل البيت عليهم السلام هو مذهب الاعتدال والإنسانية والإصلاح ، وأنّ معيار موالاة أهل طاعة الله تعالى وبغض أهل معصية الله تعالى وسيلة لإصلاح العباد والبلاد وردع للظالمين وتقوية للمؤمنين ، وأنّ الناس لا تقاس على أساس العرق أو اللون أو القرابة وإنّما على أساس الإيمان والتقوى والولاء لله تعالى وأوليائه والبراءة من الشيطان وأتباعه من الجنّ والإنس ، وغيرها .

٨ - التدرّب على التعايش السلمي مع الآخر : من أهمّ الإشكاليات التي تواجه الأمم والديانات هو التدرّب على التعايش السلمي مع الآخرين ، وكيفية التعامل معهم وعدم إلغائهم فكرياً أو معنوياً أو حتّى مادياً ، وهذا ما تسعى لتحقيقه المنظّمات الدولية وخصوصاً الأمم المتّحدة ، وتجعل برامجاً لذلك ، وتعمل على نفي الصراعات ونشوء حركات وتوجّهات تدعو للقتل والنقاتل كالحركات النازية أو الشعوبية أو الوهابية أو ما تمخّض عن ذلك

كداعش والقاعدة والنصرة وأخواتهنّ .

وهذا ما جاء به الدين الحنيف من رسم علاقتك مع الآخر وإن اختلف معك في المذهب أو العرق أو الدين على أسس لا قتل فيها إلّا إذا بادرك للحرب والحراية أو تعدّى على مقدّساتك ومعتقداتك ، بل الإسلام رسم لنا نمطاً في التعاطي مع الأعداء فضلاً عن غيرهم <sup>(٤٣)</sup> .

فأمير المؤمنين عليه السلام حدّد مجمل علاقتك بالناس من خلال العهد المبارك - عهد مالك الأشتر - ، والذي هو برنامج أساسي للعلاقات الداخلية والخارجية ، والذي منه : « وَأَشِعْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إمّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، وَإمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ ، وَبُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ ... » <sup>(٤٤)</sup> .

والزيارة بهذه السعة المليونية تُعتبر موسماً للانفتاح على حضارات ولغات وثقافات من كل العالم ، وذلك يجعلنا نكتسب خبرة عالية من التعامل مع الآخر حتّى مع اختلافنا معه في اللون أو القومية أو الثقافة أو البلد أو المذهب أو حتّى الدين .

#### ٩ - إلغاء الطبقة والتعالي والتكبر : فإنّ

من أخطر الأمراض التي تنسف بالمجتمعات هو بروز الطبقة بين أفرادها ممّا ينتج التعالي والتكبر واستبعاد الآخرين بسبب السلطة أو المال أو الجاه ، فيحتاج الإنسان ما يكسر جموح النفس ويضعف هذه الصفات ، ولعلّ أهمّ ما يعمل على ذلك هو التعاطي العملي والسيرة العملية مع أفراد المجتمع ، وموسم الأربعين إنّما هو درس عملي لإلغاء التكبر والتعالي ، خصوصاً ما يمارسه أصحاب المواقب من إلغاء الذات والتواضع وتقديم الخدمات بتفاني لكل الناس ، فترى الكبير يخدم الصغير والغني يخدم الفقير ، بل وربّ العمل يخدم عمّاله كما أشرنا في ما مرّ من نقطتي التواضع والإيثار .

١٠ - الشعور بالمسؤولية : إنّ تحمّل

المسؤوليات من أهمّ المقوّمات لصناعة الإنسان ، وكلّما كانت المسؤوليات أكبر كانت الصناعة أقوى ، لأنّها سوف تدخل في كبرى أنّ الابتلاء مدرسة لصناعة العظماء .

فتبرز أماننا مسؤولية عظيمة نُسأل عنها يوم القيامة ، وهي نعيم آل البيت (عليه السلام) الذي يجب علينا أداء حقّه ، وإبراز الصورة الحقيقية لما هم عليه من أخلاق وقيم ومعارف .

ففي رواية المحاسن : ... ذَكَرْتُ الْآيَةَ الَّتِي فِي كِتَابِ اللَّهِ : ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر : ٨] ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام) : « لَا إِنَّمَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ » (٤٥) .

وفي المحاسن أيضاً عن أَبِي حَمْرَةَ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) جَمَاعَةً ، فَدَعَا بِطَعَامٍ مَا لَنَا عَهْدٌ بِمِثْلِهِ لَذَازَةً وَطَيِّباً حَتَّى تَمَلِّينَا ، وَأَتَيْنَا بِتَمْرٍ يَنْظُرُ فِيهِ إِلَى وُجُوهِنَا مِنْ صَفَائِهِ وَحُسْنِهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر : ٨] عَنْ هَذَا النَّعِيمِ الَّذِي نَعْمْتُمْ عِنْدَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) : « اللَّهُ أَكْرَمُ وَأَجَلُ مِنْ أَنْ يُطْعَمَكُمْ

طَعَامًا فَيَسْؤُوعَكُمُوهُ ثُمَّ يَسْأَلُكُمُ عَنْهُ ، وَلَكِنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ <sup>(٤٦)</sup> .

فإنَّ هذه الزيارة تدعونا إلى تحمّل المسؤولية الدينية في إيصال رسالة عامّة لكلّ العالم بأننا مجتمع يملك من الصفات والمقوّمات الحضارية والاجتماعية والتربوية والإدارية العالية .

فهي فرصة لبيان الإسلام المحمّدي العلوي الناصع من خلال عكس الصورة الحقيقية للمذهب ، لا كما ينقل بعض عن تخلف الإسلام والمسلمين من خلال عكس صورة لأناس يدعون انتحالهم للإسلام والإسلام براء منهم كبعض الحركات السلفية والوهابية ، وبعض الدول المتخلفة دينياً وقيماً والمتحللة أخلاقياً وتربوياً ، وأنّ تلك الفئات لا تُمثّل الإسلام .

### والخلاصة :

إنَّ هذه الصفات والمميّزات هي تدريب عملي وتمهيد حقيقي لخلق إنسان الظهور وما بعد الظهور ، فالزيارة مدرسة أخلاقية كبيرة لشخصية الظهور

المهدي المبارك . خصوصاً وأنَّ هذا البناء ليس بناءً تنظيرياً فحسب ، بل هو بناء عملي كبير يخلق روحاً سامية مؤهّلة لمرحلة الظهور وما بعده .

### المحور الثامن : المحور العسكري :

إنَّ المؤسّسة العسكرية لا تُقاس بقوة تسليحها فقط ، وإنّما الأهمّ فيها هو وجود الموارد البشرية فيها ، خصوصاً الموارد البشرية الشابة والتي لها استعداد عالي للتضحية والفداء والإباء .

وزيارة الأربعين لهي من أهمّ موارد بناء الشباب المهدي العسكري المقاوم والمضحي ، ولعلّ تجربة مقاومة الاحتلال الأمريكي للعراق وتجربة الحشد الشعبي في العراق من أكبر الشواهد على ذلك ، فإنَّ من أهمّ ما بنى هذه الشخصيات الشابة والمضحية التي تتحدّى الصعاب وتواجه أشرس الأعداء مع قلّة العدّة والعدد هو حضور شخصية الحسين عليه السلام بين ظهرائنا ، والتي تبرز في مواسم منها موسم الزيارة ، فتكون الشخصية الحسينية صانعة لشخصية مهدوية .



### المحور التاسع : المحور الإعلامي :

من العادات الجارية لدى القوى السياسية أو غيرها استعراض جماهيرها من خلال مظاهرات أو تجمّعات أو احتفالات أو مناورات أو غيرها ، وذلك لإيصال رسالة إلى الآخر بأنّ لنا جماهير ونحن أقوياء من باب : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ( الأنفال : ٦٠ ) ، كلٌّ بحسب موقعه وعمله وقدرته .

والمؤمنون بالقضية المهدوية لا بدّ لهم من ذلك أيضاً ، وما يحصل من تجمّع مليوني ليس له نظير وبشكل عفوي وتنظيم ذاتي وبتمويل شخصي لهو أعظم صور الاستعراض الإعلامي للجماهير المؤمن ، فالشعيرة الأربعينية ليست عبادة فردية فحسب ، بل أصبحت ذات طابع يحوي عبادة جماعية كشعائر الحجّ وصلاة الجمعة ، وهذا يُعطي أهميّة كبرى وثراءً معنوياً وانفجاراً إعلامياً يوصل رسالة واضحة للجميع ( بأنّنا حسينيون ، بأنّنا ممّهدون ، بأنّنا مؤمنون ، بأنّنا أقوياء ، بأنّنا منظمون ، بأنّنا متكافلون ، بأنّنا مصلحون ، وهكذا ) .

خصوصاً إذا عكسنا الصورة التي أراد لنا آل

فما سطره الأبطال في ساحات القتال من تضحيات لم يكن وليد اللحظة ، بل هو صناعة حسينية بمستقبل مهدوي ، لذا كانت شعاراتهم في المعركة هي شعارات الحسين والعبّاس والأكبر و... ، وتحركاتهم وتطلّعاتهم تطلّعات مهدوية ثائرة تعدّ لعصر الظهور .

فالتضحية - بالنفس بالمال بالراحة - لأجل الغير ولأجل المبدأ ولأجل الدين ولأجل الإسلام ولأجل المقدّسات ولأجل العزّة إنّما هي دروس تعلّمناها من مدرسة الحسين ومن شعائر الحسين ، ربطت بالموعد ومستقبل العالم الذي يقوده الإمام المهدي عليه السلام .

فهناك جيش عالمي قد تمّ إعداده سابقاً ، وخاض التجارب في عدّة دول ، ونجح نجاحات باهرة قد يكون هو نواة من جيش المهدي المنتظر عليه السلام ، وزيارة الأربعين هي الرافد الأساسي لهذا الجيش القادم الذي يقوده صاحب الأمر عليه السلام نحو تحقيق العدل والقسط والسلام .



## المحور العاشر: المحور التمريني والتدريبي :

إنَّ الإنسان بطبعه يميل إلى الدعة والراحة وعدم الدخول بالصعاب ، فإذا مرَّ بصعوبات قد يؤدِّي به إلى الضعف أو الانهيار أو ترك المبادئ أو التخلّي عن بعضها ، لذا يحتاج إلى دورة تدريبية لرفع ذلك .

وموسم الزيارة مع طول المسافات وكثرة الصعوبات وشدة الابتلاءات - خصوصاً مع البرد القارس أو الحرّ الشديد أو الخوف من الظالم كما في عهد النظام المعبور بل وغيره - لهو مركز تدريبي عام وشامل لتحمل أنواع الصعاب والمحن والثبات على المبدأ الذي رسمه آل البيت (عليه السلام) .

فالزيارة تُمثّل مركزاً لتدريب المؤمن للاستعداد والإعداد لعصر الظهور ، فيدخل ذلك في الإعداد للمهدي (عليه السلام) والنهوض معه في ثورته العالمية وتحمل الصعاب ، فلا يتفاجئ إذا ما بُلي بصعوبة أو شدة ، بل يواجهها بعزم حسيني ومستقبل مهدي .

فهذه الصعوبات والزلازل والمحن التي يمرُّ بها المؤمن ما هي إلا تقوية لصلبه وتمريناً له لمواجهة

البيت (عليه السلام) عكسها للإنسانية ، وأنَّ الدين الإسلامي هو الخاتم ، وأنَّ المهدي (عليه السلام) هو المخلص ، وأنَّه لا نجاة إلا به .

## فيبرز لنا أمور :

١ - تحقيق منجز عددي وأنَّ جماهيرنا مليونية وبتزايد كل عام بحيث لا يسع المكان للجُمهور .

٢ - تحقيق منجز نوعي بأنَّ جماهيرنا مؤمنة وقويّة ومخلصة ومطبعة لله ورسوله وآله .

٣ - تحقيق منجز دولي بأنَّ زيارتنا دولية وليست إقليمية أو قطرية ، إذ يأتيها الناس من كل فج عميق .

٤ - تحقيق منجز حضاري بأننا منظمون ولا يتعدّى بعضنا على بعض طوال أيام الزيارة .

٥ - تحقيق منجز تعارفي بين لغات مختلفة وثقافات متعدّدة وقوميات متنوّعة لتبادل الخبرات والهموم والمشكلات ومعالجة الأوضاع والشعور بالآخر .

العدو .

### والتكافل والإيثار له صور، منها :

- التكافل والإيثار بالطعام ولو على حساب نفسك .

- التكافل والإيثار بالمبيت ولو بقيت سهراً .

- التكافل والإيثار بالفراش والغطاء .

- التكافل والإيثار حال الرجوع من خلال إعطاء مقعدك لغيرك والبقاء واقفاً .

- التكافل والإيثار بتفضيل راحة الآخرين على راحة النفس .

وهكذا غيرها من الصور .

### المحور الثاني عشر: البناء السياسي :

إنَّ زيارة الحسين (عليه السلام) موسم مهمّ لاستذكّار مبادئ ثورته ، ومنها المبدأ السياسي ، وهو البراءة من الظالمين والثورة عليهم ، وخلق إرادة سياسية صادقة لدى المؤمن للتغيير والخروج على الظالمين ، والاستعداد لذلك تحت قيادة الإمام الحجّة (عليه السلام) كي يعزّز الأولياء ويذلّ الأعداء ويملئها قسطاً وعدلاً كما

فالزيارة الأربعينية ورشة عمل معمّقة لصناعة الشخصية المهدوية للظهور وما بعده .

### المحور الحادي عشر: المحور التكافلي :

من العناصر المهمّة في الشخصية الممّهدة للظهور وجود روح التكافل والإيثار في تلك الشخصية ، ومن أهمّ سُبل تحقيق هذا البناء هو التدرّب على التكافل ومساعدة الآخرين وإيثار راحة الآخرين على راحة النفس حتّى مع التعب والخاصّة ، والمشي في زيارة الأربعين هو موسم تكافلي عظيم حيث إنّ الخدمات تُقدّم مجاناً بلامّة ولا ضجر ، بل بفرحة وبهجة ، ولعلّ التكافل الذي يُقدّمه أصحاب المواكب من أعظم صور التكافل والخدمة ، وهذا واضح بالوجدان لكلّ من مشى للزيارة ، وكذلك روح الإيثار والمساعدة بين الزائرين وعطف الكبير على الصغير وتوقير الصغير للكبير ومساعدة الرجل للمرأة والعكس ، وهكذا .

ورد في الزيارة: «لَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً خَذَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً خَدَعَتْكَ» (٤٨).

خصوصاً إذا كانت الزيارة مقترنة ببعض النصوص التي تشير إلى نصره آل البيت وخاتمهم الإمام الحجة عليه السلام كما في الزيارة: «اللَّهُمَّ أَنْتَ مَنْنْتَ عَلَيَّ بِزِيَارَةِ مَوْلَايَ وَوَلَاتِيهِ وَمَعْرِفَتِهِ، فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَنْصُرُهُ وَتَنْصُرُ بِهِ [يُتَنْصَرُ بِهِ وَيَنْصُرُهُ]، وَمَنْ عَلَيَّ بِنَصْرِكَ لِيَدِينَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (٤٩).

وبالأخص الاستعداد للنصرة الوارد في زيارة عاشوراء: «فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ أَنْ يُكْرِمَنِي بِكَ وَيَرْزُقَنِي طَلَابَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مُنْصُورٍ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ» (٥٠).

فزيارة الأربعين كفيلة بهكذا بناء سياسي للمجتمع المهدوي الذي يأبى الظلم والظيم ويثور على الظالمين والمعتدين ولا يداهن المنحرفين والمستبدّين وإن علوا وتغطرسوا.

هذا ما أردنا ذكره من محاور، وهناك محاور أخرى قد تظهر للمتتبع لم نذكرها دفعا للإطالة.

مُلِيتَ ظلماً وجوراً، كما أنّها رفض للاتّجاه السياسي المستبدّ وإن تلبّس بلبوس الدين وأدعى النيابة عن المسلمين، وكذلك رفض للسياسة الداعية إلى الخضوع والتذلّل للقوى العالمية المستبدّة تحت ذريعة سياسة الأمر الواقع ومداهنة الأعداء ممّا يضيّع معالم الدين والعباد والبلاد.

فاستذكر شعارات الحسين عليه السلام في الثورة خطابته: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُعَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ» (٤٧) يكون حافزاً كبيراً للاستعداد السياسي والتمهيد السياسي للإمام الحجة عليه السلام من خلال نشر الأفكار الدالة على أنّ الإمام هو المخلص السياسي من ظلم الدول الجائرة.

وبذلك تتخلق إرادة سياسية لدى الأمة المؤمنة تحفّز المؤمن للالتحاق بالشخصية المنقذة والبراءة من الأمة الظالمة والقاتلة والراضية بذلك كما

## النتيجة :

إنَّ زيارة الأربعين فيها عظيم البركات في كلِّ المستويات الماديّة والمعنوية ، ومن أعظم البركات دور وأهميّة هذه الزيارة المليونية في الإعداد العملي للظهور وصناعة شخصيات الظهور ومجتمعه ، فحريٌّ بنا أن نجعل تلك الزيارة مناراً لنا للتمهيد وانطلاقةً للانتظار الحقيقي الخالص للإمام (عليه السلام) ، فنكون ممّن أسهم في

## الهوامش :

تجليل الظهور المهدوي المقدّس ببركة الزيارة الحسينية المقدّسة ، فنحظى بالنصر الإلهي التامّ على أعداء الله تعالى ورسوله وآله ( صلوات الله تعالى عليهم أجمعين ) ، وبأخذ المهدي (عليه السلام) بشار جدّه الحسين (عليه السلام) ممّن قتلوه وسلبوه وسبوا عياله ، ويعزُّ الأولياء وبذلُ الأعداء ويُظهر الدين ولو كره الكافرون ، إنَّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً .

- [٩] الجعفریات : ٣٣ .
- [١٠] كفاية الأثر : ٢٨١ .
- [١١] كامل الزيارات : ١٣٢ .
- [١٢] المصدر السابق .
- [١٣] المصدر السابق .
- [١٤] راجع : بحار الأنوار ٦٩ : ٥٧ وما بعدها حيث وازن بين إشكالية كون المال فتنة وكونه زينة .
- [١٥] الكافي ٢ : ٦٣٥ .
- [١٦] المصدر السابق .
- [١٧] المصدر السابق ٢ : ٦٣٦ .
- [١٨] راجع : آداب العشرة في الوسائل ، أو غيرها من الموسوعات الحديثة .
- [١٩] جامع أحاديث الشيعة ١٣ : ٥٤٠ .
- [٢٠] للمزيد يراجع العدد ( ٢ ) من مجلّة الموعود ( ص ٢٩٥ ) .
- [٢١] وسائل الشيعة ١٦ : ٢٠٣ .
- [٢٢] المصدر السابق ١٦ : ٢٤٧ .

- [١] مثير الأحزان : ٤ .
- [٢] الاحتجاج ٢ : ٣٠٠ .
- [٣] بحار الأنوار ٤٥ : ٧ .
- [٤] مثير الأحزان : ٢٤ .
- [٥] الإمامة والتبصرة لابن بابويه : ٢١ .
- [٦] كفاية الأثر : ٢٨١ : منها ما روي : « ... يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ عَدَدُ أَهْلِ بَدْرِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةُ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ( عَزَّ وَجَلَّ ) : ﴿ أَتَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٤٨] ، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ أَظْهَرَ أَمْرُهُ ، فَإِذَا أَكْمَلَ لَهُ الْعَقْدُ وَهِيَ عَشْرَةُ أَلْفٍ [آلاف] رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَلَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللَّهِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ... » .
- [٧] المصدر السابق . وقد بحثت ذلك في بحث مستقلٍ قد يُطَبَّع لاحقاً .
- [٨] الكافي ٣ : ٢٦٥ .

- [٢٣] الكافي ٢ : ٨٩ .
- [٢٤] المصدر السابق .
- [٢٥] المصدر السابق ٢ : ٩٠ .
- [٢٦] مستدرك الوسائل ١١ : ٢٩٨ .
- [٢٧] مشكاة الأنوار : ٢٠٠ .
- [٢٨] الإيثار في النظم الخلقية ( العباس نموذجاً ) .
- [٢٩] الكافي ٤ : ١٨ .
- [٣٠] المصدر السابق ٢ : ١٧١ .
- [٣١] المصدر السابق ٤ : ٥٨٢ .
- [٣٢] الكافي ٢ : ٢٣٣ .
- [٣٣] من لا يحضره الفقيه ٢ : ٤٣٩ .
- [٣٤] مشي النساء إلى كربلاء / مجلة الإصلاح الحسيني / العدد ٥ .
- [٣٥] وسائل الشيعة ١٤ : ٤٤٢ .
- [٣٦] مستدرك الوسائل ١٠ : ٢٧٩ .
- [٣٧] بحار الأنوار ٤٥ : ١٧٢ .
- [٣٨] كامل الزيارات : ١٢٢ .
- [٣٩] الكافي ٢ : ١٢٥ .
- [٤٠] المصدر السابق ٢ : ١٢٧ .
- [٤١] بحار الأنوار ٦٦ : ٢٣٦ .
- [٤٢] المصدر السابق ٤ : ٥٨٢ .
- [٤٣] راجع بحث ( نمط التعاطي مع الأعداء ) بحث نشرته مجلة المنهج العدد ٢ .
- [٤٤] نهج البلاغة / عهد مالك الأشر .
- [٤٥] المحاسن ٢ : ٤٠٠ .
- [٤٦] المصدر السابق .
- [٤٧] بحار الأنوار ٧٨ : ١٢٨ .
- [٤٨] كامل الزيارات : ٤٣ .
- [٤٩] المصدر السابق : ٤٥ .
- [٥٠] المصدر السابق .





# دَوْرُ الزِّيَارَةِ الْاِمْرَبِيَّةِ فِي الْاَصْلَاحِ

❖ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ رِضَا السَّاعِدِي (\*)

---

(\*) باحث وأستاذ في حوزة النجف الأشرف.



## مقدمة

كانت وما زالت الثورة الحسينية ثورة الإصلاح الأكبر ، ليس عند أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام فحسب ، بل عند أحرار العالم أجمع ، فمع مرور ما يقارب أربعة عشر قرناً ما زالت شعلتها الوقادة تلتهب في قلوب المؤمنين خاصة والأحرار عامة ، وما زالت التضحية التي رسمها الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه في عاشوراء ، تُثير درب الثّوار وتشحذ الهمم في كلّ بقاع الأرض ، فكان الجود بالنفس سمة النصر الحسيني ، وأصبح هذا الدم الطاهر مادّة السّقاء لشجرة التحرّر والفداء والتضحية من أجل العدل والإصلاح والنهوض والإباء .

ومن عظمة هذه الثورة ، أنّها أوجدت مظاهر

وشعائر أضافت إصلاحاً وتوعيةً إلى الإصلاح الذي أوجده أصل الثورة ، وهذا ما لا نجده في غيرها . وكان عنصر الخلود والتجدّد والمعاصرة ممّا امتازت به ثورة الحسين عليه السلام ، كما ورد في الرواية عن جدّه العظيم محمد صلى الله عليه وآله : « إنّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً » <sup>(١)</sup> .

وبعد أن انحرفت الأمّة عن مسارها الصحيح أراد الحسين عليه السلام بدمه ومهجته أن يوقظها ممّا هي عليه ، فصَدَعَ بمقولته المشهورة : « وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا مُفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام ، فمن

قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحقّ ، ومَنْ ردّ عليّ هذا ، أصبر حتّى يقضي الله بيّني وبين القوم بالحقّ ، وهو خير الحاكمين» (٢) .

وهذا الإصلاح الذي استهدفه الإمام الحسين (عليه السلام) هو الإصلاح العام الشامل لكلّ النواحي ، سواء كانت دينية ، أو فكرية ، أو أيديولوجية ، أو تربوية ، أو سياسية . فهو لم يستهدف الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الممارسات الفردية فحسب ، بل استهدف الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الجماعي أيضاً ، فكما أنّ هناك منكرًا فردياً ومعروفاً فردياً ، كذلك هناك منكر جماعي ومعروف جماعي ، قد تمارسه جماعة سياسية فيكون منكرًا سياسياً ، أو جماعة اقتصادية فيكون منكرًا اقتصادياً ، أو جماعة تربوية ، أو فكرية ، أو إعلامية . . . وغير ذلك .

ونستطيع القول : إنّ العملية الإصلاحية التي كان الحسين (عليه السلام) يستهدفها ليست إصلاح الأوضاع في زمانه فحسب ، بل الإصلاح في كلّ الأزمنة ، ولعلّ الإصلاح في كلّ الأزمنة كان هدفه الأساسي ؛ لمعرفة (عليه السلام) أنّ أهل زمانه غير قابلين للإصلاح ، وقد

أشار إلى هذا المعنى في خطبته : « ويلكم ، ما عليكم أن تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي ، وإنّما أدعوكم إلى سبيل الرشاد ، فمَنْ أطاعني كان من المرشّدين ، ومَنْ عصاني كان من المهلكين ، وكلّكم عاصٍ لأمري غير مستمع قولي ، فقد ملئت بطونكم من الحرام ، وطُبع على قلوبكم ، ويلكم ألا تنصتون ؟ ! ألا تسمعون ؟ ! » (٣) .

إنّ هناك مظاهر عديدة وصوراً متنوّعة للإصلاح في شعائر الحسين (عليه السلام) ، منها : مظهر الخطابة الحسينية ، والشعر الحسيني ، والزيارة الحسينية وغيرها ، ونموذجنا في هذا المقال هو زيارة الأربعين المليونية العالمية المباركة ، حيث أصبحت تلك الزيارة مظهراً عالمياً ، ورسالة كبرى في الإصلاح بكلّ نواحيه ، وهنا نقف بصورة مختصرة على مفردة الإصلاح فحسب ، تاركين فوائد الزيارة الأخرى ؛ دفعاً للإطالة والخروج عن هدف البحث ، مستعرضين ذلك في عدّة محاور :

### المحور الأول : الإصلاح المعنوي والروحي

من أهم ما يُسهم في الإصلاح الفردي

والاجتماعي هو بناء شخصية المؤمن بناءً روحياً ومعنوياً ؛ ليكون مؤهلاً للقيام بوظيفته الشرعية تجاه ربّه ونفسه ومجتمعه ، وهناك آليات عديدة لبناء الشخصية الإسلامية عموماً ، ولعلّ أهمّ تلك الآليات هو اتخاذ القدوة الحسنة والسير على نهجها ، والتزوّد بالعلم والمعرفة وغيرها ، وبناء هكذا شخصية يجعل الإنسان قوياً وصبوراً أمام المصاعب والشدائد ، ويوجد عنده نفساً عزيزة تأبى الذلّ والمسكنة ، فيصبح شجاعاً وصادقاً وأميناً ، وغير ذلك من الصفات الحميدة .

ومن الآليات المهمّة أيضاً هو انتهاج السلوك العبادي ، واتخاذها وسيلة للتقرّب إلى الله ، وبناء الملكات والفضائل النفسانية ، وكسر الشهوات ومحو الرذائل ، فالصلاة - مثلاً - لها آثار معنوية كبيرة كما صرّحت الآيات والروايات ، فهي حصانة للإنسان من الوقوع في الفحشاء والمنكر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وهي وسيلة يتقرّب بها العبد إلى الساحة الإلهية ، ويبتعد بها عن الخطط الشيطانية ، كما جاء في الحديث : « الصلاة قربان كلّ تقى »<sup>(٥)</sup> ، وهي سبيل للعروج إلى الربّ ، فقد ورد : « الصلاة ميزان أمّتي »<sup>(٦)</sup> ، إلى غير ذلك من

الآثار .

وهكذا الصوم ، والحج ، والجهاد ، وأداء الحقوق الشرعية ، وغيرها ، كلّ له آثاره في بناء شخصية الإنسان المؤمن وتربيتها تربية إسلامية .

وزيارة الأربعين - وبالخصوص مشياً - تمثّل ممارسة عبادية متنوعة وطويلة الأمد - زماناً ومسافة - وتشابه إلى حدّ ما موسم الحج ، من حيث التنوّع العبادي ، والجهد المعنوي ، والتعبوي ، فتمارس فيها مجموعة من العبادات كالزيارة ، والصلاة - خصوصاً صلاة الجماعة - والتسبيح ، والوعظ والإرشاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعاء ، والمشى - بناء على كونه عبادة كما هو الصحيح - وغيرها .

وهذه الممارسات العبادية المتنوعة ، خصوصاً عند تكرارها ، تخلق جوّاً روحياً عالياً من خلال ما يحصده المؤمن من الأجر والثواب ، لا سيّما وأنّه يتحمّل متاعب المشي ، والحزّ والبرد ، وتوزم الأقدام ، وغير ذلك من المصاعب ، كما كان يتحمّل الجوع والخوف في زمن الطغاة . وهذا يخلق شخصية دينية صلبة الإيمان تكون مؤهلة لممارسة دورها الشرعي .

## بعض روايات المشي وثوابه

وردت روايات مستفيضة ، بل متواترة وصحيحة ، في المشي وأهميته العبادية ، منها :

١- عن أبي الصامت ، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « مَنْ أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكلِّ خطوة ألف حسنة ، ومحا عنه ألف سيئة ، ورفع له ألف درجة... » (٧) .

٢- عن علي بن ميمون الصائغ ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « يا عليّ ، زُر الحسين ولا تدعه . قال : قلت : ما لمن أتاه من الثواب ؟ قال : مَنْ أتاه ماشياً كتب الله له بكلِّ خطوة حسنة ، ومحا عنه سيئة ، ورفع له درجة ، فإذا أتاه وكلُّ الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير ، ولا يكتبان ما يخرج من فيه من شرٍّ ولا غير ذلك ، فإذا انصرف ودَّعوه وقالوا : يا وليّ الله ، مغفوراً لك أنت من حزب الله ، وحزب رسوله ، وحزب أهل بيت رسوله ، والله ، لا ترى النار بعينك أبداً ولا تراك ، ولا تطعمك أبداً » (٨) .

٣- عن بشير الدهان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إِنَّ الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام ، فله إذا

خرج من أهله بأول خطوة مغفرة ذنوبه ، ثم لم يزل يُقدِّس بكلِّ خطوة حتّى يأتيه ، فإذا أتاه ناجاه الله تعالى ، فقال : عبدي ، سلمي أعطك ، أدعني أجبك ، أطلب مني أعطك ، سلمي حاجة أقضها » (٩) .

وغير ذلك من الروايات ، وهي واضحة في دور المشي لزيارة الحسين عليه السلام في البناء المعنوي وتحصيل الأجر الرافع للدرجات ، وهو ممّا يحتاج إليه كلّ مؤمن لتحقيق سعادة الدارين .

## المحور الثاني : الإصلاح الاقتصادي

إنَّ القوّة الاقتصادية وتأمين الوضع المالي واحدة من أهمّ مقوّمات نجاح الأمم والحركات بعد الموارد البشرية ، وكذلك معرفة كيفية إدارة المال ، وعدم الإسراف والتبذير ، وحُسن الاقتصاد بالصرف يُشكّل دعامة اقتصادية أخرى .

فالمال له أهمية كبيرة في بناء الفرد والمجتمع ، ودور مهم في خلق حياة سعيدة وأُسرة صالحة وحياة أمنة ، فيما إذا أحسن الإنسان التصرف به ، وإلّا فيمكن أن يكون وبالاً على صاحبه ، فهو سلاح ذو



حَدِّين .

والقرآن في اللحظة التي يُبَيَّن فيها أَنَّ المال زينة في قوله : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُو زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾<sup>(١٠)</sup> ، يُبَيَّن كذلك أَنَّهُ فتنة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾<sup>(١١)</sup> ، فهو زينة فيما لو صانه الإنسان ووضعه في موضعه ، واتخذهُ وسيلةً لِلْآخِرَةِ ، وكفى به نفسه وعياله ومجتمعه وأُمته الإسلامية ، وقضى حوائجهم ، وهو فتنة وعذاب إذا ما ضيَّعه وبذَّره ، وجعله وسيلةً لِلدُّنْيَا ، والشهوة والحرام ، وانتهاك الأعراض ، وقتل النفوس . وقد بيَّنت الروايات هذه الحقيقة ، ومدحت المال مع الدِّين ، وذمَّت المال إذا كان وسيلةً لِلْعِصْيَانِ ، ووازنت بين النظرتين<sup>(١٢)</sup> .

ومن الممارسات الإيجابية في مجال المال والاقتصاد هو ما تقوم به جموع المؤمنين من توظيف القدرة المالية في إحياء هذه المناسبة ، من خلال الصرف المالي على المواكب وإطعام ملايين الزائرين ، وهو عمل يكشف عن قدرة اقتصادية كامنّة في الأُمَّة الحسينية ، فلا ميزانية مالية ، ولا دعم دولة ولا حزب ، وإنّما هو تمويل من جمهور الحسين ﷺ لزوّاره ، وهذا التمويل الهائل ما هو إلّا ممارسة وتدريب اقتصادي على الصرف

المالي المنضبط الذي يمارسه الحسينيون ؛ لتحقيق الإصلاح الاقتصادي في الحياة الفردية والاجتماعية ، ولم تكن هذه الممارسة والاستعداد للصرف ، بل الصرف الفعلي ، لولا هذه الزيارة المباركة ، خصوصاً وأنّ بعض المؤمنين يقاسم زوّار الحسين ﷺ قوت عياله ومؤنّته السنوية ، بل بعضهم يبيع بيته أو سيارته ويشترى ما هو أَقْل من قيمتها إذا لم يكف ما جمعه للموسم .

فهكذا عمل يصدر من هكذا جمهور حسيني يمكن أن يؤهّله لتكوين مجتمع ملتزم وواع ، ويقوده إلى بَرِّ الأمان ، ويبيّن له اقتصاداً رصيناً يتكفّل بسدّ حاجة الأُمَّة .

### المحور الثالث : الإصلاح التعبوي

من المفاهيم المهمّة في عالم الدعوة واستقطاب الجماهير والأنصار هو مفهوم التعبئة ، وهو عبارة عن قوّة شعبية كامنّة أو ظاهرة ، لها حضورها في كلّ نواحي الحياة ؛ لخدمة الوطن أو المواطن ، وهي على أنواع : فقد تكون تعبئة عسكرية ، أو إعلامية ، أو اجتماعية ، وغير ذلك ، ومن أهم أنواعها هي التعبئة الاجتماعية ، وهي : « تحريك واستنفار المجتمع بكلّ قطاعاته للمشاركة

الإيجابية ؛ لتحقيق الأهداف المطلوبة . لا بدّ أن تشمل التعبئة الاجتماعية جميع قطاعات المجتمع ، من المسؤولين الرسميين والسياسيين ، قادة الرأي ، القادة المحليين ، وجموع المواطنين» (١٣) .

وهذا ما يحصل فعلاً في زيارة الأربعين ، فإنّ هناك تعبئة جماهيرية عامّة ؛ لتحقيق هدف ديني مهم في حياة الفرد والمجتمع .

إنّ من أهم ما تحتاج إليه كلّ دعوة ، سماوية كانت أم أرضية ، هو وجود قوّة معنوية أو ماديّة ، أو شخصية قيادية تمتلك ( كاريزما ) عالية ، تستطيع أن تخلق جمهوراً وأتباعاً من خلال التعبئة الجماهيرية الواسعة التي تقدّم الولاء والخدمة مجّاناً وبلا مقابل .

والملاحظ أنّ أيّ جهد في زيارة الأربعين لا يُبدل في التعبئة الجماهيرية ، بل إنّ الجمهور مُقبل على الزيارة بلا نظير ، وكثير منهم يُنفق أموالاً وجهداً مضاعفاً في تلك الأيام ، وبيتجهج بهذا الصرف والجهد .

وهذا العمل التطوّعي العظيم لا تجد له نظيراً في كلّ العالم ، وهو مفخرة يتميّز بها أتباع آل البيت (عليه السلام) ، وثمره من ثمرات النهضة الحسينية

الخالدة ، فدور زيارة الأربعين في تعبئة المؤمنين لأيّ طارئ واضحة وفعّالة ، من خلال الحرارة التي أوجدها مقتل الحسين (عليه السلام) في قلوبهم .

### المحور الرابع : الإصلاح الاجتماعي

من أبرز ما يُميّز المجتمع الناجح والصالح هو قوّة الترابط الاجتماعي بين أفرادهِ وعملهم مجتمعين ؛ لإنجاز مهامهم المناطة بهم ، ممّا يُساعد على البناء السليم لجميع مفاصل الحياة الفردية والاجتماعية ، ويساعد على أن ينال كلّ فرد فرصته فيها ؛ لذا نجد الروايات قد اهتمت كثيراً بالترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع ، ومن هذه الروايات :

عن مرّام قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : « عليكم بالصلاة في المساجد ، وحُسن الجوار للناس ، وإقامة الشهادة ، وحضور الجنائز ، إنّه لا بدّ لكم من الناس ، إنّ أحداً لا يستغني عن الناس حياته ، والناس لا بدّ لبعضهم من بعض » (١٤) .

وعن حبيب الخثعمي ، قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : « عليكم بالورع والاجتهاد ، واشهدوا

الجنائز ، وعودوا المرضى ، واحضروا مع قومكم مساجدكم ، وأحبوا للناس ما تحبّون لأنفسكم ، أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقّه ولا يعرف حقّ جاره» (١٥) .

وعن زيد الشحام ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : « . . . صِلُوا عَشَائِرَكُمْ ، واشهدوا جنائزهم ، وعودوا مرضاهم ، وأدّوا حقوقهم ، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه ، وصدق الحديث ، وأدّى الأمانة ، وحسّن خلقه مع الناس ، قيل : هذا جعفري ، فيسرّني ذلك ، ويدخل عليّ منه السرور . . . » (١٦) .

إلى غيرها من الروايات وآداب التعاشر والتواصل الاجتماعي (١٧) .

وبالمقابل فإنّ من أبرز ما يدمّر المجتمع هو كثرة النزاعات والخلافات والتحزّبات ، وتحوّله إلى شيع يتلاعب بها الظلمة ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَآلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُم طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَذْبَحُ أَوْلَادَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٨) ، وهذه سنّة قائمة يتّخذها الظالمون لإضعاف المجتمع .

كما أنّ النزاع سبباً واضحاً لهدر الطاقات وضياع الفرص ، والتراجع الفردي والاجتماعي على كلّ المستويات ؛ لذا يحرص علماء الاجتماع في البلدان على خلق جوّ اجتماعي بين أفراد مجتمعاتهم ، بعيداً عن الخلافات والصراعات والشتات ، والحرص على خلق روح التعاون والمحبة ، وتقوية الروابط الاجتماعية والأسرية .

والذي يلاحظ الزيارة الأربعينية يرى قوّة الترابط بين أفراد الزائرين ، كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساءً ، أغنياء وفقراء ، رؤساء ومرؤوسين ، فلا تميّز بين غنيّ أو فقير ، ولا بين مشهور أو مغمور ، وغيرهم ، فالكلّ سواسية ، بل في بعض الأحيان تنقلب الموازين ، فترى الكبير يخدم الصغير ، أو المشهور يخدم المغمور ، أو الرئيس يخدم المرؤوس ، وهكذا ، فيتجلّى الترابط الاجتماعي بأروع الصور ، وبأجمل ما يكون ؛ وكلّ ذلك نابع من الزيارة الأربعينية المباركة .

وهذا الترابط الاجتماعي ليس بين أفراد المدن والدول فحسب ، بل بين الشعوب أيضاً ، فهناك جماهير من عشرات الدول تلتقي فيما بينها ، فتكون

زيارة الأربعين سبباً في خلق أواصر ووشائج قوية بين الشعوب .

الحجة عليه السلام وعالمية دعوته .

### المحور الخامس : البناء الفكري والعلمي

إنّ تحصين الأمة فكرياً وعلمياً يُعدّ من الواجبات التي تقع على عاتق المؤسسات الدينية ، ولعلّ تسويق المعلومة إلى الجمهور يُعدّ من أهم المشاكل التي تواجه المُبلِّغ ؛ لذا يجب علينا استثمار المواسم التي يسهل فيها تسويق المعلومات إلى الجمهور ، والمتابع لسيرة النبي صلى الله عليه وآله وآل البيت عليهم السلام يرى أنّهم يدأبون على استثمار المواسم العبادية لإيصال صوتهم إلى الجماهير ، كما في مواسم الحج والعمرة ، وصلاة العيد ، والجمعة والجماعة ، والمجالس والمآتم الحسينية ، فكانت لهم خطب وكلمات ومواقف في تلك المواسم سجلها التاريخ ، ونقلتها الأحاديث ، فشعائر الحسين عليه السلام عموماً وزيارة الأربعين خصوصاً من أهم الوسائل لتسويق المعلومات الدينية إلى الجمهور في هذه الأيام .

إنّ خلق مجتمع مُتعلّم على سبيل النجاة يُعدّ من أبرز ركائز البناء الديني للفرد والمجتمع ، بل هو قوام للدين والدنيا ، كما ورد عن أمير المؤمنين : « قوام

إضافة إلى ذلك ، هناك حواجز اجتماعية ونفسية وثقافية بين شعوب بعض البلدان بسبب حروب أو غيرها ، نراها تضحّل وتذوب بسبب هذا الملتقى العام في زيارة الأربعين ، فزيارة الأربعين تجعل الترابط الاجتماعي ليس بين أبناء بلد ما فحسب ، بل بين الشعوب والبلدان الأخرى ؛ ممّا يُعزّز خلق نسيج اجتماعي كبير ، يربط دولاً وشعوباً فيما بينها ، على الرغم من اختلافها باللغة ، أو اللون ، أو الثقافة ، أو غيرها ؛ لخلق مجتمع صالح ومصلح .

وتمتاز زيارة الأربعين بكونها عاملاً مساعداً على إلغاء الطبقية ، والقطرية ، والعرقية ، والقومية والعنصرية ، وأنّها تعمّق الوجود التعارفي الذي عبّر عنه في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ <sup>(١٩)</sup> ، وكذلك هي فرصة كبيرة للانفتاح الحضاري بين أمة الإيمان ، ومجال للحوار على أسس دينية تمهّد لظهور الإمام

الدين والدنيا بأربعة : عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم . . . »<sup>(٢٠)</sup> . ومن جملة البناء الديني المهم للمؤمن هو بناؤه على كافة الصُّعد ، عقيدةً وفقهاً وأخلاقاً ؛ وذلك من خلال استثمار ذلك الموسم لتبليغ تلك العلوم للناس ، وتعريفهم بتفاصيلها ، وتحسينهم فكرياً ضدَّ الدجالين والمدَّعين والمشوّهين ؛ فيكون موسم الزيارة موسم تبليغ وترويج وتطبيق للدين والتدين ، ويقع هذا التبليغ على عاتق الجميع ، خصوصاً أهل التخصص الديني ، من خلال إلقاء المحاضرات والإرشادات والنشرات والكتب وغيرها .

### المحور السادس : الإصلاح الأمني

تشكّل الحصانة الأمنية للشعوب والدول ركيزة أساسية في البناء السليم لها ودفع المخاطر عنها ؛ لذلك تقاس قوّة الدول وقدرتها على مقاومة المخاطر بقوّة نظامها الأمني العام .

إنّ التحصين الأمني يُعدّ اليوم من أهم مقومات النجاح لأيّ حركةٍ تُريد الإصلاح والتغيير ، وهذا التحصين الأمني لا ينفع كثيراً إذا لم يخرج من النظرية إلى التطبيق ، فلا يُكتفى بمعرفة البناء الأمني

والمباني الأمنية من دون أن تحوّل تلك المعرفة إلى تطبيق عملي على أرض الواقع .

وقد أسّس آل البيت (عليهم السلام) نظاماً أمنياً كبيراً - يستحقّ دراسات مستقلة - في كيفية التعامل مع الصديق والعدو ، ولعلّ من أهم مصادره روايات التقيّة<sup>(٢١)</sup> ، وروايات كشف الأسرار والإذاعة<sup>(٢٢)</sup> ، فهي تؤسّس لنظام أمني محكم في التعامل العام وكيفية تحصين الأمة المؤمنة .

وزيارة الأربعين هي بناء وتدريب أمني معقّد وعموم المكلفين ، وبالأخص لأصحاب المسؤولية في المواكب والزيارة ، فهم يعملون على عدم السماح بالاختراق لأيّ شخصٍ غريبٍ أو غير معروفٍ ، سواء داخل الموكب أم أثناء المسير ، أم ممّن يوزّع الطعام أو غير ذلك من الخدمات ، حتّى من يُشتبه به ، فإنّه يبقى تحت المراقبة والاختبار ، حتّى يُرفع اللبس عنه ، ويتبيّن أمره ، ويُلاحظ ذلك بشكل كبير ، خصوصاً ممّن لهم تجربة كأصحاب المواكب والخدمات والزائرين ، فإنّهم يلاحظون حركات وتصرفات وسكنات الزائر وتوجّهاته ، وحتى كلامه ومواقفه ، ويسهرون إلى



الصباح للحفاظ على أمنه وممتلكاته وحرمته ،  
ويحرصون على أمن الزائرات المؤمنات ؛ لذا تجد أن  
المرأة تعيش أيام الزيارة حالة من الأمن والطمأنينة ،  
فلا تخاف على نفسها ، ولا على مالها ، ولا على  
حياتها ، ما دامت سائرة في هذا الطريق المبارك . وهذا  
كله بفضل النظام الأمني المتقن الذي توجده زيارة  
الأربعين ، وهو يفوق كل الأنظمة الأمنية في العالم  
حتى في الدول العظمى .

إذن ؛ هذا البناء العملي الأمني يُعطينا دروساً  
عمليةً تنفعنا كثيراً في مجالات الحياة والإصلاح .

### المحور السابع : الإصلاح الأخلاقي

من أهم المبادئ التي ركّز عليها التشريع ، هو  
خلق ملكات أخلاقية وصفات نفسانية في الفرد  
والمجتمع ، وقد دأب المشرّع على التنظير لذلك  
بعشرات الآيات ومئات الروايات من جهة ، ومن جهة  
أخرى أرسل الأنبياء والرسل لحث الناس على العمل  
بمكارم الأخلاق .

وزيارة الأربعين تُعتبر من الدروس الأخلاقية

العملية ، التي تُكوّن في أنفسنا الملكات الأخلاقية من  
جهة ، وتكشف عن تجسيد تلك الملكات وانعكاسها  
على أفعالنا وتعاملنا مع الآخرين من جهة أخرى ، ففي  
زيارة الحسين (عليه السلام) مشياً على الأقدام عدّة معطيات  
أخلاقية نذكرها إجمالاً :

١- **الصبر** : فإنّه قيمة أخلاقية عالية أكّدها  
الآيات والروايات ، وإليك جملة منها :

أما الآيات فكما في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ  
بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقَصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ  
وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا  
أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَٰئِكَ  
عَلَيْنَاهُم صَلَاةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ  
الْمُهْتَدُونَ ﴾ (٢٣) .

أما الروايات ، فمنها :

ما عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام)  
يقول : « ... الصبر يُعقب خيراً ، فاصبروا ووطّئوا  
أنفسكم على الصبر تُوجروا » (٢٤) .

وعن حمزة بن حمران ، عن أبي جعفر (عليه السلام) ،  
قال : « الجّنة محفوفة بالمكاره والصبر ، فمَن صبر



على المكاره في الدنيا دخل الجنة ، وجهنم محفوفة بالذات والشهوات ، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار» (٢٥) .

وعن أبي سيّار ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « إذا دخل المؤمن في قبره كانت الصلاة عن يمينه ، والزكاة عن يساره ، والبرّ مُطلّ عليه ، ويتنحى الصبر ناحيةً ، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته ، قال الصبر للصلاة والزكاة والبرّ : دونكم صاحبكم ، فإن عجزتم عنه فأنا دونه » (٢٦) .

فتبيّن أنّ الصبر له قيمة معنوية عالية ، وأثرٌ بالغ في الدنيا ، وأجرٌ عظيم في الآخرة ، والمشى لزيارة الأربعين وتحمل الصعاب وعناء السفر لهو من المصايدق الواضحة للصبر ، خصوصاً المشى من أماكن بعيدة ، مع كثرة الزحام والابتلاءات .

إذن ؛ زيارة الأربعين تعطينا دروساً عملية في الصبر وتحمل الأذى والجوع والألم وغير ذلك ؛ ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى .

**٢- التواضع :** وهو سمة من سمات وفضائل المؤمن ، إذ يقع في قبال رذيلة التكبر ، وقد وقع

التواضع موضوعاً للمدح في العديد من الآيات والروايات .

فمن الآيات قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (٢٧) ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٨) .

ومن الروايات نذكر ما جاء في مستدرک الوسائل عن مصباح الشريعة ، قال الصادق عليه السلام : « التواضع أصل كلّ شرفٍ ، وخيرٌ ، ونفيسٌ ، ومرتبّةٌ رفيعةٌ ، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنتطق عن حقائق ما في مخفّيات العواقب ، والتواضع ما يكون لله ، وفي الله ، وما سواه مكر ، ومن تواضع لله شرفه الله على كثيرٍ من عباده ، ولأهل التواضع سيما يعرفها أهل السماوات من الملائكة ، وأهل الأرض من العارفين ، قال الله : ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ ، وقال أيضاً : ﴿ مَنْ يَزِدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ﴾ الآية . وأصل التواضع من إجلال الله وهيئته

وعظمته ، وليس للعبادة يقبلها ويرضاها إلا وبابها التواضع ، ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلا المقربون من عباده ، المتصلون بوحدايته ، قال الله : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ ، وقد أمر الله أعز خلقه وسيّد بريته محمداً ﷺ بالتواضع ، فقال : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء ، وإنهن لا ينبتن إلا منها وفيها ، ولا يسلم الشوق التام الحقيقي إلا للمتواضع في ذات الله تبارك وتعالى » (٢٩) .

ويطبق الإنسان - أثناء المشي إلى كربلاء - تمارين في التواضع والبساطة ، فيبيت على فراش غير لائق ، أو يأكل الشيء القليل ، أو يمشي في الطرق الوعرة ، أو يخدم غيره من الزوار ، أو يتبدأ بالسلام على مَنْ يلاقيه ، وهذه كلّها من علامات التواضع ، ففي ( مشكاة الأنوار ) روي عن رسول الله ﷺ قوله : « من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على مَنْ لقيت ، وتردّ على مَنْ سلّم عليك ، وأن ترضى بالدون من المجلس ، ولا تحبّ المدحة

والتزكية » (٣٠) .

كما أنّ ما يقدّمه أصحاب المواكب هو من أعظم صور التواضع ، فيقومون بفرش الفراش للزوّار ، وإطعامهم ، والسهر على خدمتهم ، وتوفير كلّ ما يحتاجون إليه تواضعاً لله وخدمة لعنوان : ( زائر الحسين ) .

٣- الإيثار : فإنّ من الكمالات التي تكشف عن رقي الإنسان اتّصافه بالإيثار ، وقد جاءت الآيات والروايات مادحة لهذه الصفة .

فمن الآيات قوله تعالى : ﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٣٢) .

ومن الروايات ، ما عن علي بن سويد السائي ، عن أبي الحسن عليه السلام ، قال : قلت له : « أوصني . فقال : أمرك بتقوى الله . ثمّ سكت ، فشكوت إليه قلّة ذات يدي ، وقلت : والله ، لقد عريت حتّى بلغ من عريتي أنّ أبا فلان نزع ثوبين كانا عليه

وكسانيهما . فقال : صم وتصدّق . قلت : أتصدّق ممّا وصلني به إخواني وإن كان قليلاً ؟ قال : تصدّق بما رزقك الله ولو أثرت على نفسك » (٣٣) .

وعن أبان بن تغلب ، قال : « كنت أطوف مع أبي عبد الله عليه السلام ، فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجة ، فأشار إليّ ، فكرهت أن أدع أبا عبد الله عليه السلام وأذهب إليه ، فبينما أنا أطوف إذ أشار إليّ أيضاً ، فرآه أبو عبد الله عليه السلام ، فقال : يا أبان ، إياك يُريد هذا ؟ قلت : نعم . قال : فمَن هو ؟ قلت : رجل من أصحابنا . قال : هو على مثل ما أنت عليه . قلت : نعم . قال : فاذهب إليه . قلت : فأقطع الطواف . قال : نعم . قلت : وإن كان طواف الفريضة . قال : نعم . قال : فذهبت معه ، ثم دخلت عليه بعدُ ، فسألته ، فقلت : أخبرني عن حقّ المؤمن على المؤمن . فقال : يا أبان ، دعه لا ترده . قلت : بلى جعلت فداك ! فلم أزل أردد عليه فقال : يا أبان ، تقاسمه شطر مالك . ثمّ نظر إليّ فرأى ما دخلني ، فقال : يا أبان ، أما تعلم أنّ الله ﷻ قد ذكر المؤثرين على أنفسهم ؟ قلت بلى جعلت فداك . فقال أمّا إذا أنت قاسمته فلم تُؤثره بعدُ ، إنّما أنت وهو سواء ، إنّما تُؤثره إذا أنت أعطيته من النصف

الآخر » (٣٤) .

وفي زيارة الأربعين نجد مصاديق الإيثار واضحة ، فإنّ تقديم الآخرين على النفس من أعظم ما يقوم به السائر إلى الحسين عليه السلام ، والخادم في موكبه ، فيقدّم مصلحة الزائر على مصلحة نفسه ، وراحة الزائر على راحة نفسه ، ويُنفق من ماله لكي لا ينفق الزائر من ماله ، وهكذا يتعلّم من الزيارة درساً عظيماً في الإيثار .

٤- **التضحية** : إنّ السائر إلى زيارة الحسين عليه السلام يقدّم الجهد الجهد والتضحية بماله ووقته وراحته ؛ لأجل إحياء هذه الشعيرة ، وفي ذلك تطبيع للنفس على التضحية من أجل المبادئ والقيم السامية ، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ذلك في دعائه لهم : « ... اغفر لي وإخواني ، وزوّار قبر أبي الحسين ، الذين أنفقوا أموالهم ، وأشخصوا أبدانهم ؛ رغبةً في برّنا ، ورجاءً لما عندك في صلتنا ، وسروراً أدخلوه على نبيّك ، وإجابةً منهم لأمرنا ، وغيظاً أدخلوه على عدونا ... وأعطهم أفضل ما أمّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم ، وما أثرونا به على أبنائهم

وأهاليهم وقراباتهم...» (٢٥) .

٥ - **العفة**: وهي من الصفات التي ركزت عليها الشريعة في البطن والفرج ، بل وصفت العفة بأنها من أفضل العبادات ، وجاءت النصوص مبيّنة لذلك :

فمن القرآن قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ (٢٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾ (٢٧) .

ومن الروايات ما عن المُفضّل ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « إِيَّاكَ وَالسَّفَلَةَ ، فَإِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيِّ مَن عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ ، وَاشْتَدَّ جِهَادُهُ ، وَعَمِلَ لِخَالِقِهِ ، وَرَجَا ثَوَابَهُ ، وَخَافَ عِقَابَهُ ، فَإِذَا رَأَيْتَ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ شِيعَةُ جَعْفَرٍ » (٢٨) .

إذا كانت الزيارة تشمل الرجال والنساء ، فهنا تبرز العفة في التعامل مع الجنس الآخر من خلال غَضِّ البصر ، وحفظ اللسان واليد عن التعدي ، والالتزام بالحجاب الشرعي ، والتعامل مع الآخر بأنه من المحارم كما ورد في صحيح صفوان الجمال ، قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام : قد عرفتني بعملتي

تأتيني المرأة أعرفها بإسلامها ، وحبّها إِيَّاكم ، وولايتها لكم ، ليس لها محرم . قال : إذا جاءت المرأة المسلمة فاحملها ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ مُحَرَّمُ الْمُؤْمِنَةِ ، ثُمَّ تلا هذه الآية : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٢٩) ؛ لذا ذهب الفقهاء إلى عدم اشتراط المحرم في الحج والزيارة ما دامت المرأة مأمونة على نفسها (٤٠) .

٦ - **الشجاعة**: إِنَّ الزِيارَةَ تُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ الشجاعة في اتخاذ الموقف ، والصبر على الخوف ، وقوّة الإقدام ، خصوصاً مع المنع منها كما كان يحصل أيام النظام السابق ، فإنّ فيها توطيئاً للنفس على المواجهة والتحدّي للموت والقتل ، والسجن والتعذيب ، وما هذه إلا صور رائعة من صور الشجاعة والإقدام في سبيل المبادئ والقيم الدينية ؛ لذا وردت الروايات في الحثّ على الزيارة حتّى في مثل هكذا محن وشدائد ، منها :

١ - أجْرُ مَنْ حُبَسَ فِي طَرِيقِ الْحُسَيْنِ عليه السلام : في الوسائل عن هشام بن سالم ، قال : قلت للإمام الصادق عليه السلام : « فما لِمَنْ حُبَسَ فِي إِيَّانِهِ ؟ قال : له

بكل يوم يُحبس ويغتَم فرحة يوم القيامة» (٤١).

٢- أجز من ضرب بطريق الحسين (عليه السلام) : في مستدرك الوسائل في حديث طويل لهشام عن الصادق (عليه السلام) : « قلت : فإن ضرب بعد الحبس في إتيانه . قال : له بكل ضربة حوراء ، وبكل وجع يدخل عليه ألف ألف حسنة ، ويُمحى بها عنه ألف ألف سيئة » (٤٢).

٣- أجز من مات في طريق الحسين (عليه السلام) : في بحار الأنوار : « . . . فإن هلك في سفره نزلت الملائكة فغسلته ، وفتح له باب إلى الجنة يدخل عليه روحها حتى يُنشر ، وإن سلم فتح الباب الذي ينزل منه رزقه ، فجعل له بكل درهم أنفقه عشرة آلاف درهم ، وذخر ذلك له ، فإذا حشر قيل له : لك بكل درهم عشرة آلاف درهم ، وإن الله تبارك وتعالى نظر لك ، وذخرها لك عنده » (٤٣).

٤- أجز من قتل في طريق الحسين (عليه السلام) : « حدّثنا هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث له طويل ، قال : أتاه رجل ، فقال له : يا ابن رسول الله ، هل يُزار والدك ؟ قال : فقال : نعم . إلى

أن قال : قلت : فما لمن قتل عنده جار عليه سلطان فقتله . قال : أول قطرة من دمه يُغفر له بها كل خطيئة ، وتُغسل طينته التي منها خلق الملائكة ، حتى تخلص كما خلصت للأنبياء المخلصين ، ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس طين أهل الكفر ، ويُغسل قلبه ، ويُشرح صدره ، ويُملأ إيماناً ، فيلقى الله وهو مُخلص من كل ما تخالطه الأبدان والقلوب » (٤٤).

وهذه بمثابة مراكز تدريب ميدانية على الشجاعة والإقدام ، وعدم التهيّب من الأعداء والطغاة ، فتكون من أهم وسائل الإعداد الجهادي لأنصار الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف .

## ٧ - الموالاة والبراءة : من المفاهيم

العقائدية التي أگدها آل البيت (عليهم السلام) في نفوس أتباعهم ، هو مفهوم الولاء لأولياء الله ، والبراءة من أعدائهم ، وهذان المفهومان لهما تأثير على المستوى العقدي ، فلا إيمان حقيقي إلا بهما ، وعلى المستوى العملي لا قبول - بل لا صحة للعمل



— إلا بهما ، وهذا ما أشار له الكثير من الآيات والروايات .

فمن الآيات ، قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ... ﴾ (٤٥) ، وقوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ... ﴾ (٤٦) .

ومن الروايات :

عن سعيد الأعرج ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « من أوثق عُرى الإيمان أن تُحبَّ في الله ، وتُبغض في الله ، وتُعطي في الله ، وتمنع في الله » (٤٧) .

وعن إسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « كُلَّ مَنْ لَمْ يُحِبَّ عَلَى الدِّينِ ، وَلَمْ يُبْغِضْ عَلَى الدِّينِ ، فَلَا دِينَ لَهُ » (٤٨) .

وعن أبي محمد العسكري ، عن آبائه عليه السلام ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض أصحابه ذات يوم : يا

عبد الله ، أحبب في الله ، وأبغض في الله ، ووال في الله ، وعاد في الله ، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك ، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك ، وقد صارت مواخاة الناس يومكم هذا أكثرها على الدنيا ، عليها يتوادلون وعليها يتباغضون ، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئا . فقال الرجل : يا رسول الله ، كيف لي أن أعلم أنني قد واليت وعاديت في الله ، ومن ولي الله حتى أواليه ، ومن عدوه حتى أعاديه ؟ فأشار له رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام ، فقال : ألا ترى هذا ؟ قال : بلى . قال : ولي هذا ولي الله ، فواله ، وعدوه هذا عدو الله فعاده ، وال ولي هذا ، ولو أنه قاتل أبيك وولدك ، وعاد عدوه ، ولو أنه أبوك أو ولدك » (٤٩) .

وزيارة الأربعين مصداق واضح لتقوية الولاء لآل البيت عليه السلام ، والبراءة من أعدائهم ، خصوصا إذا اكتنفتها الشعارات الدالة على ذلك ، ممَّا يعزِّز العنصرين المهمين في عقيدة الإنسان الحقَّة ، وعمله المقبول ، وهذا التولي والتبري يفعله زوار الحسين عليه السلام من خلال إحياء الشعائر التي يمارسونها في شعيرة الأربعين ؛ استجابة لأمر آل البيت عليه السلام ،



وغيظاً لأعدائهم ، وقد أشارت الروايات لذلك ، منها :  
ما تقدّم قبل قليل ، من قول الإمام الصادق عليه السلام :  
« ... اغفر لي وإخواني ، وزوّار قبر أبي الحسين  
الذين أنفقوا أموالهم ، وأشخصوا أبدانهم ؛ رغبة في  
برّنا ، ورجاء لما عندك في صلتنا ، وسروراً أدخلوه على  
نيبك ، وإجابةً منهم لأمرنا ، وغيظاً أدخلوه على  
عدونا ... » (٥٠) .

وفي هذه الصور الولائية البرائية عدّة أمور :

أ- إيصال رسالة إلى العالم أجمع بأننا سائرون  
على هذا النهج الذي رسمه آل البيت عليهم السلام ، خصوصاً  
الإمام الحسين عليه السلام ، في رفض الظلم ، والدفاع عن  
عقيدة الأمة وإصلاحها ، ولو كلف ذلك حياتنا .

ب - إيصال رسالة بأننا رافضون للنهج التكفيري  
والأموي ، المستبيح للنفوس والأعراض والأموال ؛  
لأغراض سلطوية ودينيوية ، وأنّ هذا النهج لا بدّ أن  
يُحارب ؛ كي لا يتكرّر في التاريخ .

ج - إيصال رسالة للعالم بأنّ مذهب آل  
البيت عليهم السلام هو مذهب الاعتدال والإنسانية  
والإصلاح ، وأنّ معيار موالاة أهل طاعة الله وبغض

أهل معصية الله وسيلة لإصلاح العباد والبلاد ، وردع  
لظالمين ، وتقوية للمؤمنين ، وأنّ الناس لا تقاس  
على أساس العرق ، أو اللون ، أو القرابة ، وإنّما على  
أساس الإيمان والتقوى والولاء لله وأوليائه ، والبراءة  
من الشيطان وأتباعه من الجنّ والإنس .

## ٨ - التدرّب على التعايش السلمي مع

الآخر : من أهمّ الإشكاليات التي تواجه الأمم  
والديانات هو التدرّب على التعايش السلمي مع  
الآخرين ، وكيفية التعامل معهم وعدم إغنائهم  
فكرياً ، أو معنويّاً ، أو حتّى مادياً ، وهذا ما تسعى  
لتحقيقه المنظّمات الدولية المعنية بذلك ، وكذلك  
منظّمات المجتمع المدني ، وتجعل برامج لذلك ،  
وتعمل على الحدّ من وقوع الصراعات ونشوء حركات  
وتوجّهات تدعو للقتل والتقاتل ، كالحركات النازية ،  
أو الشعوبية ، أو الوهابية ، أو ما تمخّض عنها كـ  
( داعش ، والقاعدة ، والنصرة ، وأخواتهن ) .

وهذا ما جاء به الدين الحنيف من رسم  
علاقتك مع الآخر ، وإن اختلف معك في المذهب ،  
أو العرق ، أو الدين ، وذلك على أسس لا تكفير  
فيها ، ولا قتل ، إلّا إذا ابتدأ هو الحرب ، أو تعدّى

على مقدّساتك ومعتقداتك ، بل إنّ الإسلام رسم لنا نمطاً في التعاطي مع الأعداء<sup>(٥١)</sup> .

وأبرز نموذج لذلك هو عهد مالك الأشتر ، فقد حدّد أمير المؤمنين مجمل علاقتك بالناس من خلال العهد المبارك ، الذي هو برنامج أساسي للعلاقات الداخلية والخارجية ، والذي جاء فيه : « وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكوننّ عليهم سبعا ضارياً تعتنم أكلهم ، فإنّهم صنفان : إمّا أخ لك في الدين ، وإمّا نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنّك فوقهم ، ووالي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من وّلاك ... »<sup>(٥٢)</sup> .

والزيارة بهذه السعة المليونية تُعتبر موسماً للانفتاح على حضارات ولغات وثقافات العالم ؛ وذلك يجعلنا نكتسب خبرة عالية في التعامل مع الآخر حتّى مع اختلافنا معه في اللون ، أو القومية ، أو الثقافة ، أو البلد ، أو المذهب ، أو الدين .

## ٩- إلغاء الطبقية والتعالي والتكبر : تُعدّ

الطبقية بين أفراد المجتمع مرضاً ينسف المجتمعات ؛ ممّا يُنتج التعالي والتكبر واستبعاد الآخر بسبب السلطة أو المال أو الجاه ، فيحتاج الإنسان إلى ما يكسر جموح النفس ، ويضعف هذه الصفات ، ولعلّ أهمّ عامل لذلك هو التعاطي العملي والتعايش الميداني مع أفراد المجتمع ، وموسم الأربعين إنّما هو درس عملي لإلغاء التكبر والتعالي ، خصوصاً ما يمارسه أصحاب المواقب من إلغاء الذات والتواضع ، وتقديم الخدمات بتفانٍ لكلّ الناس ، فترى الكبير يخدم الصغير ، والغني يخدم الفقير ، كما أشرنا إلى ذلك في نقطتي التواضع والإيثار .

## ١٠- الشعور بالمسؤولية : إنّ من أبرز

مقومات صناعة الإنسان هو تحمّل المسؤوليات ، وكلّما كانت المسؤوليات أكبر كانت الصناعة أقوى ؛ لأنّ الابتلاء مدرسة لصناعة العظماء .

إنّ أماننا مسؤولية عظمية تُسأل عنها يوم القيامة ، وهي نعيم آل البيت ﷺ الذي يجب علينا أداء حقّه ، وإبراز الصورة الحقيقية لما هم عليه من أخلاق وقيم ومعارف ، ففي رواية المحاسن عن أبي

وإدارية عالية .

إذن ؛ فهي فرصة لبيان الإسلام المحمّدي العلوي الناصع ، من خلال عكس الصورة الحقيقية للمذهب ، لا كما ينقل البعض عن تخالف الإسلام والمسلمين من خلال عكس صور لأناس يدعون انتحالهم للإسلام ، مع أنّه بريء منهم ، كبعض الحركات السلفية والوهابية ، وبعض الدول المتخلفة دينياً وقيماً ، والمتحللة أخلاقياً وتربوياً .

### المحور الثامن : الإصلاح العسكري

إنّ المؤسّسة العسكرية لا تقاس بقوة تسليحها فقط ، وإنّما الأهم فيها هو وجود الموارد البشرية ، خصوصاً الموارد البشرية من الشباب الذين لهم استعداد عالٍ للتضحية والفداء والإباء .

وزيارة الأربعين عامل مهم في بناء الشاب المهدوي العسكري المقاوم والمضحي ، ولعلّ تجربة الحشد الشعبي من أكبر الشواهد على ذلك ، فإنّ عامل بناء هذه الشخصيات الشابة والمضحية التي تتحدّى الصعاب ، وتواجه أشرس الأعداء مع قلة العدة والعدد ، هو حضور شخصية الحسين عليه السلام بين

خالد الكابلي قال : « دخلتُ على أبي جعفر عليه السلام ، فدعا بالغداء ، فأكلتُ معه طعاماً ما أكلتُ قط طعاماً أنظف منه ، ولا أطيب منه ، فلمّا فرغنا من الطعام قال : يا أبا خالد ، كيف رأيت طعامنا ؟ قلت : جعلتُ فداك ! ما رأيت أنظف منه قط ، ولا أطيب ، ولكنّي ذكرتُ الآية التي في كتاب الله ﴿ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ، فقال أبو جعفر عليه السلام : لا ، إنّما تُسألون عمّا أنتم عليه من الحقّ » (٥٣) .

وفي المحاسن أيضاً ، عن أبي حمزة قال : « كُنّا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة ، فدعا بطعامٍ ما لنا عهد بمثله لذاذةً وطيباً ، حتّى تملّينا ، وأتينا بتمرٍ يُنظر فيه إلى وجوهنا من صفائه وحُسنه ، فقال رجلٌ : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ، عن هذا النعيم الذي نُعمتم عند ابن رسول الله صلى الله عليه وآله . فقال أبو عبد الله عليه السلام : الله أكرم وأجلّ من أن يُطعمكم طعاماً فيُسوّغكموه ، ثمّ يسألكم عنه ، ولكنّه أنعم عليكم بمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله » (٥٤) .

فهذه الزيارة تدعونا إلى تحمّل المسؤولية الدينية في إيصال رسالة عامّة لكلّ العالم ، بأننا مجتمع يمتلك صفات ومقوّمات حضارية ، واجتماعية ، وتربوية ،

## المحور التاسع : الإصلاح الإعلامي

من المعروف لدى القوى السياسية أو غيرها استعراض جماهيرها من خلال مظاهرات، أو تجمّعات، أو احتفالات، أو مناورات، أو غيرها؛ وذلك لإيصال رسالة إلى الآخر بأنّ لنا جماهير، وأننا أقوياء، وذلك من باب ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(٥٥)</sup>.

والمؤمنون لا بدّ لهم من ذلك التجمّع أيضاً، وأنّ ما يحصل من تجمّع مليوني ليس له نظير، بشكل عفوي، وبتنظيم ذاتي، وتمويل شخصي، هو من أعظم صور الاستعراض الإعلامي للجماهير المؤمن، فالشعيرة الأربعينية ليست عبادة فردية فحسب، بل أصبحت عبادة ذات طابع جماعي كشعائر الحجّ، وصلاة الجمعة، وهذا يمنحها أهميّة كبرى، وثراءً معنوياً، وصدىً إعلامياً، يُوصل رسالة واضحة للجميع بأنّنا حسينيون، وممّهدون، ومؤمنون، وأقوياء، ومُنظّمون، ومُتكافلون، ومُصلحون... وذلك إذا عكسنا بالخصوص الصورة التي أراد لنا آل البيت ﷺ أن نعكسها للإنسانية،

ظهرانيها، وتبرز هذه الشخصية في مواسم، منها: موسم الزيارة، فتكون الشخصية الحسينية صانعة لشخصية مقاومة ومجاهدة.

فما سطره الأبطال في ساحات القتال من تضحيات لم يكن وليد اللحظة، بل هو صناعة حسينية لمستقبل مهدي؛ لذا كانت شعاراتهم في المعركة هي شعارات الحسين، والعباس، والأكبر، و... وتحرّكاتهم وتطلّعاتهم تطلّعات مهدوية ثائرة تمهّد لعصر الظهور، فالتضحية بالنفس والمال والراحة لأجل الغير ولأجل المبدأ والدين والمقدّسات، إنّما هي دروس تعلّمناها من مدرسة الحسين ﷺ وشعائره، وارتبطت بالموعود، ومستقبل العالم الذي يقوده الإمام المهدي ﷺ.

فهناك جيش عالمي قد تمّ إعداده سابقاً، وخاض التجارب في عدّة دول، ونجح نجاحات باهرة، قد يكون هو نواة لجيش المهدي المنتظر ﷺ، وزيارة الأربعين تُعدّ رافداً مهمّاً لهذا الجيش القادم الذي يقوده صاحب الأمر نحو تحقيق العدل والقسط والسلام.

## المحور العاشر: المحور التكافلي

من العناصر المهمة في الشخصية الممهّدة للظهور وجود روح التكافل والإيثار في تلك الشخصية، ومن أهم سبل تحقيق هذا البناء هو التدرب على التكافل، ومساعدة الآخرين، وإيثار راحة الآخرين على راحة النفس، حتّى مع التعب والخاصة، والمشي في زيارة الأربعين هو موسم تكافلي عظيم؛ حيث إنّ الخدمات تُقدّم مجاناً بلا منّة ولا ضجر، بل بفرحة وبهجة، ولعلّ التكافل الذي يقدّمه أصحاب المواكب من أعظم صور التكافل والخدمة، وهذا واضح بالوجدان لكلّ من مشى للزيارة، فإنّه يلاحظ روح الإيثار والمساعدة بين الزائرين، وعطف الكبير على الصغير، وتوقير الصغير للكبير، ومساعدة الرجل للمرأة والعكس، وهكذا.

وللتكافل والإيثار صور، منها: التكافل والإيثار بالطعام، ولو بقيت جائعاً، التكافل والإيثار بالمبيت، ولو بقيت سهراً، التكافل والإيثار بالفراش والغطاء، التكافل والإيثار من خلال إعطاء مكانك

وبيّن أنّ الدين الإسلامي هو الخاتم، وأنّ المهدي هو المُخلص، وأنّه لا نجاة إلّا به؛ وبذلك يمكن أن نحقق جملة من المنجزات، وهي كالآتي:

١- تحقيق منجز عددي، أي: أنّ جماهيرنا مليونية، تزداد كلّ عام، بحيث لا يسع المكان الجمهور.

٢- تحقيق منجز نوعي، أي: أنّ جماهيرنا مؤمنة وقوية ومخلصة ومطبعة لله تعالى ولرسوله وآله عليه السلام.

٣- تحقيق منجز دولي، أي: أنّ زيارتنا دولية، وليست إقليمية أو قطرية؛ إذ يأتيها الناس من كلّ فجٍّ عميق.

٤- تحقيق منجز حضاري، أي: أنّنا مُنظّمون، مُسجّمون، لا يتعدّى بعضنا على بعض.

٥- تحقيق منجز تعارفي، بين لغات مختلفة، وثقافات متعددة، وقوميات متنوّعة؛ لتبادل الخبرات، والاطلاع على الهموم والمشاكل، ومعالجة الأوضاع، والشعور بالآخر.



لغيرك والبقاء واقفاً، التكافل والإيثار بتقديم راحة الآخرين على راحة النفس .

وغيرها من الصور والمشاهد الرائعة التي تتجلى في زيارة الأربعين .

### المحور الحادي عشر: البناء السياسي

زيارة الحسين عليه السلام موسم مهم لاستذكار مبادئ ثورته، ومنها: المبدأ السياسي، وهو البراءة من الظالمين، والثورة عليهم، وخلق إرادة سياسية صادقة لدى المؤمن للتغيير، والخروج على الظالمين، والاستعداد لذلك تحت قيادة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ كي يُعزَّز الأولياء ويذلَّ الأعداء، ويملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، كما أنَّها رفضُ للاتجاه السياسي المستبد، والملبَّس بلبوس الدين، ودعوى النيابة عن المسلمين، وكذلك رفضُ للسياسة الداعية إلى الخضوع والتذلل للقوى العالمية المستبدة، تحت ذريعة سياسة الأمر الواقع ومداهنة الأعداء، مما يُضيِّع معالم الدين والعباد والبلاد .

فاستذكر شعارات الحسين في الثورة يُعتبر حافزاً كبيراً للاستعداد والتمهيد السياسي للإمام الحجة، من خلال نشر الأفكار الدالة على أنَّ الإمام هو المُخلَّص السياسي من ظلم الدول الجائرة، كما في خطابه عليه السلام: « أئنها الناس، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَنْ رأى سُلطاناً جائراً، مُستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مُخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيَّر عليه بفعلٍ ولا قولٍ، كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله » <sup>(٥٦)</sup> .

وبذلك توجد إرادة سياسية لدى الأمة المؤمنة، تحفّز المؤمن على الالتحاق بالشخصية المنقذة، والبراءة من الأمة الظالمة والقاتلة، والراضية بذلك، كما ورد في الزيارة: « لعن أمة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن الله أمة خذلتك، ولعن الله أمة خدعتك » <sup>(٥٧)</sup> .

خصوصاً إذا كانت الزيارة مقترنة ببعض النصوص التي تُشير إلى نصره آل البيت عليهم السلام، وخاتمهم الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، كما ورد في الزيارة القائلة: « اللهم، أنت



القارس ، أو الحر الشديد ، أو الخوف من الظالم كما في عهد النظام المقبور - لهو مركز تدريبي عام وشامل لتحمل أنواع الصعاب والمحن ، والثبات على المبدأ الذي رسمه آل البيت عليهم السلام ، فالزيارة تمثل مركزاً لتدريب المؤمن ؛ استعداداً وإعداداً للإصلاح ، والتوجه لعصر الظهور ، فيدخل ذلك في الإعداد للمهدي ، والنهوض معه في ثورته العالمية ، فلا يتفاجأ إذا ما ابتلي بصعوبة أو شدة ، بل يواجهها بعزم حسيني ، فهذه الصعوبات والزلازل والمحن التي يمر بها المؤمن ، ما هي إلا تقوية لنفسه ، وتمرين له على مواجهة العدو ، فالزيارة الأربعينية ورشة عمل مكثفة لصناعة شخصية قوية ومدربة .

### النتيجة

إن زيارة الأربعين فيها عظيم البركات على كل المستويات المادية والمعنوية ، ومن أعظم البركات أهمية لهذه الزيارة المليونية هو الإعداد العملي للإصلاح على كل مستوياته ، ومحاربة الفساد والمفسدين تطبيقاً لمقولة الإمام الحسين عليه السلام « إنما خرجت لطلب الإصلاح ... » ، فحري بنا أن

مننت عليّ بزيارة مولاي وولايته ومعرفته ، فاجعلني ممن تنصره وتتصر به ، ومُن عليّ بنصري لدينك في الدنيا والآخرة » <sup>(٥٨)</sup> ، وبالأخص الاستعداد للنصرة الوارد في زيارة عاشوراء : « فأسأل الله الذي أكرم مقامك أن يكرمني بك ، ويرزقني طلب ثارك مع إمام منصور من آل محمد » <sup>(٥٩)</sup> .

فزيارة الأربعين كفيلة بهكذا بناء سياسي للمجتمع المهدي ، الذي يأبى الظلم والظيم ، ويثور على الظالمين والمعتدين ، ولا يدهن المنحرفين والمستبدين وإن علوا وتغطرسوا .

### المحور الثاني عشر: الإصلاح التمريبي والتدريبي

الإنسان بطبعه يميل إلى الدعة والراحة ، وعدم الدخول في الصعاب ، فإذا مرّ بصعوبات ، فقد تؤدّي به إلى الضعف ، أو الانهيار ، أو ترك المبادئ ، أو التخلي عن بعضها ؛ لذا يحتاج إلى دورة تدريبية للتخلص من ذلك .

وموسم الزيارة مع طول المسافات وكثرة الصعوبات وشدة الابتلاءات - خصوصاً مع البرد

نجعل تلك الزيارة مناراً لنا في الإصلاح تنظيراً وتطبيقاً.

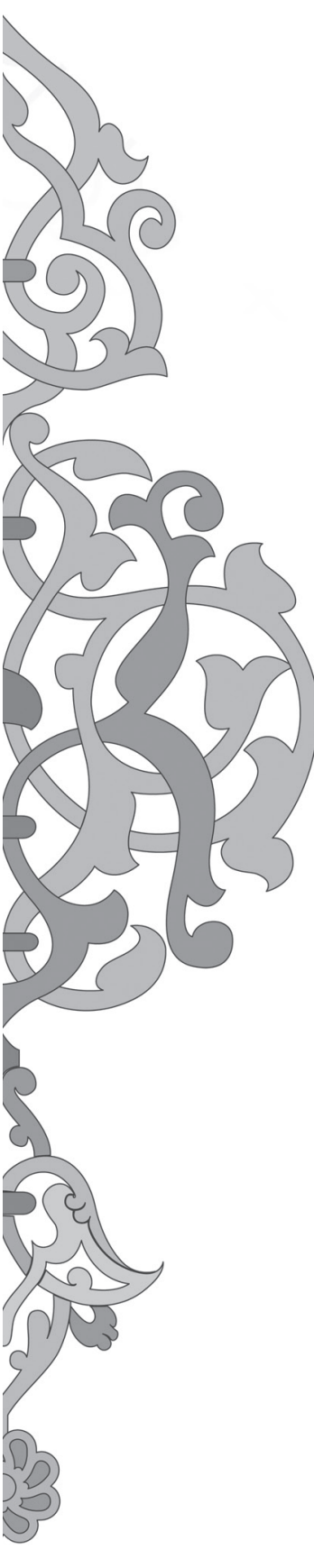
هذا ما أردنا ذكره من محاور ، وهناك محاور أخرى قد تظهر للمتتبع ، لم نذكرها دعفاً للإطالة .

## الهوامش :

- [١] النوري ، ميرزا حسين ، مستدرك الوسائل : ج ١٠ ، ص ٣١٨ .
- [٢] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار ، ج ٤٤ ، ص ٣٢٩ .
- [٣] المصدر السابق : ج ٤٥ ، ص ٨ .
- [٤] العنكبوت : آية ٤٥ .
- [٥] الكليني ، محمد بن يعقوب ، الكافي : ج ٣ ، ص ٢٦٥ .
- [٦] النوري ، حسين ، مستدرك الوسائل : ج ٣ ، ص ٣١ .
- [٧] ابن قولويه ، جعفر بن محمد ، كامل الزيارات : ص ١٣٢ .
- [٨] المصدر السابق .
- [٩] المصدر السابق .
- [١٠] الكهف : آية ٤٦ .
- [١١] الأنفال : آية ٢٨ .
- [١٢] أنظر: المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٦٩ ، ص ٥٧ وما بعدها ، حيث وازن بين إشكالية كون المال فتنة وكونه زينة .
- [١٣] الرشيد كشك ، مقال بعنوان : ( مفهوم التعبئة الاجتماعية ) ، نشر على الشبكة العنكبوتية : <http://aldamazin.ahlamontada.net/t.2topic> عجل الله [top](http://aldamazin.ahlamontada.net/t.2topic) تعالى فرجه الشريف
- [١٤] الكليني ، محمد بن يعقوب ، الكافي : ج ٢ ، ص ٦٣٥ .
- [١٥] المصدر السابق .
- [١٦] المصدر السابق : ص ٢٣٦ .
- [١٧] أنظر: آداب العشرة في الوسائل أو غيرها من الموسوعات الحديثية .
- [١٨] القصص : آية ٤ .
- [١٩] الحجرات : آية ٢٦ .
- [٢٠] البروجردي ، حسين ، جامع أحاديث الشيعة : ج ١٣ ، ص ٥٤٠ .
- [٢١] الحر العاملي ، محمد بن الحسن ، وسائل الشيعة : ج ١٦ ، ص ٢٠٣ .
- [٢٢] المصدر السابق : ص ٢٤٧ .
- [٢٣] البقرة : آية ١٥٥ .
- [٢٤] الكليني ، محمد بن يعقوب ، الكافي : ج ٢ ، ص ٨٩ .
- [٢٥] المصدر السابق .
- [٢٦] المصدر السابق : ص ٩٠ .
- [٢٧] الفرقان : آية ٦٣ .
- [٢٨] الحجر : آية ٨٨ .
- [٢٩] النوري ، حسين ، مستدرك الوسائل : ج ١١ ، ص ٢٩٨ .
- [٣٠] الطبرسي ، علي ، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار : ص ٢٠٠ .
- [٣١] الحشر : آية ٩ .
- [٣٢] البقرة : آية ٢٠٧ .
- [٣٣] الكليني ، محمد بن يعقوب ، الكافي : ج ٤ ، ص ١٨ .
- [٣٤] المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٧١ .
- [٣٥] المصدر السابق : ج ٤ ، ص ٥٨٢ .
- [٣٦] المؤمنون : آية ٥ .
- [٣٧] الأحزاب : آية ٣٥ .
- [٣٨] الكليني ، محمد بن يعقوب ، الكافي : ج ٢ ، ص ٢٣٣ .
- [٣٩] الصدوق ، محمد بن علي ، مَنْ لا يحضره الفقيه : ج ٢ ، ص ٤٣٩ .

- [٤٠] وقد بيّنتُ ذلك في بحث مستقل . أنظر: مشتاق طالب ، مشي النساء إلى كربلاء (قراءة في الأدلة والنصوص الشرعية ) ، مجلّة الإصلاح الحسيني : العدد ٥ ، ص ٢٤٩ .
- [٤١] الحرّ العاملي ، محمد بن الحسن ، الوسائل : ج ١٤ ، ص ٤٤٢ .
- [٤٢] النوري ، حسين ، مستدرك الوسائل : ج ١٠ ، ص ٢٧٩ .
- [٤٣] المصدر السابق : ج ٤٥ ، ص ١٧٢ .
- [٤٤] ابن قولويه ، جعفر بن محمد ، كامل الزيارات : ص ١٢٣ .
- [٤٥] المجادلة : آية ٢٢ .
- [٤٦] آل عمران : آية ٢٨ .
- [٤٧] الكليني ، محمد بن يعقوب ، الكافي : ج ٢ ، ص ١٢٥ .
- [٤٨] المصدر السابق : ص ١٢٧ .
- [٤٩] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٦٦ ، ص ٢٣٦ .
- [٥٠] المصدر السابق : ج ٤ ، ص ٥٨٢ .
- [٥١] أنظر: بحث ( نمط التعاطي مع الأعداء ) ، مجلّة المنهج : العدد ٢ .
- [٥٢] نهج البلاغة : ج ٣ ، ص ٨٤ .
- [٥٣] البرقي ، أحمد بن محمد ، المحاسن : ج ٢ ، ص ٤٠٠ .
- [٥٤] المصدر السابق .
- [٥٥] الأنفال : آية ٦٠ .
- [٥٦] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار : ج ٧٨ ، ص ١٢٨ .
- [٥٧] ابن قولويه ، جعفر بن محمد ، كامل الزيارات : ص ٤٣ .
- [٥٨] المصدر السابق : ص ٤٥ .
- [٥٩] المصدر السابق .





# زِيَارَةُ الْأَمْرِعَيْنِ فِي مَبْزَانِ النَّهْوَضِ الْحَضَارِيِّ

❖ د. خالد عليوي العرداوي (\*)

---

(\*) مدير مركز الدراسات الاستراتيجية – جامعة كربلاء.





تثير الاحداث التي يجتمع فيها ملايين البشر في مكان واحد شهية صناع السياسات والمحللين الاستراتيجيين ، وتدفعهم الى طرح التساؤلات حول الدوافع والمضامين والدلالات التي تنطوي عليها ؛ لكونها تعكس قوة الأفكار والعواطف المحفزة للتلاقي بين الناس ، والتي يمكنها التطور - في مرحلة ما - الى شكل من أشكال الفعل الإنساني القادر على التغيير وإعادة التشكيل لكثير من البنى والأفكار والعلاقات الاجتماعية . وزيارة الأربعين في العراق تقدم أنموذجا مميزا لهكذا احداث ؛ بسبب حجمها وسعتها ودلالاتها . فهل يكون لها تأثير ما على نهضة العراق الحضارية ؟ ولماذا ؟ وهل هناك عقبات تقف في طريق وصولها الى ذروة التأثير المتوقع ؟ وكيف يمكن تجاوزها ؟

على مر العصور كانت قوة الأمم لا تقتصر فقط على ما تمتلكه حكوماتها من قدرات عسكرية واقتصادية ومساحة جغرافية وحجم سكاني ... وانما على ما يترافق مع هذه القدرات من مقومات ثقافية تبرز قيمها ، وانماط حياتها ، ومدى الاستعداد لمد الجسور الاجتماعية مع غيرها من الأمم ؛ لتكون بالمحصلة النهائية مؤهلة أن تصبح مثالا تصبو الى محاكاته الشعوب الأخرى . هذه الحقيقة التاريخية ازدادت تأكيدات وبراهينها مع التطور الكبير الذي وصلت اليه العلاقات الدولية في مطلع القرن الحادي والعشرين ، لذا وجدنا كاتب مهم كجوزيف ناي يقسم قوة الدولة الى قوة صلبة ( عسكرية + اقتصادية ) ، وقوة ناعمة ( ثقافة + سياسات محلية + سياسة خارجية ) ، ويرى ان القوة الشاملة للدولة هي : حصيلة المزج الواعي ،

والاستخدام السليم للقوتين معا في الوقت والزمان المناسبين ، فيعرف القوة الناعمة بأنها " القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلا من الارغام او دفع الأموال . وهي تنشأ من جاذبية ثقافة بلد ما ، ومثله السياسية ، وسياساته " ( ناي ، القوة الناعمة ، ص ١٢ ) . انطلاقا من هذا الادراك لمعنى القوة ، وبعيدا عن العاطفة غير الواعية ، هل تشكل زيارة الأربعين موردا من موارد قوة الدولة العراقية ومنطلقا لتأثيرها الدولي الإيجابي ؟

### سمات فريدة تثير الإعجاب

للزيارة سمات فريدة لا يمكن المرور عليها دون تأملها ، وتحليلها ، وإظهار اختلافها الكبير عن أي حدث آخر يمكن للشرق الأوسط الإسلامي الحاضر ان يشهده ، ومنها :

### حدث غريب بطريقة حدوثه

فعلى الرغم من التطور التكنولوجي الهائل في وسائل النقل الحديثة يصير المتعلقون بحب الحسين وأهل البيت (عليه السلام) - على اختلاف ثقافتهم ولغاتهم

وتوزيعهم الجغرافي - على القيام بها من خلال المشي سيرا على الاقدام من مناطق سكناهم او من لحظة نزولهم في المطارات العراقية وصولا الى كربلاء المقدسة ، استنادا الى روايات دينية عدة تحبذ هكذا عمل . وبصرف النظر عن قوة سند هذه الروايات الا ان من الواضح قوة تأثيرها في عقول وقلوب المؤمنين بها ، فيشكل هذا الحدث بطريقة أدائه فرصة عظيمة لثقافات ولغات عدة للتلاقي والتعارف فيما بينها على ارض العراق ، وللاختلاط بأهله على طول مسالك مرور الناس ، مما يعطي للعراقيين فرصة عظيمة لإظهار قوتهم القيمية والثقافية ومحورية دورهم في هكذا حدث مقدس لن تجد له مثيلا بعمقه في أي مكان آخر .

### -وحدة الهدف في الزيارة

فهذه الملايين الكثيرة من البشر مهما اختلفت امزجتها وثقافتها ولغاتها ومناطق سكنها تلتف حول هدف واضح هو الوصول الى كربلاء المقدسة من اجل اعلان حبها وولائها لأهل البيت (عليه السلام) والبراءة من أعدائهم من الماضين والحاضرين والمستقبليين ،

انطلاقاً من الشعور بأن هؤلاء الصفوة من البشر المقدسين يمثلون الحق والصواب في اقوالهم وافعالهم وسكوتهم ويشكلون صلة الوصل بين السماء وعالم البشر . واذا ادركنا سيرة هذه الصفوة وما مثلته من معارضة شرسة للحكام الظالمين ، وللانحرافات الدينية المتطرفة ، ولأوضاع البؤس والانكسار الإنساني في حياة البشر ، عندها ستبين عظمة الهدف الذي يلتف حوله الناس في كربلاء ، فهم لا يعلنون ثورة على الماضي الظالم للحسين (عليه السلام) وانصاره ، انما يعلنون ثورة وتمرد مستمر على واقعهم الظالم ، ورغبتهم في تغييره ؛ لبناء مستقبل عادل لا يكون فيه لأمثال يزيد وشمر وعمر بن سعد وشريح القاضي وعبيد الله بن زياد وجيش الشام وخوار أهل الكوفة مكان او دور يتحكمون فيه بمصائر الناس ، فينتهكون حقوقهم وحرياتهم المحترمة . ان عظمة الزيارة تلتف التفافاً جوهرياً حول عظمة هدفها ، وتساعد تأثيرها ينسجم انسجاماً تاماً مع تصاعد حالة الظلم في حياة الناس ، لذا لا غرابة ان تجد أصوات المشاركين فيها ترتفع بشعارات مثل : هيهات منا الذلة ، وكل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء ، وعزائنا دائم حتى ظهور القائم ،

انها رغبة الانسان في البحث عن العدل المفقود في حياته أينما كان ، وفي أي زمان ، واكاد اجزم انه لو عرفت هذا المعنى العميق للزيارة شعوب الأرض لوجدنا كربلاء قبلة يحج اليها الناس من كل الثقافات والأديان والاعراق معلنين تمردهم وثورتهم على أنظمتهم وحكوماتهم الظالمة .

- عفوية وتلقائية الناس في التعبير عن حبههم للحسين (عليه السلام) ، وبذلهم الجهد والوقت والمال لخدمة من يسمونهم زوار ابي عبد الله ، يزيد من قوة الحدث ، ويضفي عليه رونقا وجمالا مضافا ، فالجميع قادر على ان يمنح نفسه دورا فيه ، ابتداء من كنس الأرض وتديلك الزائرين وتقديم كوب الماء والشاي لهم وصولا الى إقامة الموائد المهيبة... لقد اثارت هذه العفوية اعجاب الجميع واذهلت عقولهم ، فزاد حبههم وتعلقهم بالزيارة ، وحفزهم على الاستمرار فيها سنة بعد أخرى ، بل تشجيعهم لغيرهم للقيام بمثل فعلهم ، فمن لا يريد ان يرى تلك الوجوه الباسمة الكريمة اللطيفة التي تعترض طريقه وترجوه من اجل تقبل خدماتها على اختلافها . انه الحب الإنساني المطلق الذي رفع حواجز اللغة والجغرافيا والثقافة والثروة والجاه ، وجعل الافراد

متقاربين بطريقة عجيبة ، لذا تجد في هذه المناسبة اختفاء شبه تام للنزاع والخصام بين الناس ، وتعاون غريب على تصفير الازمات والرجوع الى أصلهم الإنساني المشترك .

- غالبا ما تكون فرائض الإسلام محددة بفئة عمرية معينة كالصلاة ابتداء من سن السابعة او الحج لمن استطاع له سبيلا او الصيام وغيرها ، لكن ما يميز الاربعين هو عدم تحديد القيام بطقوسها بفئة عمرية خاصة ، لذا تجد الطفل الرضيع والعجوز الهرم والشاب حاضرا فيها ، فجميع الاعداد يمكنها المشاركة ، وهذا حول المناسبة الى كرنفال انساني هائل لا يمكن مقارنته بفريضة كفريضة الحج في مكة المكرمة او أي حدث آخر ، وقد أظهرت الخبرة الاجتماعية ان اقوى التجارب البشرية واعمقها تأثيرا هي تلك التي لا تتحدد بفئة عمرية ما ، انما يتسع فضاءها لجميع الناس .

### - تنوع الطقوس طقوس الاربعين

لقد ظهرت كثير من التحليلات التي تحاول سبر اغوار التعدد والتفنن في بعض الممارسات التي يقوم بها المشاركون في احياء مراسم الاربعين ، حاول

بعضها اتهام هذا الطرف الديني او ذاك بالتطرف والتشجيع على طقوس قد تكون غير مقبولة - من وجهة نظره - كظاهرة التطبير والتطيين والزحف والضرب بالعمود... لكن لم يتجرأ احد على إيقافها نهائيا مهما كان وزنه الديني او الحكومي ، والسبب في ذلك انه لا توجد طقوس محددة تحكم الزيارة ، فمعظم طقوسها تكون انعكاسا لثقافات الأمم والشعوب المختلفة ، وطالما ان الجميع يريد التعبير عن حبه للحسين (عليه السلام) ، والحب عاطفة إنسانية غير ثابتة الشكل ، اذن لا تستطيع جهة ما ان تفرض على البشر طريقة تعبيرهم عن حبهم لمن يرون فيه أنموذجا للثورة والتمرد على الظلم بجميع اشكاله . هذا التنوع في الطقوس جعل المشارك في الحدث أسيرا للوحة خلاصة من التعبير الإنساني عن الحب ، ما يميزها انها ليست لوحة موضوعة على جدار انما هي لوحة حية ترسمها وجوه مختلفة الاعداد والثقافات والمقامات الاجتماعية فيغدوا بوعي او لا وعي جزء من هذه اللوحة المتحركة وجزء من عناصر تكوينها .

- عجز السياسة عن التحكم بمسار الحدث ، زاد من قوته وعمقه وزخمه ، فقد حاولت حكومات شتى

الشيعة قبل سقوط نظام البعث في العراق عام ٢٠٠٣ ، فلم يحصل شيء وبقيت الانماط التقليدية حاکمة لسلوك وأفكار المجتمعات في هذه المنطقة ، ولكن ما ان تحرر شعب العراق من السلطات المقيدة لفعله والكابحة لمشاعره ، حتى تزلزلت منطقة الشرق الأوسط برمتها ، والبعض يحاول ان يلقي المسؤولية على أمريكا ؛ لأنها غزت العراق متناسيا أن مشروع أمريكا في العراق مني بالفشل وكسرت ارادتها فيه . والبعض الآخر ، يحمل إيران المسؤولية ؛ لكونها تبشر بمشروع ديني ، متناسيا ان إيران كانت تبشر بهذا المشروع منذ عام ١٩٧٩ ، وان شيعيتها الاجتماعية تعود الى مطلع القرن السادس عشر الميلادي ولم تظهر فجأة على المسرح . كذلك الحال مع من يتحدث عن دور الوهابية السعودية وغيرها . ان الحقيقة التي يريد طمسها الكثير او يحاول التجاوز عليها هي أن العراق هو القلب النابض ، والعقل المتحفز في الشرق الأوسط ، وشعبه فريد بقوة فعله عندما تكسر قيوده ، وما عطل العراق عن أخذ دوره الكبير الى الوقت الحاضر هو هزلة النظام الحاكم فيه بعد ٢٠٠٣/٤/٩ ، وغياب القيادة الواعية صاحبة القدرة

على طول التاريخ ان تزيل او تتحكم بمشاعر وافعال المشاركين في الزيارة ، ولكن النتيجة كانت فشلا ذريعا ، فقد قلنا أنفا ان الحدث له هدف فريد يعبر عن إرادة الانسان كمخلوق باحث عن حياة عادلة ، وغالبا ما كان الحكام والحكومات مصدرا للبؤس الإنساني المستمر ، لذا عجزت كل الحكومات عن فرض نفسها وايدولوجيتها في زيارة الحسين (عليه السلام) ، بل ومن الأخطاء الجسيمة التي ترتكبها هكذا حكومات هو اعتمادها على استراتيجيات مثقوبة قاصرة في التعامل مع الحدث ، اذ كان الاجدر بها ان تحلل مواقف الناس في كربلاء المقدسة ؛ لتعرف طبيعة مشاكلهم ورغباتهم وطموحاتهم . وفي الوقت الحاضر تجد انه على الرغم من تعدد القوى السياسية في العراق ، لكن لا تستطيع أي قوة ان تزعم انها تقود الميدان ، بل القائد الوحيد والفريد في الميدان هو الحسين (عليه السلام) برمزته ومبادئه ، والناس بإيمانهم ومشاعرهم .

### - قوة الفعل الاجتماعي العراقي

كان الشرق الأوسط ميدانا عريضا لحكومات بعضها شيعية خالصة وبعضها متسامحة مع الطقوس



على أخذ دولتها الى قيادة منطقتها . نعم ، ان قوة الفعل الاجتماعي في الزيارة الاربعينية أمر لا جدال فيه ، فالشعب العراقي - المحب لأهل البيت عليه السلام على الأقل - هو الحاضنة الطبيعية للزيارة ، ولكونها حاضنة خصبة ذات تدفق عاطفي فعال فقد حركت الشرق الأوسط بكامله ، وجعلت طرق البر والجو تمتلئ بالقاصدين الى كربلاء من قندهار وإسلام آباد وكشمير والهند او من نيجيريا وجنوب افريقيا ومصر والجزائر... ودول الخليج ، ناهيك عن أولئك القادمين من أوروبا وأمريكا وبقية العالم ، انه الشعب العراقي الذي منح الزيارة قوة زخمها ، فجذب الجميع اليها حتى أولئك الذين يدينون بأديان ومذاهب أخرى . هذا الشعب بقوته الكامنة يمكنه ان يفعل الاعاجيب لو وجدت له الظروف المناسبة ، كيف لا يكون كذلك ، وهو في عمق وجدانه الحضاري يعلم انه شعب الأرض التي تهفو اليها القلوب للتبرك بها ، وشعب الأرض التي ستحوي عاصمة الدنيا في آخر الزمان .

### عقبات تعترض الطريق

ان السمات الخاصة بزيارة الأربعين تجعلها قوة

ناعمة عراقية عظيمة التأثير والفاعلية ، وقد تركت بالفعل تأثيراتها الإيجابية على العلاقات الاجتماعية بين الشعب العراقي وبعض شعوب المنطقة والعالم ، ولكن توجد عقبات تحول دون بلوغ هذه القوة ذروة تأثيرها المطلوب منها هشاشة النظام الحاكم في العراق ، واستغراقه في صراعات بينية وعمودية تستهلك طاقته ، وتشوه منطلقاته ، لاسيما تلك الصراعات الممزقة لوحدة نسيجه الاجتماعي ، كذلك عجزه عن الإمساك ببوصلة قوته الحقيقية المنطلقة من قوة الداخل ، فالقوة الناعمة لا تقتصر على قوة الثقافة ، بل تشمل قوة السياسات المحلية ، والسياسة الخارجية ، وهذه الأخيرة تعكس قوة وصلاح نظام الحكم ، وهذا الامر لازال مفقودا في العراق ، بل وحتى في الميدان الثقافي بقيت قوة الزيارة مرتبطة بالثقافة الشعبية ذات العلاقة بالطبقات الدنيا من المجتمع العراقي مع غياب واضح للثقافة العليا المرتبطة بالطبقات العليا ( النخبة ) ؛ لكون الطبقات الاخيرة لا زالت مستنزفة لذاتها في الصراع او منسحبة من ميدان الفعل المؤثر . من جانب آخر ، تجد ان هكذا حدث يستقطب ما يعادل عدد سكان العراق ( تقريبا ثلاثين مليون ) الى مدينة



أعداء وهميين لهم من اجل اشغالهم عن المطالبة بحقوقهم وتغيير واقعهم الظالم ، فتجد في معاداة الشيعة وطقوسهم نافذة لإلقاء نفايات الماضي والحاضر عليهم ، وتحميلهم مسؤولية التقهقر الثقافي والحضاري ، واطهارهم بصورة العدو البربري الذي يجب الخشية منه والعمل على تحطيمه . فضلا على وجود أطراف خارجية مغذية لهذا الامر وتعمل على تأجيج نيرانه ؛ لتحقيق مصالحها الخاصة .

### الحاجة الى استراتيجية جديدة

حقيقة ، تشكل زيارة الأربعين بالنسبة للعراق مرتكزا مهما من مرتكزات النهوض الحضاري لهذا البلد للسمات المذكورة في أعلاه ، ولكن توظيف هذا المرتكز بشكل صحيح لمصلحة القوة الشاملة للعراق ، يتطلب وجود استراتيجية جديدة يكون اول مقوماتها اصلاح نظام الحكم ليكون مبادرا فاعلا وكفؤا ، وسينتج تلقائيا من وجود الحكم الصالح سياسات محلية وخارجية متزنة وفاعلة ، وثقافة يتشارك في صناعتها المجتمع بطبقاته الدنيا والعليا . ومن المفيد ان يكون النظام عاملا على ترسيخ وحدة نسيجه

صغيرة كمدينة كربلاء لا تتجاوز مساحتها الكلية ٢٠١ % من مساحة العراق او ما لا يزيد عن ٥٢٠٠٠ كم ٢ ، المساحة الحضرية منها تكاد تكون نصفها فقط ، يتطلب وجود بنية تحتية متكاملة من الطرق والجسور والخدمات الفندقية والسياحية ؛ لأن الحدث ليس مجرد طقس ديني ، بل هو مورد استثماري ممتاز يمكن ان يتفوق في عائداته على الدخل السنوي للنفط العراقي ، ولكن مع الأسف ، يبدو ان رؤية صانع القرار العراقي في بغداد وكربلاء وبقيّة المحافظات ذات العلاقة بالموضوع قاصرة عن ادراك ذلك ، لذا تجد ان البنية التحتية المطلوبة لإدامة زخم الزيارة وتوسيعها وتطوير فعاليتها تكاد تكون شبه معدومة ، ولولا الخدمة التلقائية المقدمة من الشعب العراقي ، لانكشفت عورات حكومته بطريقة مخجلة . كذلك من العقبات الأخرى المؤثرة ، هي وجود الإرهاب والفكر المتطرف المحرك له لدى بعض الحكومات والجهات السياسية والدينية والاجتماعية داخل منطقة الشرق الأوسط ، ممن تجد نفسها محاصرة بتطور الزمان والمكان ، وعاجزة عن التكيف والمنافسة ، فتحاول التعويض عن ذلك بتشتيت انتباه الناس ، واصطناع

الاجتماعي ، ملتفا حول هويته الوطنية الجامعة لكل الهويات الفرعية ، ومتحررا من سطوة الاملاءات والنفوذ الخارجي . كما تستلزم هذه الاستراتيجية تأهيل كامل البنية التحتية للعراق لتكون التدفقات المالية الناجمة عن السياحة الدينية - ومنها زيارة الأربعين - هي مصدر من المصادر الرئيسة لسلة العراق المالية ، وعد هذه المهمة من الأولويات الاستراتيجية في بلد يشعر قاداته ان موارده النفطية غير كافية لحماية أمنه الاقتصادي ، وان تكون السياسات العامة للدولة بهذا الصدد واضحة ومفهومة وذات إطار زمني محدد ، على

ان تشرف على تنفيذها إدارات مقتدرة عالية المهارة ، ومكملة لبعضها البعض . ان وجود الاستراتيجية المناسبة لتوظيف زيارة الأربعين هي جزء من الاستراتيجية الشاملة لإدارة العراق ووضعه على مساره الصحيح نحو النهوض الحضاري الحقيقي ، وبدونها ستكون النتائج غامضة مهما كانت الإجراءات التكتيكية ناجحة .

# الدِّراسَاتُ الْفِكْرِيَّةُ

❖ مع ابن خلدون في قراءة النهضة الحسينية

❖ دور الأمويين في تصفية المعارضة الشيعية

❖ عالمية السنة النبوية ومشكلة مستجدات العصر وطرق معالجتها

❖ نقد المنهج الفصدي في تفسير القرآن الكريم





مَعَ ابْنِ خَلْدُونِ  
فِي قِرَاءَتِهِ لِلنَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ  
- عَرْضٌ وَنَقْدٌ -

❖ أ. زكي الميلاد (\*)

---

(\*) باحث ومفكر إسلامي.





في الفصل الثلاثين من كتاب المقدمة ،  
وعند حديثه عن مسألة ولاية العهد ، تطرق المؤرخ  
الشهير عبدالرحمن بن خلدون ( ٧٣٢ - ٨٠٨ هـ /  
١٣٣٢ - ١٤٠٦ هـ ) وبشكل مقتضب لحادثة مقتل  
الإمام الحسين عليه السلام مكوّنًا له في هذا الشأن نظرية  
أقامها على ركنين هما : الأهلية والشوكة ، رابطًا  
الأهلية بالفضائل الفردية ، ورابطًا الشوكة بالعصبية  
الاجتماعية ، جامعًا بين التحليل الديني والتحليل  
الاجتماعي ، مُصَوِّبًا الحسين من جهة الأهلية ،  
وَمُخَطِّئًا له من جهة الشوكة .

وحسب تحليله الاجتماعي ، وجد ابن خلدون  
أن العصبية الاجتماعية قد تغيّرت صورتها ، وعادت  
إلى الظهور بعد فترة من الضمور والانكماش ، مميّزًا  
في هذا المورد بين نوعين من العصبيات ، مطلقًا

على النوع الأول تسمية العصبية الجاهلية التي  
ذهبت مع أول ظهور الإسلام ، لما شغل الناس من  
الذهول بالخوارق وأمر الوحي ، والنوع الثاني مطلقًا  
عليه تسمية العصبية الطبيعية التي بقيت مع ظهور  
الإسلام ، وانتفع بها في إقامة الدين وجهاد  
المشركين .

وبتأثير هذا التحول الديني والاجتماعي ، رأى  
ابن خلدون أن العصبية قد عادت كما كانت ولمن  
كانت من قبل ، شارحًا ذلك بقوله : « وأما الشوكة  
فغلط يرحمه الله فيها ؛ لأن عصبية مضر كانت في  
قريش وعصبية قريش في عبد مناف ، وعصبية عبد  
مناف إنما كانت في بني أمية ، تعرف ذلك لهم قريش  
وسائر الناس ، ولا ينكرونه وإنما نسي ذلك أول  
الإسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق ، وأمر

يزيد وإن كان فاسقاً لما ينشأ عنه من الهرج والدماء ، فأقصرُوا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ، لكنهم لم ينكروا عليه ، ولا أثّموه ، ونص كلامه : « وأما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم ، فرأوا أن الخروج على يزيد وإن كان فاسقاً لا يجوز لما ينشأ عنه من الهرج والدماء فأقصرُوا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ، ولا أنكروا عليه ، ولا أثّموه ، لأنه مجتهد وهو أسوة المجتهدين »<sup>(٣)</sup> .

ولضبط رأيه حول موقف الصحابة الذين استند إليهم في تغليب موقف الحسين ، رأى ابن خلدون من جهة عدم تغليب موقف هؤلاء الصحابة لأنهم خالفوا الحسين وقعدوا عن نصرته ، ومن جهة أخرى عدم تصويب قتل الحسين .

في الجهة الأولى ، ارتكز ابن خلدون على أمرين في عدم تغليب موقف الصحابة ، الأول يتصل بالصحابة الذين لم يروا الخروج على يزيد ، والثاني يتصل بالحسين الذي لم ينكر على هؤلاء الصحابة قعودهم عن نصرته ، واستشهد بهم في تأكيد حقه وفضله وهو يقاتل بكر بلاء ، ونص كلامه : « ولا

الوحي وتردد الملائكة لنصرة المسلمين ، فأغفلوا أمور عوائدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعها ونسيت ، ولم يبقَ إلا العصبية الطبيعية في الحماية والدفاع ينتفع بها في إقامة الدين وجهاد المشركين ، والدين فيها محكم والعادة معزولة ، حتى إذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد ؛ فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت ، وأصبحت مضر أطوع لبني أمية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل »<sup>(١)</sup> .

وبعد أن غلط ابن خلدون الحسين في أمر الشوكة ، عاد مستدرجاً واضعاً هذا الغلط في إطار أمر دنيوي لا يضر الغلط فيه ، ومصوباً الحسين من ناحية الحكم الشرعي معتبراً أنه لم يغلط فيه لأنه منوط بظنه ، وحسب قوله : « فقد تبين لك غلط الحسين ؛ إلا أنه في أمر دنيوي لا يضره الغلط فيه ، وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لأنه منوط بظنه ، وكان ظنه القدرة على ذلك »<sup>(٢)</sup> .

وتأكيداً لرأيه في تغليب موقف الحسين ، حاول ابن خلدون أن يمايز بين موقفه ﷺ وموقف غيره من الصحابة الذين رأوا عدم جواز الخروج على

الخروج عليه فأفعاله عندهم صحيحة ، واعلم أنه إنما ينفذ من أعمال الفاسق ما كان مشروعاً . وقتال البغاة عندهم من شرطه أن يكون مع الإمام العادل ، وهو مفقود في مسألتنا ، فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد ، بل هي من فعلاته المؤكدة لفسقه ، والحسين فيها شهيد مثناب ، وهو على حق واجتهاد ، والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق أيضاً واجتهاد»<sup>(٥)</sup> .

وتتممة لموقفه غلط ابن خلدون وبصورة باردة جداً ، موقف القاضي الأندلسي أبي بكر بن العربي ( ٤٦٨ - ٥٤٣هـ ) صاحب كتاب ( العواصم من القواصم ) الذي أثار فيه أشنع وأفدح وأقبح موقف سجّله تاريخ الكتابة حول الحسين ، حين صوّر أن الحسين قتل بشرع جدّه ، الموقف الذي علّق عليه الباحث الموريتاني الدكتور محمد بن المختار الشنقيطي قائلاً : « لا نعلم من علماء أهل السنة من سبق ابن العربي إليه أو لحقه فيه »<sup>(٦)</sup> .

لكنه الكلام الذي وجد فيه ابن خلدون مجرّد غلط حصل نتيجة غفلة عن اشتراط الإمام العادل ، ونص كلامه : « وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي

يذهب بك الغلط أن تقول بتأثير هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصره ؛ فإنهم أكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه ، وكان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلاء على فضله وحقه ، ويقول : سلوا جابر بن عبد الله ، وأبا سعيد الخدري ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعيد ، وزيد بن أرقم وأمّالهم ، ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرّض لذلك ، لعلمه أنه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن اجتهاد منه »<sup>(٤)</sup> .

في الجهة الثانية ، يرى ابن خلدون أن تصويب موقف الصحابة لا يعني تصويب مقتل الحسين ، كما لا يعني في نظره تصويب أفعال يزيد الذي يراه فاسقاً فلا يجوز معه قتال الحسين ، والحسين عنده في هذا القتال كان شهيداً مثناباً ، ونص كلامه : « وكذلك لا يذهب بك الغلط أن تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وإن كان هو على اجتهاد ... ، واعلم أن الأمر ليس كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وإن كان خلافه عن اجتهادهم ؛ وإنما انفرد بقتاله يزيد وأصحابه . ولا تقولن : إن يزيد وإن كان فاسقاً ولم يُجز هؤلاء

المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه أن الحسين قتل بشرع جدّه ؛ وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل ؛ ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء ؟! <sup>(٧)</sup> .

هذه هي تقريباً صورة قول ابن خلدون أو نظريته في تفسير حادثة مقتل الإمام الحسين عليه السلام .

### نظرية ابن خلدون .. مواقف نقدية

حصلت مفارقة غريبة عند ابن خلدون أثارت دهشة من تنبّه لها ، ظهرت ما بين النص المدوّن في كتاب المقدمة والنص المدوّن في كتاب التاريخ ، فنص المقدمة وصل إلينا كما دوّنه ابن خلدون بخلاف النص الثاني الذي وصلنا مبتوراً ليس من أحد وإنما من ابن خلدون نفسه ، فقد بتر كلامه ولم يكمل سرده التاريخي لحادثة مقتل الإمام الحسين عليه السلام مُدَوِّناً مقدار صفحة واحدة ، ثم ترك فراغاً على هيئة صفحات بيضاء عرفت في الطبقات القديمة ، وطويت لاحقاً في الطبقات الحديثة .

والتفسير الوارد في هذا الشأن الذي وصل

إلينا ، هو ما ذكره ابن حجر العسقلاني ( ٧٧٣ - ٨٥٢هـ / ١٣٧٥ - ١٤٤٩م ) حين وثّق لقضاة مصر ما بين القرن الأول إلى منتصف القرن التاسع الهجري في كتابه ( رفع الإصر عن قضاة مصر ) ، متحدّثاً فيه عن سيرة ابن خلدون الذي تولى في مصر على فترات منصب قاضي قضاة المالكية ، وقبل أن يختم سيرته ذكر العسقلاني حادثة على لسان شيخه أبي الحسن بن أبي بكر ، قائلاً : « وقد كان شيخنا الحافظ أبو الحسن بن أبي بكر يبالغ في الغض منه - يقصد ابن خلدون - ، فلما سألته عن سبب ذلك ، ذكر لي أنه بلغه أنه ذكر الحسين بن علي عليه السلام في تاريخه فقال : قتل بسيف جده ، ولما نطق شيخنا بهذه اللفظة ، أردفها بلعن ابن خلدون وسبّه وهو يكي . قلت : ولم توجد هذه الكلمة في التاريخ الموجود الآن ، وكان ذكرها في النسخة التي رجع عنها <sup>(٨)</sup> .

وبعد أن ذكر العسقلاني هذه الحادثة ، عبّ عليها مباشرة بالإشارة إلى حادثة أخرى نسبها لصاحبه الشيخ تقي الدين المقريزي ( ٧٦٦ - ٨٤٥هـ ) ، يفهم منها تأكيد من العسقلاني لرواية

شيخه أبي الحسن وموافقته عليها ، معتبراً أن ابن خلدون لديه موقف ليس من الحسين فحسب وإنما من آل علي ، ويرى فيه - بحسب عبارته - الانحراف عن آل علي .

ونص الحادثة كما رواها العسقلاني هي : « والعجب أن صاحبنا المقرئ كان يفرط في تعظيم ابن خلدون لكونه كان يجزم بصحة نسب بني عبيد ، الذين كانوا خلفاء بمصر ، وشهروا بالفاطميين ، إلى علي ويخالف غيره في ذلك ، ويدفع ما نقل عن الأئمة في الطعن في نسبهم ويقول : إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسي ، وكان صاحبنا ينتمي إلى الفاطميين ، فأحب ابن خلدون لكونه أثبت نسبته ، وغفل عن مراد ابن خلدون ، فإنه كان لانحرافه عن آل علي يثبت نسبة الفاطميين إليهم ، لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين ، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة ، وادّعى الألوهية كالحاكم ، وبعضهم في الغاية من التعصب لمذهب الرفض ، حتى قتل في زمانهم جمع من أهل السنة . وكانوا يصرحون بسب الصحابة في جوامعهم ومجامعهم ، فإذا كانوا بهذه المثابة وصح أنهم من آل

علي حقيقة ، التصق بآل علي العيب ، وكان ذلك من أسباب النفرة عنهم والله المستعان »<sup>(٩)</sup> .

تكمّن أهمية هذه الرواية أنها حصلت في وقت مبكر ، وجاءت على لسان العسقلاني الذي عاصر ابن خلدون وتلمذ عليه في القاهرة ، وكشفت هذه الرواية عن أن موقف ابن خلدون من حركة الإمام الحسين ترتب عليه احتجاج واعتراض حاد ، حصل في عصره ، وعلم به ، وأجبره على تبني تعديلات عليه ، الخطوة التي ما كان بإمكانه أن يقدم عليها لو لم تكن مصر من المحطات التي استوطنها في الشطر الأخير من حياته ، حتى أنه توفي ودفن فيها .

الأمر الذي يعني أن بعضاً من علماء الدين السُّنَّة وفي مقدمتهم المصريون هم أول من تنبّه لهذه القضية المحزنة والمثيرة للجدل ، ولم يصمتوا عليها ، أو يتغافلوا عنها ، بل كانوا في مقدمة المعترضين والرافضين ، وهو موقف يذكر لهم ، ويؤرخ في سيرتهم ، وسيرة تاريخ تطور الكتابة حول الحسين وحركته ونهضته ﷺ .

وأشار لهذه القضية من المعاصرين ، عالم



الاجتماع العراقي الدكتور علي الوردي ( ١٩١٣ - ١٩٩٥م ) الذي يعدُّ أحد أبرز الدارسين لابن خلدون ، فقد نال القسط الأوفى في الرسالة التي نال بها شهادة الدكتوراه من جامعة تكساس سنة ١٩٥٠م ، وبقي مولعاً به ، يحرص على اقتناء كل ما يظهر حوله من كتب ومقالات ، وحاول جمع المعلومات عنه من بطون المؤلفات العربية القديمة<sup>(١٠)</sup> .

وحين تطرق لرواية العسقلاني نقلاً عن الدكتور عبدالرحمن بدوي ( ١٩١٧ - ٢٠٠٢م ) التي وردت في كتابه الجمعي ( مؤلفات ابن خلدون ) ، عَقَّب الدكتور الوردي عليها معرفاً عن وجهة نظره النقدية والتقييمية قائلاً : « إن صَحَّت هذه الرواية ، فهي دليل على أن ابن خلدون كان له في أول أمره رأي في ثورة الحسين يشبه رأيه في جميع الثورات الفاشلة ، ولكنه تراجع عن هذا الرأي بعدئذٍ خوفاً من الناس ، فمحاها من مقدمته ، ووضع مكانه الرأي - المذكور - »<sup>(١١)</sup> .

وقد ثبت عند الوردي أن ابن خلدون قرأ كتاب ابن عربي ( العواصم من القواصم ) ، ويرى أنه تأثر به كثيراً ، ووجده ينحو منحى ابن عربي عند مناقشته

في المقدمة لتلك الفتن التي حدثت في صدر الإسلام ، وهي الفتن التي اعتنى بها ابن عربي وبحثها باهتمام كبير في كتابه المذكور .

وبشأن المفارقة التي حصلت في كتاب التاريخ ، فقد تحدث عنها الدكتور الوردي بقوله : « مما يلفت النظر أن ابن خلدون لم يذكر شيئاً عن ثورة الحسين في تاريخه العام ، بل ترك مكانها فارغاً ، والغريب أن الذين قرؤوا تاريخ ابن خلدون ، والذين اشتغلوا في طبعه ، لم يفتنوا إلى علة هذا الفراغ الأبيض في صفحات الكتاب »<sup>(١٢)</sup> .

وأمام هذه الملاحظة ، قدم الدكتور الوردي رأياً لا يجزم به شرحه قائلاً : « يخيّل لي أن ابن خلدون عندما أراد أن يكتب عن ثورة الحسين في تاريخه ، تملكته الحيرة وتوقف عن الكتابة ، فهو لا يدري أيكتب الرأي الذي يؤمن به في قرارة نفسه ، أم يكتب الرأي الذي يريده الناس منه ، والظاهر أنه خصص لحادثة الحسين صفحات من تاريخه ، وتركها بيضاء لكي يعود إليها فيملأها بعد أن يستقر في أمر الحسين على رأي معين ، ثم مرت به الأيام فنسى أمر تلك الصفحات البيضاء ، حيث بقيت على



حالتها إلى يومنا هذا»<sup>(١٣)</sup>.

مع ذلك رأى الدكتور الوردى أن ابن خلدون أسهب في الدفاع عن الحسين في مقدمته ، بخلاف الانطباع العام الذي تشكّل حوله في ساحة المسلمين الشيعة الذين صنّفوه في عداد أصحاب المواقف التي خطأت الإمام الحسين وغلّطت حركته وثورته .

ولعل أوضح من أشار لمثل هذا الانطباع ، الباحث الإيراني الدكتور حميد عنايت ( ١٩٣٢ - ١٩٨٢م ) الذي عدّ ابن خلدون الناقد الثاني لحركة الإمام الحسين بعد ابن عربي ، مع تفريق له ما بين النقاد ، معتبراً أن ابن عربي جاهد في تجريد ثورة الإمام الحسين من أي اعتبار ، في حين رأى أن مناقد ابن خلدون هي من نوع آخر ، مُدكِّراً بموقفه الذي يرى فيه حسب عبارته « أن الحسين قد أخطأ عندما خلط بين أحقيته واستطاعته »<sup>(١٤)</sup>.

ويتصل بهذا المنحى ما ذكره الباحث الإيراني الشيخ محمد صحتي سردرودي الذي اتّخذ من ابن خلدون مثلاً لما سمّاه التحريف التبريري عند حديثه

عن ( التحريف في السيرة الحسينية . . دراسة في المظاهر والأشكال ) ، معتبراً أن رواية ابن خلدون لهذا الحدث التاريخي قد طفحت بالتحريف ، وقتلت الحقيقة التاريخية ، ووقعت في اشتباهات وتناقضات عديدة<sup>(١٥)</sup>.

وهناك نقد مهم لابن خلدون ، تنبّهت إليه ولم يكن معروفاً ولا متداولاً في هذا الشأن ، وتكمن أهميته لأنه جاء من أحد أبرز رجالات الإصلاح الديني الحديث ، ونعني به الشيخ عبدالرحمن الكواكبي ( ١٢٧٠ - ١٣٢٠هـ / ١٨٥٤ - ١٩٠٢م ) ، الذي وجّه نقداً لاذعاً لابن خلدون عند حديثه عن الاستبداد والمجد ، مدافعاً عن المجد مهما ترتبت عليه من مخاطر تصل لطلب الموت كرامة ومجداً .

ومع أن الكواكبي لم يشر إلى اسم الإمام الحسين بالعنوان الخاص ، لكنه أشار إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام بالعنوان العام ، وأوضح مصداقاً لكلامه يجري على الإمام الحسين الذي قدم على الموت طلباً لحياة المجد ورفضاً لحياة الذل ، ونص كلامه : « وقد أشكل على بعض الباحثين أيّ الحُرصين أقوى ؟ حرص الحياة أم حرص المجد ، والحقيقة التي عوّل

عليها المتأخرون وميّزوا بها تخطيط ابن خلدون هي التفضيل ؛ وذلك المجد مُفضَّل على الحياة عند الملوك والقواد وظيفة ، وعند النجباء والأحرار حميَّة ، وحبِّ الحياة ممتاز على المجد عند الأسرَّاء والأذلاء طبيعة وعند الجبناء والنساء ضرورة ، وعلى هذه القاعدة يكون أئمة آل البيت (عليهم السلام) معذورين في إلقاءهم بأنفسهم في تلك المهالك لأنهم لما كانوا نجباء أحراراً فحميتهم جعلتهم يُفضَّلون الموت كراماً على حياة ذلٍّ مثل حياة ابن خلدون الذي خطأ أمجاد البشر في إقدامهم على الخطر إذا هدَّد مجدهم»<sup>(١٦)</sup> .

هذه بعض النماذج النقدية القديمة والحديثة التي تعرَّضت لرؤية ابن خلدون تجاه حركة الإمام الحسين وثورته .

### نظرية ابن خلدون .. ملاحظات ونقد

إلى جانب تلك المواقف النقدية ، هناك بعض الملاحظات الأخرى التي تكوَّنت عندي حول نظرية ابن خلدون ، وهذه الملاحظات هي :

**أولاً :** إن الرؤية التي قدَّمها ابن خلدون

ونسبها لنفسه في تفسير وتحليل حركة الإمام الحسين (عليه السلام) هي رؤية ناقصة أو هكذا يمكن وصفها ؛ لأنها لا تُحيط بأبعاد القضية ، ولا تفهمها من جوانبها كافة ، ولا تستوفي شروط الرؤية الناضجة أو الرؤية المكتملة .

والأقرب أن ابن خلدون لم يكن بصدد تكوين رؤية متكاملة أو مكتملة حول هذه القضية ، بل ولم يكن راغباً - على ما يبدو - في أن يُقدِّم مادَّةً تاريخية وافية لهذه القضية ، وفَضَّلَ لَ بترها بالصورة المنقوصة التي ظهرت عليها في تاريخه العام .

ويكفي معرفة أن المادة التي عرض لها الطبري في تاريخه في أكثر من ثلاثين صفحة من الصفحات المضغوطة في الطبعة التي جمعت تاريخه في مجلدين فقط ، والمادة التي عرض لها ابن الأثير في تاريخه الكامل في أكثر من ستين صفحة ، هذه المادة عرض لها ابن خلدون في تاريخه العام بما يعادل صفحة واحدة لا غير ، لسببٍ تكتم عليه ، ولم يُفصح عنه لا في مقدمته

ولا في تاريخه ، فاتحًا على نفسه باب التأويلات التي ذهبت مذاهب شتى .

وما دامت المادة التاريخية غير مكتملة ، فإن الرؤية المتوالة منها يصعب بطبيعة الحال أن تمثل رؤية مكتملة ، والقضية في جوهرها وحقيقتها لا تتحدد ولا تدور ما بين الأهلية والشوكة ، ولا تختزل في ظهور الفسق من يزيد ، ولا في دعوة أهل الكوفة للحسين أن يأتيهم فيقوموا بأمره ، وإنما القضية أوسع أفقًا من ذلك ، وأبعد مدى ، وهذا ما لم يتنبّه له ابن خلدون فظلمات رؤيته ناقصة ، ولا يمكن النظر لها إلا بهذه الصفة الناقصة أو غير الناضجة ولا المكتملة .

**ثانيًا :** يظهر أن ابن خلدون لم يبذل جهدًا جادًا في تكوين المعرفة بحركة الإمام الحسين ونهضته ، وما طرحه هو أقرب إلى الانطباع العام الذي يلامس ظاهر القضية ولا يتكشّف فيها على حقيقتها ، أو يتفطن لحكمتها ويقترب من جوهرها ، وأشار إلى ما هو متصورّ عنده ، ولم يُشر إلى ما هو متصورّ عند الحسين عليه السلام ، فهناك فارق

كبير بين ما ذهب إليه ابن خلدون فهمًا وانطباعًا ، وبين ما ذهب إليه الحسين حركة ونهضة .

والشاهد على هذا الأمر ، أن ابن خلدون لم يرجع إلى أقوال الحسين ونصوصه ، ولم يأت على ذكرها قط لا في مقدمته ولا في تاريخه العام ، وكأنه لا علم له بها ولا دارية ، وهي الأقوال والنصوص التي شرح فيها الإمام الحسين حقيقة حركته ونهضته ، وبدونها لا يتحقّق الفهم ، ولا يكتمل العلم .

ويأتي في مقدمة هذه الأقوال قول الحسين : « وأنّي لم أخرج أشّرَ رًا ولا بطّرَ رًا ولا مُفسِدًا ولا ظالمًا ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جَدّي ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جَدّي وأبي علي بن أبي طالب ، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين » <sup>(١٧)</sup> .

وليس هناك أبلغ من هذا القول ولا أفصح منه لمعرفة حقيقة حركة الحسين وجوهر نهضته ،

ولا شك أن هذا القول يقلب صورة الفهم والانطباع الذي كونه ابن خلدون ، يعارضه ولا يوافق ، يُخطئه ولا يُصوّبه ، يفارقه ولا يُؤالفه ، وكل فهم أو انطباع لا يرجع لهذا القول ولا يستند إليه لا يكون إلا فهمًا وانطباعًا ناقصًا أو خاطئًا ، ولن يكون بالتأكيد ناضجًا أو مكتملاً ، وما هذا إلا قول من قائمة أقوال ونصوص عدة وثقتها كتب السيرة والتاريخ والحديث .

**ثالثًا :** يبدو أن ابن خلدون كان مُتحرّجًا في إبداء وجهة نظره تجاه الحسين من جهة ، وتجاه يزيد من جهة أخرى ، تجاه الحسين فهو لا يريد أن يصطفّ إلى جانبه ويُصوب حركته ويُعرف عند الآخرين وفي وسطه بهذا الموقف ، كما أنه لا يريد أن يذمّ الحسين ويُضلل حركته ويُعرف بهذا الموقف كذلك ، فقد غلط حركته لكنه حصر غلطه في أمر دنيوي لا يضر الغلط فيه حسب قوله ، وفي الوقت نفسه امتدحه قائلاً عنه : ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته ، وعدّه شهيدًا مثابًا ، لكنه لم يسهب في الدفاع عنه كما قال الدكتور الوردي .

أما بشأن يزيد فقد ذمّه ابن خلدون من جهة فسقه فقط ، لكنه لا يرى جواز الخروج عليه ، متبنيًا ومتحصّنًا بموقف نفر من الصحابة ومن التابعين لهم الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ، شارحًا موقفهم بعدم جواز الخروج على يزيد وإن كان فاسقًا لما ينشأ عنه من الهرج والدماء ، كما أنه لا يريد أن يصطفّ إلى جانب يزيد ويُصوب فعلته في قتل الحسين .

والأظهر أن ابن خلدون كان مع الحسين في أهليّته لكنه ليس معه في شوكته ، ومع يزيد في شوكته وليس معه في أهليّته ، فما كان ابن خلدون يريد أن يصطفّ إلى جانب الحسين ويُصوب حركته ، ولا أن يصطفّ إلى جانب يزيد ويُصوب فعلته فهي عنده من فعالاته المؤكّدة لفسقه ، والحسين فيها شهيد مُثاب ، وهو على حق واجتهاد .

ولم يكتفِ ابن خلدون بهذا القدر من الكلام الذي يظهر فيه قربًا من الحسين ، فسرعان ما خفف منه مُعقّبًا عليه بقوله :

« والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق أيضًا واجتهاد » .

**رابعًا:** حاول ابن خلدون النظر لقضية الحسين من زاوية الغلط والاجتهاد ، مُتَّخِذًا من كلمة الغلط نموذجًا تفسيريًا ، وبيانا لحكمه التقويمي ، فهي الكلمة التي فضّلها وظل يُكرّرها ويرجع لها في سياق بيان حكمه التقويمي تجاه المواقف الحاصلة القولية والفعلية التي تباعدت بين أطراف القضية وتفارقت ، وكان قاصداً - وبعناية شديدة - اختيار هذه الكلمة ، ومفضّلاً لها لتكون كاشفة عن حقيقة موقفه في هذا الشأن .

وقد تتبعتُ استعمالات هذه الكلمة ، فوجدت أنها جاءت بوصفها حكمًا تقويميًا في خمس حالات ، مثلت جميع مفاصل القضية ، وبحسب تتابعها في الاستعمال هي :

**الحالة الأولى:** عند حديثه عن خروج الحسين على يزيد ، رأى ابن خلدون أن الحسين ظن في نفسه الأهلية والشوكة ، وقد غلطه من جهة الشوكة قائلاً : « وأما الشوكة فغلط - يرحمه

الله - فيها » .

**الحالة الثانية:** عند حديثه عن التفريق بين الأمر الديني والحكم الشرعي ، رأى ابن خلدون أن الحسين قد غلط في أمر دينوي ولم يغلط في الحكم الشرعي ، وحسب قوله : « فقد تبين لك غلط الحسين ، إلا أنه في أمر دينوي لا يضر الغلط فيه ، وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه » .

**الحالة الثالثة:** عند حديثه عن موقف نفر من الصحابة الذين لم يتابعوا الحسين في الخروج على يزيد ولا أنكروا عليه ، رأى ابن خلدون عدم جواز تأييم هؤلاء بناء على تغليطهم للحسين وحسب قوله : « ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتأييم هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصره » .

**الحالة الرابعة:** عند حديثه عن اجتهد الحسين في الخروج على يزيد ، فكونه اجتهدًا لا يعني - في نظر ابن خلدون - تصويب قتله ، وحسب قوله : « وكذلك لا يذهب بك الغلط أن



تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد ، وإن كان هو على اجتهاد .

#### الحالة الخامسة : عند حديثه عن موقف

القاضي أبي بكر بن العربي من خروج الحسين ، غلط ابن خلدون هذا الموقف قائلاً : « وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سَمَّاه بالعواصم والقواصم ما معناه : إن الحسين قُتل بشرع جَدِّه ، وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل . »

دَلَّت هذه الحالات الخمس على تعدُّ صورها ، أن قضية الحسين - في نظر ابن خلدون - إنما تدور في دائرة الغلط ، وتحدّد بهذا الحكم وتقيّد به تفسيراً وتقويةً ، وليس هناك ما هو أسهل من هذا الموقف ولا أبسط منه .

ومن ناحية الموازين العلمية والأخلاقية يُعدُّ هذا الموقف موقفًا خفيًا ومخفّفًا ، باعتبار أن الغلط أمر عادي ، يحصل من الإنسان عادة ، ويجري مجرى العادات اليومية ، ويألفه الناس في حياتهم العامة ، ولسان حالهم أن الغلط فعل

يصدر من جميع البشر في جميع الأمكنة وجميع الأزمنة وبين الملل والنحل كافة .

وحقيقة الحال أن قضية الحسين ليست كذلك على الإطلاق ، فهي لا تدور مدار الغلط والاجتهاد ، وإنما تدور فعلاً وحقيقة مدار الحق والباطل ، العدل والظلم ، العزة والذلة ، الحرية والعبودية ، وهذا ما كشفه الحسين في أقواله ونصوصه العظيمة والخالدة .

فمن جهة مدار الحق والباطل ، رُوي عن الحسين قوله : « ألا ترون أن الحق لا يعمل به ، وأن الباطل لا يُتناهى عنه ، لِيَزْغَبَ المؤمن في لقاء الله مُحِقًّا »<sup>(١٨)</sup> .

ومن جهة مدار العدل والظلم ، رُوي عنه قوله : « أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ قال : من رأى سلطاناً جائراً مستجلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يُغيّر ما عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله ، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة



الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حرام الله ، وحزّموا حلاله» (١٩) .

ومن جهة مدار العزة والذلة ، رُوي عنه قوله : « ألا وإن الدّعي ابن الدّعي قد ركّزَ بين اثنتين بين السّلمة والذّلة ، وهيهات منا الذّلة ، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حميّة ، ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكرام » (٢٠) .

ومن جهة مدار الحرية والعبودية ، رُوي عنه قوله : « لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقر إقرار العبيد » (٢١) ، ورُوي عنه قوله : « إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارًا في دنياكم » (٢٢) .

لا شك أن هذه الأقوال والنصوص تقلب صورة الموقف ، وتقدّم منظورًا لحركة الحسين ونهضته يتفارق كثيرًا ويتباعد عن منظور ابن خلدون ، ويكشف كيف أن ابن خلدون قدّم فهمًا وانطباعًا منقوصًا ومعكوسًا لا يُجاري الحق ولا

يطابق الحقيقة .

**خامسة ١ :** تقصّد ابن خلدون الإشارة إلى الصحابة لكي يميّز بين موقفهم وموقف الحسين ، في محاولة منه لإظهار أن الصحابة ما كانوا مع الحسين في موقفه من الخروج على يزيد ، وظلّ يُصور أن أكثر الصحابة كانوا مع يزيد ، فحين أشار لموقف هؤلاء مدافعًا عنهم ، رافضًا التقوّل بتأثيرهم لمخالفة الحسين وعودهم عن نصره ، عقّب قائلاً : « فإنهم أكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه » (٢٣) .

هذا الإيهام من ابن خلدون أقل ما يُقال عنه أنه ليس دقيقًا ولا علميًا ولا موضوعيًا ، ولا يخلو من التضليل المتعمّد أو غير المتعمّد ، ويُخفي ميلاً إن لم يكن تجاه يزيد فتجاه الحكم الأموي .

وحقيقة الحال أن الصحابة بهذا العنوان ، لا يمكن القول عنهم : إنهم كانوا مع يزيد حتى لو كان بعضهم معه ؛ لأن بعضًا آخر كان مع

هذه محاولة لدراسة وتحليل رؤية ابن خلدون تجاه حركة الحسين ونهضته ، ولعلّها الأولى حتى هذه اللحظة بهذا القدر من الاتساع الكمي ، فعند البحث لم أجد مادة مستقلة على صورة مقالة أو دراسة تناولت هذه القضية ، وما وجدته كان مجرد فقرات صغيرة على طريقة الفقرة التي خصّصها الدكتور علي الوردي في كتابه ( منطق ابن خلدون ) ، وجاءت بعنوان ( ابن خلدون والحسين ) .

وخلاصة القول أن ابن خلدون لم يكن علمياً ولا موضوعياً ولا عادلاً في موقفه تجاه حركة الحسين ونهضته .

الحسين قاتل واستشهد معه مثل : حبيب بن مظاهر الأسدي ، وأنس بن الحارث الكاهلي ، ومسلم بن عوسجة الأسدي وغيرهم ، وبعضاً آخر كان مع الحسين قبل المعركة وبعدها مثل : جابر بن عبدالله الأنصاري ، وسليمان بن صرد الخزاعي ، وعبدالله بن عفيف الأزدي وغيرهم ، إلى جانب آخرين ما كانوا مع يزيد قطعاً ، بعضهم في المدينة ، وبعضهم في مكة ، وبعضهم في أصقاع أخرى ، الأمر الذي يعني أن تعويم موقف الصحابة بالطريقة التي أشار إليها ابن خلدون لم يكن سليماً لا من الناحية العلمية ، ولا من الناحية الموضوعية ، ولا حتى من الناحية الأخلاقية .

## الهوامش :

- الصحابة ، جدة : مركز الذاكرة المعرفية ، ٢٠٠٧م ، ص ٢٦٥ .  
 [٧] عبدالرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٩ .  
 [٨] ابن حجر العسقلاني ، رفع الإصرار عن قضاة مصر ، تحقيق : حامد عبدالمجيد ، القاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٦١م ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ . نقلاً عن : عزيز العظمة ، ابن خلدون ، بيروت : رياض الريس ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٦٨ ، علماً أن عزيز العظمة نقل كامل ما ذكره العسقلاني من سيرة ابن

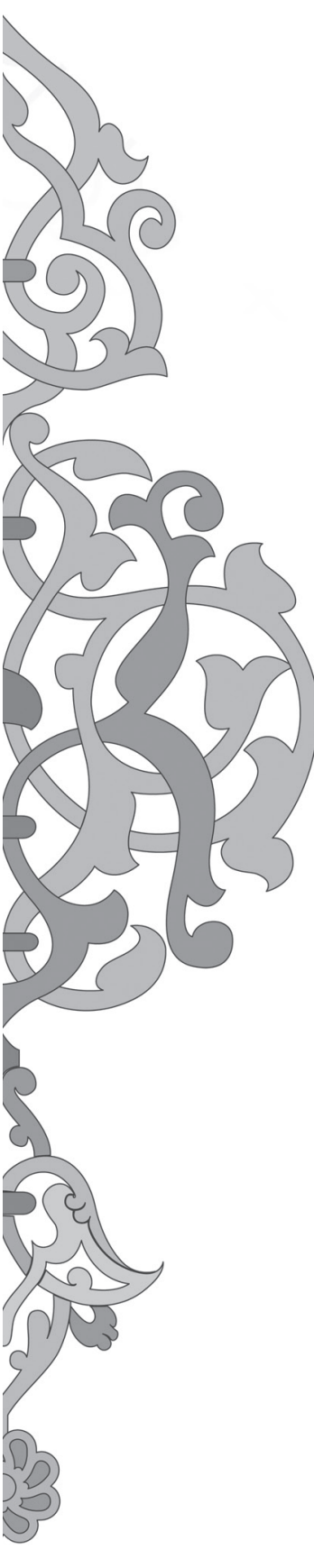
- [١] عبدالرحمن بن خلدون ، مقدمة تاريخ ابن خلدون ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م ، ص ٢٢٨ .  
 [٢] عبدالرحمن بن خلدون ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .  
 [٣] عبدالرحمن بن خلدون ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .  
 [٤] عبدالرحمن بن خلدون ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .  
 [٥] عبدالرحمن بن خلدون ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .  
 [٦] محمد بن المختار الشنقيطي ، الخلافات السياسية بين

- [١٧] محمد باقر المجلسي ، بحار الأنوار ، قم : مؤسسة أهل البيت ، ١٩٨٩م ، ج ٤٤ ، ص ٢٢٩ .
- [١٨] محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، صيدا . بيروت : المكتبة العصرية ، ٢٠١٧م ، ج ١ ، ص ١٢٦٢ .
- [١٩] ابن الأثير علي بن أبي الكرم الشيباني ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م ، ج ٣ ، ص ٤٠٨ .
- [٢٠] ابن طاووس علي بن موسى الحسني ، اللهوف في قتل الطفوف ، قم : مطبعة مهر ، ١٤١٧هـ ، ص ٥٩ .
- [٢١] محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مصدر سابق ، ص ١٢٧٢ .
- [٢٢] محمد باقر المجلسي ، بحار الأنوار ، مصدر سابق ، ج ٤٥ ، ص ٥١ .
- [٢٣] عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٩ .

- خلدون .
- [٩] ابن حجر العسقلاني ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٨ .
- [١٠] علي الوردي ، منطق ابن خلدون ، لندن : دار كوفان ، ١٩٩٤ ، ص ١٢ .
- [١١] علي الوردي ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ .
- [١٢] علي الوردي ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ .
- [١٣] علي الوردي ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ .
- [١٤] حميد عنایت ، الفكر السياسي الإسلامي المعاصر ، ترجمة : إبراهيم الدسوقي شتا ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، ص ٣٦١ .
- [١٥] محمد صحتي سردودي ، التحريف في السيرة الحسينية . دراسة في المظاهر والأشكال ، ترجمة : حيدر حب الله ، بيروت : مجلة نصوص معاصرة ، السنة الثانية ، العدد الثامن ، خريف ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ ، ص ٦٣ .
- [١٦] عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، دمشق : دار المدى ، ٢٠٠٢م ، ص ٤٩ .







# دَوْرُ الْأُمُومِيَّةِ فِي تَصْفِيَةِ الْمَعَارِضَةِ الشَّيْعِيَّةِ

❖ د. سهيل زكّار (\*)

---

(\*) أستاذ جامعي وباحث من سوريا.





يستلزم البحث في « دور الأمويين في تصفية المعارضة الشيعية » كتابة ما لا يقل عن مقدمتين ، تبحث الأولى في استيلاء الأمويين على الخلافة ، وتهتم الثانية بنشوء المعارضة الشيعية .

وسيكون الحديث عن قيام الدولة الأموية طويلاً ؛ الأمر الذي لا يسمح به المقام . ومع ذلك لا بدّ من توضيح بعض النقاط حتى نفهم خلفيات بطش رجالات الدولة الأموية : سفيانيّين ومروانيّين بممثلي المعارضة الشيعية بلا رحمة ، وإصرارهم على لعن الإمام علي عليه السلام على المنابر ، علماً أنّهم لم يلعنوا لا الخوارج ولا أفراد أي حزب معارض آخر .

المسألة هنا مرتبطة بالمواريث والجغرافيا والحفاظ على الملك المغتصب بأي ثمن . لقد تزعم

الأمويون معارضة قيام الإسلام ، وكانوا أشد الناس عداوة للنبي ﷺ ولآله . قتل بعضهم في بدر على أيدي الإمام علي عليه السلام وعمه حمزة ( رض ) ، وأسلم من ظلّ حيا منهم يوم فتح مكة لا عن طواعية وقناعة .

ووصلوا إلى السلطة عن طريق ولاية الشام ذات المواريث المسيحية البيزنطية ، وتذرعوا بكلّ عذر للانتقام ، هم ورجال إدارتهم مثل منصور بن سرجون ، من الإسلام ومن آل البيت ، فاستباحوا الحرمات في كربلاء والحرة وحصار مكة وغير ذلك من مناسبات .

لقد حاول الأمويون ، خلال قرن من الزمان ، الوصول إلى الاعتراف بشرعية الأمر الواقع ، فأخفقوا

وزالوا من دون أن يخلفوا وراءهم أية قواعد أو جذور .

تباينت الآراء حول تاريخ نشوء حزب الشيعة ومن أنشأه ، وأين نشأ ، والأدوار التي مرّ بها خلال التاريخ . ويمكن القول : « إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة »<sup>(١)</sup> على أساس أن الدعوة الإسلامية مثلت في مكة حركة معارضة للنظام الذي سيطر عليه تجار بني أمية وغيرهم من سادة قريش .

وارتبط التشيع ظهوراً بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، ابن عم النبي صلى الله عليه وآله ، وربيبه ، وصهره ووالد سبطيه .

فقد كان الإمام علي عليه السلام أول فتى يعتنق الإسلام ، وعاش سنوات الدعوة في مكة ، ولزم ابن عمه صلى الله عليه وآله بلا انقطاع ، فنهل من ينابيع الإسلام الصافية ، وكان أكثر الناهلين وأوعبهم ، ويوم قرر النبي صلى الله عليه وآله الهجرة بات في فراشه ، معرضاً حياته للقتل . ولقد اتصف الإمام علي بالشجاعة المطلقة وبالصفاء العقائدي ، واجتمع في شخصه العلم ومعرفة الإسلام مع النباهة والفتوة والجسد القوي

المعافى . وبعد الهجرة إلى مكة أخى النبي صلى الله عليه وآله بينه وبينه .

وظهر في المدينة المنورة مفهوم الأمة الإسلامية ، وولد مع هذا المفهوم مفهوم آل البيت ، وكان النبي صلى الله عليه وآله سيد الأمة ورأس آل البيت ، وكان الإمام علي عليه السلام الثاني بعده في آل البيت . الإمام علي عليه السلام النموذج الكامل للشخصية المسلمة . لهذا كان من الطبيعي أن يتعلق به بعض المسلمين ، ويرون فيه استمرار الرسالة ، بعد انتقال النبي صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى .

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن النظام الذي كان يتحكم بمكة ، وإن هزم يوم فتحها ، لم يزل من الوجود ، بل حافظ على اعتباره واندس ببراعة داخل صفوف الدولة الناشئة التي احتاجت إلى الكوادر الإدارية والقيادية . وفي الإدارة كسب الأمويون المال والجاه فتهيأت أمامهم الفرص للوثوب على السلطة واغتصابها .

توفي النبي صلى الله عليه وآله ، وانشغل الإمام علي مع آلِهِ بالمصيبة وبتهيئته . وفي تلك الساعات كانت

الناس يتمنون على عمر تسمية ولي عهد له ، لكنه تردد بعدما استعرض أسماء أبرز المرشحين ، وبعدها رأى علي بن أبي طالب (عليه السلام) أجدرهم وأكثرهم أهلية .

وبلاحظ أن عدد أفراد آل البيت كان صغيراً في هذه الآونة مقارنة ببقية أسر قريش لا سيما بني أمية وبني مخزوم ، وبعد نجاح حركة الفتوحات بات رجال هاتين العشيرتين الولاة والقادة ، أي الطبقة الحاكمة . وبحكم هذا الواقع الجديد مارسوا نفوذاً واسعاً على سكان الأمصار الإسلامية الجديدة ، ولاقوا ، في الوقت نفسه ، معارضة شديدة .

ولدى قراءة مخطوط كتاب « أنساب الأشراف » دهشت لحجم الثروات التي تجمعت في أيدي رجال الطبقة الحاكمة الجديدة . ومن أخبار هذا الكتاب ومصادر أخرى رأيت أن جميع ولاة عمر بن الخطاب وقادته قد اتهموا باستغلال موارد الدولة وتصرفوا بها ، ولم يملك الخليفة على صرامته وحزمه سوى سلاح العزل أو مقاسمة الثروة أو المصادرة . وقد فعل هذا مع كثيرين ، ولم ينج منه حتى خالد بن الوليد<sup>(٢)</sup> .

حوادث اجتماع سقيفة بني ساعدة . ففي هذا الاجتماع تمكن الصحابة : أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة من إحباط خطط الأنصار بالاستيلاء على

السلطة وفرض « واقع أنصاري » بحلّ مماثل فرض « واقعاً قرشياً » أوجد مؤسسة الخلافة ، لكن من دون شورى كاملة في المسجد كما قضت القاعدة .

وفوجيء الإمام علي (عليه السلام) بما حدث ، وسكت عنه لأن مصلحة الأمة اقتضت ذلك بسبب تفجّر حروب الردة . المهم الآن عاد آل البيت بزعامة الإمام علي (عليه السلام) إلى حال المعارضة ، ولئن أفلح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حكم الأمة كلها لسنوات قصار بعد فتح مكة ، لم يتمكن أحد من آل البيت من حكمها كلها بعده ، وظلّ الشيعة يقودون المعارضة المنادية بالإصلاح والعودة إلى المنهج المحمدي .

كانت ولاية أبي بكر قصيرة ، وقد عهد أبو بكر بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب . وفي أيام عمر بن الخطاب حدثت تطورات سياسية كبيرة ، حيث بات العرب يقبلون بمبدأ توريث السلطة ، ولهذا أخذ

أمية، فولاهم الولايات، ... ثم كثر المال عليه، فكان كلما اجتمع عنده شيء من ذلك يفرقه ... حتى كان يأمر للرجل الواحد بمائة ألف درهم، ثم قدم عليه عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص فوصله بثلاثمائة ألف درهم، ثم بعث إلى الحكم بن أبي العاص فرده إلى المدينة، وهو طريد رسول الله، ثم وصله بمائة ألف درهم من بيت مال المسلمين، وجعل له خمس إفريقية»<sup>(٦)</sup>.

ويلاحظ أن عدم الرضا المكتوم للإمام علي عليه السلام ولمن التف حول له خرج إلى المجاهرة يوم نجح عثمان بتولي الخلافة، فقد خاطب الإمام علي عبد الرحمن بن عوف بقوله: «ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا» فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون» والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك. وقال المقداد بن الأسود: «يا عبد الرحمن، أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ... ما رأيت مثل ما أوتي أهل هذا البيت بعد نبينهم، إني لأعجب من قريش، إنهم تركوا رجلاً ما أقول أن أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل»، واتخذ عمار بن ياسر الموقف نفسه<sup>(٧)</sup>، وبناء على هذا

تمركز جند الفتوحات، أيام الخليفة عمر بن الخطاب، في البصرة والكوفة في العراق، والجابية وحمص في الشام والفسطاط في مصر، وأراد الجند إسماع أصواتهم حول إدارة الدولة ومستقبل السلطة. ويرى بعضهم في عدم تسمية عمر بن الخطاب لعلي بن أبي طالب عليه السلام خليفة من بعده وأخذه بحل شوري الستة مخرجاً في مواجهة المعارضة المحتملة<sup>(٨)</sup>.

اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب، واجتمع رجال الشوري بعده. وبعد مناورات سياسية جرى اختيار عثمان بن عفان خليفة<sup>(٩)</sup>، ووصف ابن عباس ولاية عثمان وسيرته بقوله: «فعمل بعمل صاحبية ستاً لا يخرم شيئاً إلى ست سنين، ثم إن الشيخ رق وضعف فغلب على أمره»<sup>(١٠)</sup>.

وأوضح ابن الأعمش الكوفي هذا الوصف الموجز بقوله: «لما صار الأمر إلى عثمان بن عفان، واجتمع إليه الناس، أرسل إلى عمال عمر بن الخطاب، فأقرهم على أعمالهم التي هم عليها مدة يسيرة من ولايته، ثم إنه بعث إليهم فعزلهم عن الأعمال، وجعل يقدم أهل بيته وبني عمه من بني

يمكننا أن نعدّ الساعة التي وصل فيها عثمان إلى الخلافة ساعة إعلان قيام الحزب الشيعي بمثابة حزب معارض للسلطة القائمة .

وفي أيام عثمان باتت موارد الأمة وثرواتها نهباً بين رجال بني أمية وحلفائهم ، ولم يتورع والي العراق عن القول : إن سواد العراق بستان قريش<sup>(٨)</sup> . وجهر المسلمون بالشكوى ، وقد مثلها بالشام أبو ذر الغفاري ، فكان نصيبه طرده من الشام ، ثم نفيه إلى الربذة . وظهرت بوادر للعصيان في مصر ، واضطربت الأحوال بالكوفة لأسباب كثيرة تصدرها إقدام عثمان على إلحاق ولاية الجزيرة بمعاوية بن أبي سفيان والي الشام ، وبذلك جعل موارد جند الكوفة رهن تصرف معاوية .

وقادت هذه الأحداث إلى البحث عن مخرج ، وضغط الشاكون على عثمان ، فالتجأ إلى الإمام علي عليه السلام وأعلن أنه سيغير سياسته ويصلحها ، وطلب من الإمام علي كفálته ، لكن هذا لم يثمر ، فكانت أحداث الفتنة الكبرى ومقتل عثمان . وكان المسلمون أثناء الأزمة قد وصلوا إلى قناعات أن علي بن أبي طالب عليه السلام وحده القادر على إعادة الأمور إلى

نصابها وإصلاح ما فسد وتقويم الإعوجاج ، لكن الأوضاع الحقيقية كانت جد فادحة ، فقد وضح أثناء حوادث الفتنة الكبرى أن سيطرة الخليفة كانت شبه منعدمة على ولاته وعلى زعماء الجند في الأمصار ، وأن النزعات الاستقلالية والطموح إلى السلطة ظهرت عند الولاة وعند قادة الجند ، وكذلك عند الأحياء من الصحابة العشرة وسواهم .

تسلم الإمام علي عليه السلام مقاليد الخلافة وسعى إلى إيجاد الحلول لجميع المشاكل ، فحرم من الفرص ، وفرض عليه خوض الحروب الأهلية في الجمل ، وصفين والنهروان . وقد اعتمد خلال هذا كله على قبائل الكوفة الممزقة بفعل العصبيات القبلية وغير ذلك ، ومع هذا ارتبط تاريخ التشيع خلال العصر الأموي بمدينة الكوفة إلى أبعد الحدود .

والكوفة مدينة تأسست في العراق مع نجاح حركة الفتوحات العربية في العراق ، وقامت في البداية على شكل معسكر للجند ، أو بعبارة أصح : على شكل مضارب خيم وأكواخ لقبائل الجند ، وكان ذلك قبل سنة ١٧ هـ ٦٣٨ م . وكان قرابة نصف



الجند الذين استقروا بالكوفة من القبائل القيسية والبقية من القبائل التي ساندت الإمام علي عليه السلام .

وبالمقابل اتخذت القبائل القيسية موقفاً معادياً ، والتحق بعض زعمائها بمعوية ، ونخص هنا بالذكر زُفر بن الحارث زعيم قبائل كلاب .

ولا شك أنه يمكننا ، من خلال دراسة الصراع بين اليمانية والقيسية ، أن نفهم مصائر حركات المعارضة الشيعية خلال العصر الأموي ، ولا شك أن المسألة القبلية كانت وراء الحيلولة بين الإمام علي عليه السلام وإحراز النصر في صفين ، ثم في إخفاق التحكيم ، وفي قيادة حملة جديدة ضد معاوية إلى حادث اغتياله في مسجد الكوفة .

وشهدت أرض الكوفة جميع الحركات الشيعية التي استهدفت تغيير السلطة الأموية بوساطة السلاح ، ولا شك أن هذه الحركات قد طورت حزب الشيعة وحوّلته من حركة سياسية محصنة لها أسبابها الاقتصادية والاجتماعية إلى حركة ذات محتوى عقائدي وديني .

ومعروف أن الوسط الذي قامت فيه مدينة

الكوفة كان وسطاً عميق الجذور في التاريخ ، له موارث بابل وغيرها .

وعندما تحولت الكوفة من معسكر إلى مدينة سكنها الناس من أهل العراق والأمصار المفتوحة ، ولا شك أن هؤلاء أثّروا في الجند وبهم تأثروا ، وستظهر بواكير المؤثرات الجديدة في حركة التوايين ، ثم أكثر في حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي المعروفة باسم « الكيسانية » .

بايع أهل الكوفة الحسن بن علي عليه السلام بعد وفاة أبيه ، واضطر الحسن إلى مصالحة معاوية بن أبي سفيان والتخلي عن الخلافة .

وبعد استلام معاوية للسلطة ومغادرة أبناء الإمام علي عليه السلام العراق إلى الحجاز ، هدأت الأمور بعض الشيء ، لكن لم تتوقف الزعامات القبلية الموالية للإمام علي عليه السلام عن تبادل الزيارات والاجتماع لاستعراض الأمور ، والشكوى ضد تجاوزات السلطة الأموية وإصرارها على لعن الإمام علي عليه السلام على المنابر ، وحكم العراق بالحديد والنار وبعثرة الأموال والظلم والعدوان . ويمكن أن نصف



هذا كله ببداية تكوين لتنظيم سري للمعارضة الشيعية في الكوفة، لكن بمعزل عن المشاركة المباشرة أو الإشراف من قبل أبناء الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٩).

ويبدو أن بيوت مدينة الكوفة كانت متلاصقة، وربما كانت غرفها بلا أبواب (١٠). ولم يكن من الصعب أن يعرف كل إنسان ما يجري في البيوت المجاورة، أي أن المدينة انعدمت فيها السرية، وأسهم في هذا الوضع القبلي ووشائج القرى والمصاهرات، ولأن الأحياء كانت قبلية سهل التعرف إلى الغرباء والمارة.

ولذلك تيسر للسلطات الأموية الاطلاع يوميا على مختلف تفاصيل الحياة في الكوفة، ومعرفة أوصاف جميع الغرباء الذين وفدوا على المدينة مع أماكن استقرارهم وأسماء الذين التقوا بهم حتى أنهم عرفوا تفاصيل الأحاديث والنوايا، ومنح هذا حكام بني أمية القدرة على رصد تحركات الشيعة بكل دقة لهذه الأسباب ولعوامل أخرى يلاحظ أن الثورات التي تفجرت في الكوفة تحت لواء التشيع، قامت في الأوقات التي اضطربت فيها الأحوال في بلاد الشام

حاضرة الدولة الأموية.

### حركة حجر بن عدي وأصحابه :

وكانت أهم الثورات الشيعية هي : ثورة الحسين بن علي (عليه السلام) مع فاجعة كربلاء، ثورة التوابين، حركة الكيسانية بزعامة المختار بن أبي عبيد، وثورة زيد بن علي بن الحسين. وكان لهذا مقدمات في أيام معاوية أبرزها اعتقال حجر بن عدي الكندي وإرساله مع رفاقه إلى الشام وإعدامهم.

وكان حجر بن عدي صحابياً من زعماء قبائل كندة، شارك في فتوح الشام تحت لواء خالد بن الوليد، ثم عاد إلى العراق بعد اليرموك واستقر بالكوفة. وبعد أحداث الفتنة الكبرى ارتبط بإيمان بالإمام علي (عليه السلام)، وحافظ على إخلاصه لقضيته، فكان أن عارض بشدة إقدام الحسن بن علي (عليه السلام) على التصالح مع معاوية.

روى البلاذري أن حجر بن عدي لم يزل : « منكرًا على الحسن بن علي صلحه، فكان يعذله على ذلك ويقول : تركت القتال ومعك أربعون ألفاً ذوو نيات وبصائر في قتال عدوك » (١١). وكان معاوية قد

أسند أولاً ولاية الكوفة إلى المغيرة بن شعبة ، وقد مكث المغيرة في منصبه تسع سنوات ، لم يتوقف خلالها حجر بن عدي عن النيل من معاوية وعده مغتصباً للخلافة .

وتمكّن المغيرة ، بصبره وحبه للعافية ، من تجنب الصدام مع حجر وشيعة الكوفة ، ثم إن نشاط هؤلاء لم يتعد الكلام إلى الأفعال . لكن بعد وفاة المغيرة تبدلت الأحوال ، فقد أسند معاوية ولايتها - إلى زياد بن أبيه .

مارس ابن أبيه سياسة عنيفة جداً بالكوفة ، ونال في خطبه وأحاديثه من الإمام علي ابن أبي طالب وآله عليه السلام . وسعى ، في الوقت نفسه ، إلى استمالة حجر ومهادنته حيث قال له : « يا أبا عبد الرحمن إن الأمر الذي كنا فيه مع علي كان باطلاً ، وإنما الأمر ما نحن فيه الآن » <sup>(١٢)</sup> .

لم يهادن حجر زياد ، وتمسك بمواقفه في تعلقه بالإمام علي وآله عليه السلام ورفضه لمعاوية ، فتهده زياد وضغط عليه ، وكان من عادة زياد إمضاء ستة أشهر من كل سنة في البصرة والبقية في الكوفة ،

واعتاد المعارضون « الشيعة » <sup>(١٣)</sup> على التردد على بيت حجر ، أو الاجتماع في المسجد « فيذمون معاوية ويشتمونه ، ويذكرون زياداً فيتنقصونه » <sup>(١٤)</sup> .

وقبل أن يصل الحال إلى الثورة اعتقل زياد حجراً وأصحابه الكبار ، ولم يتجراً على البطش بهم بل بعث بهم إلى معاوية ، وكان عدد الزعماء الذين رافقوا حجر أربعة عشر رجلاً . وقبل تسييرهم إلى الشام كتب زياد محضراً رسمياً حول ما حدث بالكوفة ، وضع عليه شهادات عدد من كبار شخصيات هذه المدينة ، وجاء فيه : « إن حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه جموعاً يدعوهم إلى نكث البيعة ، وخلع أمير المؤمنين معاوية ، فكفر بالله كفره صلاء ، وأتى معصية شعاء » <sup>(١٥)</sup> .

سير زياد المعتقلين إلى معاوية ليحكم فيهم ، ويبدو أن إرسالهم إليه قد أخرجهم ، لا سيما وأن جل أعوانه كانوا آنذاك من القبائل اليمانية ، ولهذا تحرك معاوية بسرعة وسرية كاملة ، فما إن عرف بوصول المعتقلين إلى مرج عذراء ، خارج دمشق ، حتى بعث من يتولى إعدامهم ، وأثارت عملية الإعدام رنة حزن

في الشام والعراق والمدينة المنورة<sup>(١٦)</sup>.

ويمكن أن نرى ، في ما جرى في مرج عذراء ، سابقة خطيرة مهدت الطريق أمام يزيد بن معاوية في خرق حرمت المسلمين دون أن يعبأ بآثار ذلك أو بردّات فعل المسلمين .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر جاء مصرع حجر محرّضاً للثأر والثورة ، وحين سيجد أهل الكوفة الفرصة المناسبة سيحاولون الانتقام من السلطة الأموية ، كما سنرى .

ثم إن المعارضة التي كانت تتفجر أحداثها بالكوفة أخذ زعماؤها الآن يتطلعون نحو تسمية واحد من أبناء الإمام علي عليه السلام لقيادتهم ، والدعوة له ، وكان المرشح البديهي هنا الحسين بن علي عليه السلام . وفي الحقيقة ليس في مصادرها ما يحدثنا عن وجود اتصالات وأعمال تنسيق بين حجر بن عدي والحسين بن علي عليه السلام .

ومهما يكن الأمر كانت حركة حجر بن عدي حركة المعارضة الشيعية الأولى للحكم الأموي ، فالأحداث التي تقدمتها ارتبطت جميعاً بالعصر

الراشدي ، وبالحقبة الانتقالية من هذا العصر إلى عصر الدولة الأموية ، وشكلت هذه الحركة ، في الوقت نفسه موعد إعادة تشكيل الحزب الشيعي كحركة معارضة للحكم الأموي . ومن هذا الباب يمكن القول إن قيام الحزب الشيعي المعارض للسلطة الأموية كان عام ( ٥١ هـ ) .

توقف الشيعة عن النشاط العلني بعد مقتل حجر بن عدي ، لكن ما إن توفي معاوية بن أبي سفيان وتسلم يزيد ابنه السلطة حتى تجدد النشاط الشيعي ، ولا شك أن انتشار أخبار رفض الحسين بن علي عليه السلام بيعته يزيد قد كانت له أبعد الأصداء في الكوفة .

### كربلاء والنهضة الحسينية :

توفي معاوية بن أبي سفيان عام ٦٠ هـ ، وكان ابنه يزيد في منطقة حمص ، فجاء إلى دمشق حيث وجد الأمور ممهّدة له تمام التمهيد ، فتسلم السلطة ، وقام بالكتابة إلى والي المدينة يخبره بوفاة معاوية وبييعته ، ويأمره بالحصول على بيعته الحسين بن علي عليه السلام وبقيّة أبناء الصحابة وأهل المدينة ، وبإبادة

الوالي إلى استدعاء مروان بن الحكم، وكان شيخ بني أمية بالحجاز، فأخبره واستشاره، فأشار عليه باستدعاء الحسين في تلك الساعة من الليل وإرغامه على البيعة أو قتله، وعندما استدعي الإمام الحسين عليه السلام ارتاب بالأمر، واحتاط لنفسه، ورفض البيعة، ثم لم يبت ليلته بالمدينة بل غادرها إلى مكة المكرمة للاعتصام بها، وعدّ هذا رفضاً معلناً لخلافة يزيد. ونظراً لمكانة مكة وتوافد المسلمين الدائم عليها، سرعان ما انتشرت الأخبار في كل مكان، ولا شك أنها وصلت إلى الكوفة، فتحرك أهلها، وأخذ شيعتها يعدون العدة للثورة<sup>(١٧)</sup>.

وأحدث استلام يزيد بن معاوية للخلافة صدمة كبيرة للمسلمين في العراق والحجاز، فأهل العراق عانوا طويلاً من وطأة إرهاب زياد بن أبيه والي معاوية وأخيه بالبغاء، وها هو الحسين بن علي عليه السلام يرفض البيعة ليزيد، ثم إن والي الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري كان رجلاً يحب العافية وعدم سفك الدماء وكان يقول: «أن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون قوياً في معصية الله، وما كنت لأهتك ستراً ستره الله»<sup>(١٨)</sup>.

وشرع الرافضون لبيعة يزيد من أهل الكوفة يجتمعون ويتباحثون حول ما ينبغي عمله، وبرز الآن بين صفوفهم سليمان بن صرد الخزاعي، وأخذ

الشيعية الكوفيون يجتمعون في منزله، وبادروا جماعات وأفراداً بمراسلة الحسين ودعوته للقدوم إلى الكوفة لبيعته، وجاء في إحدى رسائل سليمان إلى الحسين: «أما بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك وعدو أيك قبلك، الجبار العنيد، الغشوم الظلوم، الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وتأمّر عليها وغصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضاها، ثم قتل خيارها واستبقى أشرارها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

ثم إنه قد بلغنا أن ولده اللعين قد تأمر على هذه الأمة بلا مشورة ولا إجماع ولا علم من الأخبار، ونحن مقاتلون معك، وباذلون أنفسنا من دونك، فاقبل إلينا فرحاً مسروراً، مأموناً مباركاً، سديداً وسيداً، مبراً مطاعاً، إماماً خليفة علينا مهدياً،

فإنه ليس علينا إمام ولا أمير إلا النعمان بن بشير، وهو في قصر الإمارة وحيداً طريداً، ليس

نجتمع معه في جمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولا نؤدي إليه الخراج ، يدعو فلا يجاب ، ويأمر فلا يطاع ، ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه عنا حتى يلحق بالشام ، فاقدم إلينا فلعل الله أن يجمعنا بك على الحق» (١٩) .

لاقت مراسلات أهل الكوفة القبول من الحسين ، لكن آله وأصدقاءه حذروه من الاستجابة ورجوه أخذ الاحتياط ، خاصة وأن السلطة في الكوفة ما زالت فعلياً بيد الأمويين ، وكون الذين راسلوه هم من اليمانية فقط ولم يرسله أحد من العدنانية ، وشجعه عبدالله بن الزبير على الاستجابة ليتخلص منه وليغدو السيد في مكة المكرمة .

وقام الإمام الحسين عليه السلام بإرسال ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة ليمهد له الأمور . بداية نجح مسلم في مهامه ، وراسل الحسين بأخباره ودعاه إلى القدوم .

لكن في تلك الأثناء حدثت تغييرات طارئة في الكوفة ، فقد كتب أناس من الكوفة إلى يزيد بن معاوية وأخبروه بأوضاعها ، فبادر يزيد بإصدار أوامره

إلى عبيدالله بن زياد واليه على البصرة بالتوجه إلى الكوفة ومعالجة الأوضاع فيها ، ويرجح أنه أمره بقتل مسلم بن عقيل ، ومن ثم استقبال ركب الحسين وقتله ومن معه جميعاً .

نجح ابن زياد فاستولى على مقاليد الأمور بالكوفة ، وعرف مكان مسلم بن عقيل ، وأقام المحارس حول الكوفة ليمنع الخروج منها والقدوم إليها ، وأدام الاتصال بدمشق التي رصدت إدارتها تحركات الإمام الحسين عليه السلام وسفره نحو العراق ، وأرادت إبعاده عن الحجاز وتعمية الأخبار عليه ونجحت في هذا السبيل إلى أبعد الحدود .

توجه الإمام الحسين عليه السلام نحو الكوفة ومعه جل أفراد أسرته من أبنائه وإخوانه وأخواته ، وضم ركبته نحو ثمانين فرداً بما في ذلك النساء ، ويروى أن الحسين لقي في طريقه الشاعر الفرزدق ، فسأله عما استجد بالكوفة ، فأخبره أن قلوب أهل الكوفة معه وسيوفهم عليه ، ويقال أيضاً أنه أخبره بمقتل مسلم بن عقيل من قبل ابن زياد (٢٠) .

لقد تعددت الروايات حول هذا الموضوع ،



ويرجح أنه سواء عرف الإمام الحسين عليه السلام بما حدث بالكوفة أم لم يعرف، كان موقناً أن السلطة الأموية لديها قرار بتصفيته جسدياً مع آله. وبالفعل ما إن دخل السبط النبوي الوحيد مع آل البيت حدود العراق حتى وجد نفسه مطوقاً بجيش عرمرم أرسله ابن زياد، ومنعت طلائع هذا الجيش الذي قاده عمر بن سعد بن أبي وقاص الحسين من حرية الحركة.

لا شك أنه كان بإمكان جيش عمر بن سعد، وقد تجاوز العشرين ألفاً، اعتقال الحسين وأصحابه بعد حصارهم ومنع الماء والأطعمة عنهم، لكن التعليمات الأموية كانت تهدف إلى قتل الحسين لا إلى اعتقاله. وهكذا نفذت جريمة قتل آخر سبط على وجه الأرض لخاتم الأنبياء، وكانت مذبحه بشعة لا مثيل لها اقترفتها السلطة الأموية عن سابق إصرار وتعمد<sup>(٢١)</sup>. لقد كان ما حدث ردة حقيقية عن الإسلام، وأبداً لا يصح القول «إن الحسين قد قتل بسيف جده»<sup>(٢٢)</sup>.

لم يكن الحسين مثير فتنة ولم يقتل بسيف جده، بل بسيف ردة يزيد بخلفياته الوثنية القرشية والمسيحية الكلبية، فالإمام الحسين لم يبايع يزيد

بالخلافة، وامتلك الحق في أن لا يبايع، كما امتلك الحق مع آله بالتنقل والسفر، ثم إنه لم يشهر السلاح بوجه أحد، ولم يتوجه نحو العراق على رأس قوة مسلحة، غاية ما كان يجوز للسلطة الأموية فعله إلقاء القبض عليه ومحاكمته.

خلاصة القول أراد يزيد بن ميسون النصرانية إزالة آل البيت من الوجود، وكان يعرف أن الحسين لا يملك المال للإنفاق على أهل الكوفة إذا ما قطع أعطياتهم، وأنه لم يكن بإمكانه - حتى إن رغب - تجنيد جيش لحسابه.

لقد شكل مصرع الحسين نبعاً لا ينضب من الأفكار والإلهامات، وكان نقطة تحول عظمى في تاريخ التشيع، وقتل الحسين في أرض بابل، وهي أرض ذات مواريث ملحمية معروفة، لذلك ما لبثت أخبار كربلاء أن تحولت إلى ملحمة شعرية ثرية أعيدت صياغتها وروايتها بلا انقطاع<sup>(٢٣)</sup>.

لقد ارتبطت، بنتائج كربلاء، التطورات التي شهدتها المشرق الإسلامي طوال العصر الأموي ومن بعده، وكانت الحرمة الأولى التي استباحها يزيد،



حيث ثنى بالمدينة وثلاث بمكة . وفي أثناء حصار مكة مات وهو لا يزال شاباً .

ومع أن المصادر لا تحدثنا عن أسباب وفاته ، ليس من المستبعد أنه تمّ التخلص منه لإيقاف مسلسل الردة الجديدة على الإسلام بوساطة جيوش الإسلام .

وعامل ابن زياد نساء آل البيت بسوء لا يوصف ، وكذلك فعل يزيد ، فقد حمل جنده نساء آل البيت « على الأقتاب ، حواسر ، وكشفوا عورة علي بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه ، كما يصنع بذراري المشركين إذا دخلت ديارهم عنوة . . . وقتلوا لصلب علي بن أبي طالب تسعة ، ولصلب عقيل بن أبي طالب تسعة . . . ونقروا بالقضيب بين ثنيتي الحسين » (٢٤) .

### حركة التّوَّابين ، المختار بن عبيدالله الثقفي

وبعد ما توفي يزيد بن معاوية لم يستطع ابنه معاوية حمل الأعباء . واضطربت الأحوال ، فوجد أهل الكوفة الفرصة للتحرك بهدف الثأر والتوبة على

خذلانهم للإمام الحسين . ومجدداً تزعم شيعة الكوفة سليمان بن صرد الخزاعي ، وتقرر الخروج من الكوفة وقصد بلاد الشام للانتقام من قتلة الحسين ، وفي أثناء استعدادهم وصل إلى الكوفة المختار بن أبي عبيد الثقفي مدعياً إرساله من قبل محمد بن الحنفية أخي الحسين لأبيه ، وكاد نشاط المختار أن يوقع الفتنة بين صفوف الشيعة ، وهو وإن صمت أخيراً أذى حركة سليمان بن صرد التي عرفت باسم « حركة التّوَّابين » .

تزعم في الحقيقة « حركة التّوَّابين » خمسة هم : سليمان بن صرد الخزاعي ، والمسيب بن نجبة الفزاري ، وعبدالله بن سعد بن نوفل الأزدي ، وعبدالله بن وال التميمي ، ورفاعة بن شداد البجلي (٢٥) .

وتدل أنساب هؤلاء الزعماء أنهم مثلوا قبائل الكوفة العدنانية واليمانية . وفي هذا مؤشر على تحول نوعي في أوضاع الكوفة ، وأن الدعوة الشيعية زادت انتشاراً في الكوفة ، ما سيجعلها بعد حقبة تصطبغ بالصبغة الشيعية عامة .



وفيما الأوضاع مضطربة في الشام هياً التوابون أنفسهم لمغادرة الكوفة ، وفي هذه الأثناء انعقد مؤتمر الجابية ( قرب نوى في حوران - سورية ) فيه تمت بيعه مروان بن الحكم بالخلافة ، ثم تلا ذلك معركة مرج راهط ، وسيطرة مروان على بلاد الشام ، وبعدها على مصر ، وأخذ مروان يتطلع لبسط سيطرته على العراق ، فكلف عبيد الله بن زياد بهذه المهمة .

عندما غادر التوابون الكوفة قصدوا أولاً كربلاء حيث ضريح الإمام الحسين ، وعندما رأوه أخذوا يقولون : « اللهم إنا خذلنا ابن بنت نبينا وقد أسأنا وأخطأنا ، فاغفر لنا ما قد مضى من ذنوبنا » ﴿ إنك أنت التواب الرحيم ﴾ اللهم ﴿ إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (٢٦) .

أمضى التوابون عند قبر الحسين يوماً وليلة يصلون ويبكون ويتضرعون ، ثم نادى فيهم سليمان بن صرد بالرحيل ، فازدحموا على القبر وهم يقولون : « اللهم إنا قد خرجنا من الديار والأموال ، وفارقنا الأهلين والأولاد نريد جهاد الفاسقين المحلين الذين

قتلوا ابن بنت نبينا ، فتب علينا وارزقنا الشهادة يا أرحم الراحمين ، اللهم إنا لو نعلم أنه لو كان الجهاد فيهم بمطلع الشمس أو مغرب القمر ، أو بمنقطع التراب لكان حقيقاً علينا أن نطلبه حتى ناله ، فإن ذلك هو الفوز العظيم ، والشهادة التي ثوابها الجنة » (٢٧) .

ويلاحظ أن هذه الحركة لم تسم أمامها من بين الأحياء من آل البيت ، ثم إنها سنت سنة شيعية ما برحت قائمة ، وهي زيارة قبر الحسين والترحم عليه ، ويفيد هذا أن حركة التوابين ، أسهمت في تحويل حزب الشيعة من حركة سياسية محضة إلى حركة دينية سياسية .

لقد كان بإمكان التوابين تصفية العناصر الكوفية التي شاركت في قتل الحسين - كما فعل المختار بن أبي عبيد في ما بعد - لكنهم لم يقدموا على ذلك لأنهم رأوا أن مسؤولية قتل الحسين تقع على كاهل النظام الأموي بدمشق ، لذلك قرروا الجهاد ضد هذا النظام ، لكنهم لم ينسوا في الوقت نفسه مصالح الكوفة المالية ، ولهذا زحفوا نحو

الجزيرة الشامية، لأن خراجها كان لأهل الكوفة.

توجه سليمان بن صرد على رأس أربعة آلاف من أتباعه سنة ٦٥هـ فهر ٦٨٥ م. نحو الأنبار، وسار حتى وصل إلى قرقيساء ( البصيرة = البوسرايا حالياً في سورية حيث يلتقي الخابور بالفرات ).

وكان زفر بن الحارث الكلابي معتصماً بها بعد هزيمته في مرج راهط، وقدم زفر بعض المعونات والمعلومات للتوابين.

ملفت للانتباه العدد الضئيل الذي رافق ابن صرد، ومرد هذا لنشاط المختار بن أبي عبيد، ولأن الكوفة باتت الآن تابعة رسمياً لعبدالله بن الزبير. ولم يملك التوابون بيت مال، بل ملك ذلك ابن الزبير في مكة، وابن الحكم في الشام، المهم أن أربعة آلاف من أهل الكوفة ساروا على طريق الشهادة الذي سار عليه الإمام الحسين عليه السلام، وما يزال السير على هذا الطريق من أركان الفكر الشيعي.

وعرف التوابون أخبار تحركات الجيش الأموي بقيادة عبيدالله بن زياد، وأن مروان بن الحكم قد توفي، وخلفه ابنه عبد الملك، الذي أقر ابن زياد في

منصبه، والتقوا قرب عين الوردة - عين العرب - بالجيش الأموي وكان تعدادهم لا يقل عن عشرين ألفاً، فنشبت معركة غير متكافئة انتهت بمصرع التوابين مع زعيمهم سليمان بن صرد، ولم ينج منهم سوى عدد ضئيل عاد إلى الكوفة للإسهام في حركة شيعية جديدة<sup>(٢٨)</sup>.

وقاد الحركة الجديدة ( التي حملت اسم الكيسانية في ما بعد ) المختار بن أبي عبيد الثقفي. وقبل الحديث عن هذه الحركة مفيد أن نشير إلى أن بعضهم يرى أن عدم إعلان التوابين اسم إمام لهم من أحياء آل البيت، أو آل الحسين بالتحديد، يعود إلى الموقف الذي اتخذته علي بن الحسين عليه السلام والأئمة من بعده، بعد فاجعة كربلاء، بالالتزام بعدم التورط في عمل عسكري مهما كان نوعه حتى يحين الوقت.

وأطلق على خط الأئمة من أبناء علي بن الحسين عليه السلام اسم الخط الإمامي أو الاثني عشري.

ومع هذا استغل المختار بن أبي عبيد عواطف الشيعة في الكوفة، وكان بارعاً طموحاً إلى

السلطة .

حاول أولاً تحقيق مطامحه من خلال عبد الله بن الزبير ، فأخفق ، فتوجه إلى الكوفة وهناك ادعى أنه مرسل من قبل محمد بن الحنفية ، يدعو إلى إمامته ، وينتقم من قتلة الحسين ، وقال إن ابن الحنفية هو وصي الإمام الحسين والإمام من بعده دون مراعاة لقواعد التوريث من الأب إلى الابن وهو ما أخذ به الشيعة الإمامية ، فضلاً عن هذا تجاوز المختار قاعدة انتساب الأئمة إلى فاطمة الزهراء ، وأن الإمامة وراثثة النبوة .

كان المختار على دراية واسعة بأحوال الكوفة والعراق ، متفهماً للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، تنبه إلى أزمات الموالي ، وإلى الصراعات بين العصابات العربية ، وأراد استغلال ذلك للوصول إلى السلطة .

ومع تنبه المختار للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية أحسن استغلال العواطف الدينية ، بحركات كهنوتية ووسائل جذب وإغراء أخرى ، وتحالف في البداية مع إبراهيم بن الأشتر النخعي

والقبائل اليمانية ، فانتزع السلطة في الكوفة من عامل ابن الزبير عليها<sup>(٢٩)</sup> .

وشكك بعض أهل الكوفة بما ادعاه المختار ، فذهب وفد منهم إلى الحجاز حيث التقوا بابن الحنفية وسألوه ، فقالوا منه إجابة عامة في أنه يؤيد كل من خرج للطلب بدم الحسين ، واستفاد المختار من هذه الإجابة حيث عزز موقفه بالكوفة ، ويبدو أنه لم يفكر بالاستيلاء على غير مصر والكوفة ، وعرف المختار أخبار زحف الجيش الأموي نحو العراق ، فجند قوة معتبرة من أهل الكوفة أرسلها ضده بقيادة إبراهيم بن الأشتر ، وفي الجزيرة انتصر ابن الأشتر على الجيش الأموي وقتل قاداته يتقدمهم عبيد الله بن زياد .

تمركز ابن الأشتر بالجزيرة وتفرغ المختار إلى ملاحقة قتلة الحسين من أهل الكوفة ، وقرب إليه الموالي فأغضب أشراف الكوفة فهربوا إلى البصرة التي كان يحكمها مصعب بن الزبير وقالوا له : « لقد تأمر هذا الرجل علينا بغير رضا منا ، ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدواب وأعطاهم وأطعمهم فيئنا ، ولقد عصتنا عبيدنا »<sup>(٣٠)</sup> .

وطالب أهل العدل - أو القدرية - بالمساواة بين المسلمين ، ورفع الحيف عن المظلومين ، وغالباً ما تعاطفوا مع أئمة الشيعة الذين التزموا بعدم التورط بالأعمال العسكرية ، ومع هذا لم يدعهم خلفاء بني أمية وشأنهم ، بل عرضوهم للمحن والإهانات والحرمان والمراقبة الدائمة ، وهكذا تمكن أهل الكوفة من جذب واحد من أبناء بيت الحسين هو زيد بن علي بن الحسين .

وكان زيد بن علي من ألمع شخصيات عصره ، واسع المعرفة والثقافة ، بدأ دراسته في المدينة المنورة ، وكان أستاذه الأول أبوه علي بن الحسين ( زين العابدين ) ثم أخذ بعد ذلك على أخيه محمد بن علي ( الإمام الباقر ) ، وتأثر زيد بن علي بأفكار أهل العدل ( القدرية ) ونظراً لما حظي به من شهرة ومكانة تعرض لمضايقات بعض خلفاء بني أمية خاصة سليمان بن عبد الملك ، وأكثر منه هشام بن عبد الملك<sup>(٣٢)</sup> .

والروايات كثيرة حول أسباب ثورة زيد ، خلاصتها أن هشام بن عبد الملك عزل خالد بن

وفي هذه الأثناء فسدت العلاقات ما بين المختار وابراهيم بن الأشتر ، ورفض ابن الأشتر التعاون مع عبد الملك بن مروان ، فانضم إلى مصعب بن الزبير ، الذي حشد قوة كبيرة قادها نحو الكوفة ، وبعد معارك عنيفة هزمت قوات المختار ، وحوصر هو نفسه في قصر الامارة ثم ما لبث أن قتل وكان ذلك سنة ٦٧هـ<sup>(٣١)</sup> .

### ثورة زيد بن علي

لم يقض مصرع المختار على المعارضة الشيعية في الكوفة ، كما أن السلطات الأموية مارست حكماً عنيفاً جداً في العراق كتب فصوله الدموية الحجاج بن يوسف الثقفي ، وهكذا توفرت الأجواء المشحونة للثورة ، وكانت أبرز الثورات الشيعية التي تفجرت بالكوفة بعد قرابة النصف قرن من مقتل المختار ، ثورة زيد بن علي بن الحسين .

وحدثت تطورات واسعة خلال هذه المدة الطويلة سياسياً وفكرياً واجتماعياً ، فيها عربت الدواوين والنقود ، واستؤنفت حركة الفتوحات ، وظهرت تيارات الجبرية ، والأرجاء ، وأهل العدل ،



عبدالله القسري عن ولاية العراق ، وأحل مكانه يوسف بن عمر الثقفي ، واعتقل يوسف بن عمر القسري وولده وحاسبه بقسوة متناهية ، وقيل إن القسري ادعى - حتى يخفف عن نفسه العذاب - إيداع بعض المال لدى بعض شخصيات قريش ، وكان منهم زيد بن علي . وبناء على اطلاع هشام بن عبد الملك على هذه الأخبار استدعى زيدا مع القرشيين ، وحقق معه بشيء من الفظاظة ، ولم يكتف بذلك بل أرسله إلى العراق لإكمال التحقيق ، وفي العراق أساء ابن عمر معاملة زيد وسجنه بعض الوقت ، لكن عندما علم هشام ببراءة ساحته أمر بإطلاق سراحه وتسريحه إلى الحجاز ، وهنا اتصل به الكوفيون وأغروه بتزعم ثورة أعدو لها<sup>(٣٣)</sup> .

لم يستجب زيد لعرض الكوفيين ، وغادر الكوفة يريد الحجاز ، فلحق به بعضهم وأقنعوه بالعودة معهم بعدما قالوا له : « إنا نلرجو أن تكون المنصور ، وأن يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية »<sup>(٣٤)</sup> ، والمنصور واحد من الألقاب التي أطلقت على « مهدي منتظر » ، وقد تبنى الخليفة العباسي

الثاني هذا اللقب ، والذي يعيننا هنا رواج النبوءات بزوال الحكم الأموي مع عقيدة المهدي المنتظر في أوساط الكوفة وربما في غيرها ، ومن المعروف أن عقيدة المهدي المنتظر شغلت - ولا تزال - دوراً كبيراً في تاريخ حركات الشيعة .

عاد زيد إلى الكوفة بعدما قال له الزعماء الذين لحقوه : « أين تذهب عنا ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة يضربون بني أمية دونك ، وليس قبلك من أهل الشام إلا عدة قليلة »<sup>(٣٥)</sup> .

وفي الكوفة تولى زيد الإعداد بشكل سري للثورة ، ولعله قضى في سبيل ذلك ما لا يقل عن خمسة أشهر ، وكانت مكانة الكوفة السياسية والإدارية قد تراجعت بعد ما بنى الحجاج بن يوسف الثقفي مدينة واسط واتخذها مقراً له ، ووضع فيها حامية عسكرية شامية لضبط أمور العراق . ولهذا لم يعلم يوسف بن عمر بوجود زيد واختفائه بالكوفة ودعوته للثورة فيها ، إلا بعد وقت مديد ، وكان زيد قد حدد موعد خروجه في الأول من صفر عام ١٢٢هـ ، ويروى أن هشام بن عبد الملك وصلته الأخبار عن زيد قبل أن تصل إلى يوسف بن عمر ، فكتب إليه



يلومه على غفلته ويأمره بالتحرك بسرعة وشدة .

لقد كانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ التشيع في العصر الأموي التي تولى فيها زعيم من آل البيت الأشراف المباشر على الاعداد للثورة التي سيقودها لتوصله إلى الخلافة . وعندما عرف يوسف بن عمر بما كان يجري بالكوفة تحرك بسرعة ومعه قواته ، وما إن دخل الكوفة حتى دعا إلى اجتماع في المسجد الجامع ، واجتمع الكوفيون ، وهنا أمر يوسف بن عمر جنده بتطويق المسجد ومنع الناس من الخروج منه ، فاستدرج بذلك زيـداً للخروج ، واضطر زيـد لإعلان الخروج في ليلة شديدة البرد ودون إخطار أتباعه ، خرج محاطاً بأفراد قلائل من أصحابه ، وأمضى الليل كله وهو يحاول جمع أعوانه ، فلم يزد عددهم على الخمسمائة ، وكان جند أهل الشام خمسة عشر ألف فارس .

نشبت في طرقات الكوفة معارك غير متكافئة تخلى خلالها غالبية الخمسمائة من الكوفيين عن زيـد . وفي تلك الأثناء أصيب زيـد بسهم في جبهته أدى إلى قتله ، فدفنه أصحابه خارج المدينة ، ثم

تواروا عن الأنظار ، وعرف يوسف بن عمر موضع القبر ، فاستخرج الجثة ومثل بها ، وقطع رأس زيـد وأرسله إلى هشام بالشام ، وبذلك طوى آخر صفحة من صفحات ثورات الشيعة في العراق إبان الحكم الأموي<sup>(٣٦)</sup> .

### استخلاص العبر:

وفي وقفة لمعرفة الأسباب التي أدت إلى إخفاق زيـد وثورته ولاستخلاص العبر مما قام به خلفاء بني أمية نحو آل البيت وشيعتهم ، نسأل أولاً: هل كان هناك نقص في الجوانب التنظيمية لدى الإمام زيـد ؟

يبدو أنه لم يوجد نقص من هذا الجانب ، وسبب الإخفاق يتمثل في حبس زعماء الكوفة في المسجد . ونرجح أن بعض أهل الكوفة - أو لنقل بعض شيعة الكوفة - أيدوا تنظيم زيـد بن علي ، فالذين ارتبطوا بخط الإمامة بزعامة الإمام جعفر الصادق لم يوافقوا زيـداً . يضاف إلى هذا عرفت الكوفة في تلك الآونة تنظيمات سرية أخرى أهمها التنظيم العباسي ، حيث حكى أن داود بن علي كان آنذاك

بالكوفة ، وأنه حذر زيداً من التورط بالثورة اعتماداً على الكوفيين<sup>(٣٧)</sup> .

وأبرز ما نجم عن ثورة زيد تشكيل فرقة شيعية جديدة ، هي فرقة الزيدية ، التي نشر فكرها وفقهها في خراسان والجبيل واليمن ، وهي لا تزال موجودة باليمن .

وإخفاق زيد ثم مقتل ابنه يحيى بعده بوقت قصير زاد من شحن الأجواء المعادية للحكم الأموي ، وهو ما استغله دعاة الدعوة العباسية ، وقادة ثورتها .

ولا شك أن إخفاق ثورة زيد أفاد من بعض الجوانب الخط الشيعي الإمامي الذي قادة في المتبقي من العصر الأموي الأئمة : علي بن الحسين ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق ، ولجأ هذا الخط ، في التصدي للسلطة الأموية ، إلى العمل الفكري ، وعدم هدر الطاقات العسكرية ، وتعامل مع مختلف الأزمات بحذر شديد وحيلة فحافظ بذلك على آل البيت من أبناء الحسين ، ثم إن هذا الخط استوعب سياسة بني أمية ، وتقهم طبيعة المجتمع الكوفي ، فبنو أمية كانوا ينتظرون فرصهم لإبادة آل البيت بلا رحمة ، ولم يمتلك آل البيت المال لتجديد

الأتباع ، فهم لم يكونوا طلاب ملك ، بل كانوا حملة رسالة ، لقد أرادوا إنقاذ الأمة ، والعودة إلى شريعة جدهم المصطفى ونهجه .

ولعل من بين أسباب إخفاق الثورات الشيعية ازدواجية التنظيم والقيادة فيها ، فالإمام علي عليه السلام لم يزر الكوفة قبل توليه الخلافة ، ولم يكن له أية علاقة تنظيمية أو سواها بما حدث بالكوفة وأدى إلى ما يعرف بالفتنة الكبرى .

وبالمقابل كان معاوية بن أبي سفيان يقود جند الشام منذ بداية تاريخ الفتح ، لذلك ملك زمام أمورهم ، ولم يشك قط من عدم طاعتهم له ، في حين أن خطب الإمام علي عليه السلام حملت صنوف الشكوى من الكوفيين حتى قال : « لا رأي لمن لا يطاع » ، فطاعة جند الكوفة كانت للزعماء القبليين ، ولسو الحظ إن جل هؤلاء أثروا مصالحهم الفردية على سواها ، مثلما فعل الأشعث بن قيس . وهكذا فرض هؤلاء على الإمام علي إيقاف القتال في صفين ، ثم القبول باختيار أبي موسى الأشعري للتحكيم .

وتكرر الأمر نفسه حين استدعى بعض أهل الكوفة الإمام الحسين ، فالإمام الحسين لم يحرض الكوفيين على دعوته أو الثورة بعد وفاة معاوية ابن أبي سفيان ، ولم يكن بمقدور مسلم بن عقيل أن يعمل بالكوفة أكثر مما عمله ، لقد غرر الكوفيون بالإمام الحسين ،

وكان عليهم ألا يستدعوه قبل السيطرة الكاملة على الكوفة ، ولم يكتفوا بذلك بل تركوه وآله يذبون من قبل الجيوش الأموية دون تحريك ساكن ، وفقط عندما انفرجت الأجواء على أثر وفاة يزيد بن معاوية أعلن بعضهم التوبة وسألوا الله تعالى أن يغفر لهم ذنب التقصير !

وطبعاً لم يحقق هؤلاء من خلال التوبة أي نجاح يذكر ، وجاء عملهم متأخراً كثيراً .

ولسنا هنا في حال توجيه اللوم إليهم ، بل في استخلاص العبر ، من دون أن ننسى أن البطش الأموي بأهل العراق وسياسة الاذلال والحرمان والنفي فعلت فعلها بأهل الكوفة ، فلقد قتل زياد بن أبيه من شيعة العراق الآلاف ، ونفى عشرات الألوف

نحو جبهات خراسان وما وراء النهر ، ومارس ضدهم سياسة التجمير ، وأطال إبعادهم عن عيالاتهم .

لقد حولت السلطات الأموية جند أهل الشام إلى جيش نخبة منحت قادته وأفراده كل شيء على حساب جنود الأمصار الأخرى ، وأصبح وصف لهذا الجند أنه تحول عن أهدافه في الفتوح إلى قوات لحفظ الخلافة في الداخل ، والبطش من دون هوادة أو رحمة بكل من تحدثه نفسه بالثورة أو بالانتقاد ، وما فعله هذا الجند « يوم الحرة » في استباحة المدينة المنورة ، ثم في حصار مكة ورمي الكعبة بحجارة المنجنيق شواهد معبرة تمام التعبير .

ومع هذا لم يستطع هذا الجند مواجهة جند الثورة العباسية الحسنة التنظيم ، ثم إن الأمويين أرادوا إبادة آل البيت ، فأخفقوا ، فها هم آل البيت ، وخلال العصور الإسلامية في مشارق دار الإسلام ومغاربها ، في حين لم يبق على ظهر الأرض من يدعي النسب إلى معاوية أو مروان .

وفي هذا مصداق لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلْ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ .

## الهوامش :

- [١] محمد حسين آل كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ، ط . بيروت ( ب . ت . ) ، ص ٨٧ .
- [٢] تاريخ دمشق لابن عساكر ( مخطوطة الظاهرية ) ج ٥ ، ورقة ٢٨١ ؛ بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ، ط . دمشق ١٩٨٨ ، ج ٧ ، ص ٣١٥٧-٣١٦٠ .
- [٣] المغازي النبوية للإمام الزهري ، ط . دمشق ١٩٨١ ، ص ١٤٣-١٤٦ .
- [٤] الزهري ، المصدر نفسه ، ص ١٦٨-١٧٣ .
- [٥] الزهري ، المصدر نفسه ، ص ١٦٩ .
- [٦] الفتوح لابن الأعمش الكوفي ، ط . بيروت ١٩٩٢ ، ص ٨٠٦ .
- [٧] تاريخ الطبري ، ط . دار المعارف ، القاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٣٢-٢٣٣ .
- [٨] فتوح ابن الأعمش ، مصدر سابق ، ص ٨٠٦ .
- [٩] الحسين بن علي وحجر بن عدي لابن العديم ، ط . دمشق ١٩٨٩ ، ص ١٤١-١٤٧ .
- [١٠] تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٦٩-٧٢ ، كما يستفاد من الرواية الخاصة بالمغيرة بن شعبة واتهامه بالزنا .
- [١١] أنساب الأشراف للبلاذري ، ج ٤ ، ص ٢١١ ، ( القسم الأول من ط . القدس ) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، ط . بيروت ١٩٦٠ ، ص ٢١٧-٢٢٠ . تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٢٥٣-٢٥٧ . تاريخ دمشق لابن عساكر ( مخطوطة الظاهرية ) ج ٤ ، ورقة ١٣٢ د . ط . بغية الطلب لابن العديم ، ج ٥ ، ص ٢١٠٩-٢١١٠ .
- [١٢] البلاذري ، مصدر سابق ، ج ٤ ص ٢١١ . ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج ٤ ورقة ١٣٣ وابن العديم ، مصدر سابق ، ج ٥ ص ٢١١٢-٢١١٣ .
- [١٣] البلاذري ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢١٣ . الطبري ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢٥٩-٢٥٧ .
- [١٤] البلاذري ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢١٤ . الطبري ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢٥٩-٢٥٦ .
- [١٥] البلاذري ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٠-٢٢١ .
- [١٦] البلاذري ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٣-٢٣٠ . الطبري ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢٦٥-٢٧٧ . ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ورقة ١٣٤ د . ط . ابن العديم ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢١١٠-٢١١٢ .
- [١٧] الطبري ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٣٢٥-٣٢٧ . ابن عساكر ، ترجمة الإمام الحسين ، ص ٢١٠-٢١٥ . ابن العديم ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٢٥٨٠-٢٥٨٧ .
- [١٨] الطبري ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ .
- [١٩] ابن أعمش ، مصدر سابق ، ص ١٤٠٢ . الطبري ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٣٥٢ .
- [٢٠] ابن أعمش ، مصدر سابق ، ص ١٤٢٩-١٤٩٠ . الطبري ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٣٨٢-٣٨٩ . ابن عساكر ، مصدر سابق ، ص ٢٦٩-٢٧٣ . ابن العديم ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٢٦٤٦-٢٦٥٥ .
- [٢١] أبو حنيفة الدينوري ، الأخبار الطوال ، ط . القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٤٤-٢٦١ . ابن عساكر ، مصدر سابق ، ص ٢٨٧ . ابن العديم ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٢٦٦٧-٢٦٢٥ .
- [٢٢] أبو بكر بن العربي ، العواصم من القواصم ، ط . الجزائر ١٩٧٤ ، ص ٤٥٠-٤٥٧ .
- [٢٣] انظر : محتويات كتاب المقتل المنسوب لأبي مخنف ، ط . بيروت ، ١٩٨٣ .
- [٢٤] المقرئ ، النزاع ، مصدر سابق ، ص ٢٧-٣١ .
- [٢٥] ابن أعمش الكوفي ، مصدر سابق ، ص ١٥٥٧ .
- [٢٦] سورة البقرة ، الآية : ١٢٨ .

[٣٣] ابن أعثم ، مصدر سابق ، ص ٢٠٨٨ - ٢٠٩٣ . الطبري ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٢٦١ - ٢٦٣ .  
 [٣٤] ابن أعثم ، مصدر سابق ، ص ٢٠٩٠ - ٢١٠٣ .  
 [٣٥] ابن أعثم ، مصدر سابق ، ص ٢٠٩١ - ٢١١٢ .  
 [٣٦] الطبري ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ١٦٠ - ١٩١ . أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ط . القاهرة ١٩٤٩ ، ص ١٢٧ .  
 ١٥١ .  
 [٣٧] محمد بن محمد بن النعمان ، الشيخ المفيد ، كتاب الإرشاد ، ط . بيروت ١٩٧٩ ، ص ٢٣٥ .

[٢٧] سورة الأعراف ، الآية : ٢٣ . ابن أعثم الكوفي ، مصدر سابق ، ص ١٥٦٩ .  
 [٢٨] ابن أعثم الكوفي ، مصدر سابق ، ص ١٥٧٠ - ١٥٨٠ .  
 [٢٩] ابن أعثم الكوفي ، مصدر سابق ، ص ١٥٨١ - ١٥٨٣ .  
 البلاذري ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢١٦ - ٢٢٠ .  
 [٣٠] المصدر نفسه .  
 [٣١] ابن أعثم ، مصدر سابق ، ص ١٥٨٥ - ١٥٨٨ . البلاذري ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢١٤ - ٢٧٣ . الطبري ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ١٦٠٥ . الدينوري ، مصدر سابق ، ص ٣٠٦ .  
 [٣٢] طبقات ابن سعد ، ج ٥ ، ص ٢٤٠ . ابن أعثم ، مصدر سابق ، ص ٢٠٨٨ - ٢١١٢ . الطبري ، مصدر سابق ، ج ٨ ، ص ٢٦١ - ٢٦٣ .





# عَالَمِيَّةُ السُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ وَمُشْكَلَةُ مُسْتَجَدَّاتِ الْعَصْرِ وَطُرُقُ مُعَالَجَتِهَا

❖ محاضرات: السيد صدر الدين القبانجي (\*)

.....  
(\*) إمام جمعة النجف الأشرف.



تُعتبر عالمية الرسالة الإسلامية من البدايات والضرورات الدينية لدى جميع المسلمين ، ولم يناقش في ذلك أحد قديماً ولا حديثاً في أوساط الفكر الإسلامي ، إلا أننا قد نسمع اليوم بعض الرؤى الحديثة التي تتحدث عن عروبية السُّنة النبوية واختصاصها بالجزيرة العربية ، تنشأ هذه الرؤية من بشرية النبي ﷺ ، وادّعاء خضوعه لثقافة زمانه ، وسوف يأتي مناقشة هذه الرؤية الحديثة التي تمضي للقول بعروبية القرآن الكريم والرسالة الإسلامية عموماً<sup>(١)</sup> ، وأنّ ادّعاء فكرة العالمية الإسلامية قد نسجتها كتب الحديث ولا وجود لها في القرآن الكريم<sup>(٢)</sup> .

يقول جورج طرابيشي<sup>(٣)</sup> :

( الواقع أنّّه في كتب الحديث وليس في

القرآن ، تمّ تحويل النبي الأمي المرسل إلى قومه إلى نبي مرسل إلى الأمم قاطبة )<sup>(٤)</sup> .

### أدلة العالمية :

والحقيقة أنّ عالمية القرآن والسُّنة النبوية هي كما ذكرنا من البدايات الإسلامية ، ولسنا بحاجة للاستدلال عليها ، فدعوة النبي الأكرم ﷺ للإيمان برسالته لم تكن خاصّة بقوم دون آخرين ، ولقد كان معلوماً وما يزال أنّ الإسلام لجميع الناس ، والقرآن الكريم تصدح آياته بالعالمية حينما يخاطب عموم البشر قائلاً : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ في عشرات الآيات القرآنية .

ورغم وضوح ذلك فإنّ العالمية الإسلامية على

مستوى القرآن والسُّنة النبوية يمكن الاستشهاد لها

بستة أدلة هي عبارة عن :

- ١ - الدليل القرآني .
- ٢ - الدليل الروائي .
- ٣ - الدليل التاريخي .
- ٤ - دليل طبيعة التشريع الإسلامي .
- ٥ - دليل الرؤية المستقبلية .
- ٦ - دليل الشمولية الإسلامية .

### أولاً: الدليل القرآني :

أمّا القرآن الكريم فيمكن الاستشهاد بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ١٠٧ ﴾ ( الأنبياء : ١٠٧ ) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ ( سبأ : ٢٨ ) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ( الأعراف : ١٥٨ ) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ٥٢ ﴾ ( القلم : ٥٢ ) .

وعلى الرغم من أن القرآن الكريم قد يُخصّص الخطاب أحياناً بأمة معينة كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ هَذَا لَازِكُرُّ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ ( الزخرف : ٤٤ ) ، إلا أن هذه الآيات ليس فيها أي دلالة على اختصاص القرآن

الكريم بأولئك القوم ، نعم هو ذكر لهم وهو ذكر لغيرهم أيضاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ٥٢ ﴾ ( القلم : ٥١ و ٥٢ ) ، إذ اعتبر القرآن ذكراً للعالمين . ويتكرّر هذا المعنى في أربعة مواضع في القرآن الكريم حيث يقول : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

ولا شك أن هذه الآيات القرآنية لا تتحدّث عن عالمية القرآن وحده ، بل عالمية رسالة الرسول ﷺ وسنة الرسول ﷺ ، وذاك يعني أن السنة النبوية تتصف بالعالمية كما هو القرآن الكريم .

### ثانياً: الدليل الروائي :

فقد كان رسول الله ﷺ نفسه يقول بحسب رواية جابر بن عبد الله الأنصاري : « بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً »<sup>(٦)</sup> .

بينما يروي الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا محمد ، إنك رسول الله ، وإنك الذي يوحي إليك كما أوحى الله إلى موسى بن عمران ؟

فسكت النبي ﷺ ساعة ، ثم قال : « نعم أنا سيّد ولد آدم ولا فخر ، وأنا خادم النبيّين ، وإمام المتّقين ، ورسول ربّ العالمين » .

قالوا : إلى من ؟ إلى العرب أم إلى العجم أم إلينا ؟

فأنزل الله ﷻ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ( الأعراف : ١٥٨ )<sup>(٧)</sup> .

وفي رواية ثالثة : « والله الذي لا إله إلا هو إنّي رسول الله إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة »<sup>(٨)</sup> .

### ثالثاً : الدليل التاريخي :

أمّا الدليل التاريخي فإنّ التاريخ الإسلامي وتاريخ النبي الأكرم ﷺ كان شاهداً على العالمية الإسلامية ، ويمكن أن نذكر هنا بعض الحوادث :

١ - حين أرسل رسول الله ﷺ رسلاً إلى كسرى وقيصر يدعوهم للإسلام ، كما جاء في ( الطبقات الكبرى )<sup>(٩)</sup> لابن سعد أنّ رسول الله ﷺ أرسل في السنة السابعة للهجرة إلى ملوك ستّة هم : النجاشي ملك الحبشة ، وقيصر ملك الروم ، وكسرى ملك

الفرس ، والمقوقس ملك مصر ، والحاتر ملك البلقاء ، وهؤلاء ملك اليمامة ) ، يقول في كتابه إلى النجاشي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمّد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ، أسلم انت فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . . . ، وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له . . . » ، وكتب إلى هرقل ملك الروم : « أمّا بعد فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتلك الله أجرک مرّتين . . . » .

على ماذا تدلّ هذه الوفود وهذه الرسائل ؟

إنّها تدلّ بشكل واضح على عالمية الرسالة الإسلامية بقرآنها وسنتها ، فالقرآن هو كتاب الله إلى الناس أجمعين ، وسنة رسول الله ﷺ هي سنة للناس أجمعين أيضاً .

٢ - كما أنّ القضية التاريخية المعروفة في معركة الأحزاب حينما حفر المسلمون بأمر النبي ﷺ خندقاً واستعصت عليهم صخرة عاتية تكسّرت عليها ففؤوسهم ، فجاء إليها رسول الله ﷺ وكسّرها بيده قائلاً وهو يكبر : « رأيت قصور كسرى وقيصر »<sup>(١٠)</sup> .

ذكر المؤرخون بينما جماعة من المسلمين يعملون في حفر الخندق إذ ظهرت صخرة بيضاء فكسرت حديد معاولهم ، فأخبروا رسول الله ﷺ ، فجاء ﷺ وأخذ المعول فقال : « بسم الله » ، ثم ضربها فنثر ثلثها وخرج منها نور أضاء ما بين لابتيتها ( آفاق المدينة ) ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إنِّي لأُبصر قصورها الحمر الساعة من مكاني » ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر ، فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت آفاق المدينة ، فقال ﷺ : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنِّي لأُبصر قصر المدائن الأبيض الآن فأبشروا بالنصر » ، ثم ضرب الثالثة ، فخرج نور من قِبَل اليمن فأضاء ما بين المدينة حتَّى كادَّه المصباح في جوف ليل مظلم ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنِّي لأُبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا » .

لاحظوا إنَّ النبيَّ هنا كان يقرأ المستقبل العالمي للإسلام ، وكان يستشرف العالمية الإسلامية ، ولم يكن هذا مجرد أمني وتمنّيات ، إنّما هو إدراك للعالمية الإسلامية ، وعلى هذا الأساس لم يعد أيّ مجال للحديث عن عروبية الرسول ﷺ وقوميته أو محلّيته

وإقليميته ، فهو مبعوث إلى قومه وإلى غيرهم ، وإلى أهل بلده وإلى العالم كلّهُ ، وذلك يعني أنّ قرآنهُ هو قرآن عالمي وسُنَّتُهُ هي سُنَّة عالمية ليست محلّية ولا إقليميّة ولا قومية .

إشكال وجواب :

يقول الحدّاثيون : إنّ النبيَّ الأكرم ﷺ هو ابن قومه وأمّته وثقافته زمانه ومكانه ، فلا بدّ أن تكون سُنَّتُهُ ناطقة وخاصة بأهل ذلك الزمان .

والجواب على ذلك : أنّه كلام صحيح لو كان رسول الله ﷺ إنساناً عادياً لا علاقة له بالسماء ، لكن حينما يكون النبيُّ ﷺ رسولاً من عند الله تبارك وتعالى ، إذن هو أكبر وأوسع من حدود القومية الضيّقة .

وبتوضيح أكثر إننا إذا تعاملنا مع النبيِّ ﷺ بوصفه إنساناً عادياً مقطوعاً عن الوحي والغيب كان هذا الإشكال صحيحاً ، ولكن حينما نتعامل معه بوصفه مبعوثاً من الله تعالى ومكلّفاً بإيصال شريعة إلهية عالمية لكلّ البشر ، فحينئذٍ يكون هذا الإنسان عالمياً في ثقافته وسُنَّتُهُ .



الاختصاص بقومية معينة ، فالقرآن الكريم حينما يتحدث قائلاً: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ ( الانشقاق : ٦ ) ، أو حين يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ ( النساء : ١ ) ، فهذه لا تقبل أي تخصيص بقومية معينة ، ومثلها حين تنتقل إلى آيات التشريع الإسلامي ، حين يقول مثلاً في قصة هابيل وقايل : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ( المائدة : ٣٢ ) ، فرغم أن هذا الخطاب والتشريع نزل في أمة معينة وهم بنو إسرائيل إلا أن دلالات هذا الخطاب وفحوى هذا التشريع لا تقبل التخصيص ببني إسرائيل وحدهم ، بل هي ذات صبغة عالمية .

ومثل ذلك يجري على السُّنة النبوية أيضاً ، فإن يكون الرسول ﷺ بصدد معالجة مشاكل في قومه العرب هم من أبناء الجزيرة ، هذا أيضاً لا يُمثّل شاهداً على اختصاص تلك السُّنة بالقومية العربية ، بل هي حالة ميدانية ، فقد كان النبي ﷺ يعيش مع هؤلاء القوم ، إذن يجب أن يعالج مشاكلهم ، إلا أن هذه

وهكذا حين يقول القرآن الكريم : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ ( إبراهيم : ٤ ) ، هذا أيضاً صحيح ، ولكنه لا يدل على اختصاص الرسالة الإسلامية بأولئك القوم ، إنما الحديث هنا عن لغة الخطاب ، فالخطاب يجب أن يكون مفهوماً للمخاطبين ، فكان يتعين أن يكون بلسان قومه .

إذن ولمزيد من التوضيح نقول : هناك فرق بين أمرين :

١ - حدود اللغة التي نزل بها الخطاب ، والناس الذين عايشهم وخاطبهم النبي ، ٢ - سعة الخطاب في مداوله التشريعية والعقيدية .

فإن لغة الخطاب يجب أن تكون هي اللغة السائدة في بلدة النبي وعند الناس الذين يخاطبهم ويكلمهم ، وأما مدلول الخطاب في أبعاده التشريعية والعقيدية فإنه يتسع بسعة الرسالة التي جاء بها .

#### رابعاً : دليل طبيعة التشريع الإسلامي :

كما أن طبيعة التشريع الإسلامي وكذلك العقيدة الإسلامية هي شاهد على العالمية وعدم

### خامساً : دليل الرؤية المستقبلية :

لقد استشرف رسول الله ﷺ آفاق المستقبل الإنساني البعيد ، وتلك هي الرؤية المستقبلية التي تحدّث بها رسول الله ﷺ حين كان يقول بما ثبت عنه بالتواتر : « لا تقوم الساعة حتّى يخرج رجل من ولدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً »<sup>(١٥)</sup> ، فإنّ هذا استشراف للعالمية « يملأ الأرض قسطاً وعدلاً » ، فالمسألة هي أوسع بكثير من الأيّام المعدودة التي عاشها نبيّنا ﷺ أو المنطقة المحدودة جغرافياً التي تحرّك فيها .

### سادساً : دليل الشمولية :

بل إنّ الرسالة الإسلامية ذات صبغة شمولية فهي لم تكن خاصّة بالإنسان ، بل هي تشمل جميع الإنس والجانّ ، ولهذا جاء القرآن الكريم متحدّثاً عن الجنّ في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ ( الجنّ : ١ ) ، وهكذا حينما نقرأ في الدعاء المعروف بدعاء الندبة للإمام الثاني عشر عليه السلام : « وبعثته إلى الثّقليّن من عبادك »<sup>(١٦)</sup> .

المعالجات قابلة للامتداد لأمثالها من الحالات والمشاكل عالمياً وحيث ما تكون الحالات المماثلة لها ، وتبعاً لمدلول النصّ الذي قاله الرسول ﷺ .

فحينما يقول رسول الله ﷺ في الحديث المعروف عنه مثلاً : « من لم يهتم بأُمور المسلمين فليس بمسلم »<sup>(١٧)</sup> ، أو حين يقول : « من كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار »<sup>(١٨)</sup> ، أو حين يقول : « الخلق عيال الله فأحبّ العباد إلى الله أنفعهم لعياله »<sup>(١٩)</sup> ، فإنّ هذه التشريعات نجد المسحة العالمية فيها واضحة وليس المسحة القومية .

إذن يجب أن نخضع في معرفة سعة مساحة النصّ إلى دلالاته اللغوية وليس إلى الجماعة المخاطبة به ، وإذا لاحظنا ذلك فسنجد أنّ السُنّة النبويّة لا تقبل أبداً الاختصاص بأبناء الجزيرة أو غيرهم من العرب دون من سواهم من العالمين ، كيف وقد قال رسول الله ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »<sup>(٢٠)</sup> ؟ فهل يقبل ذلك أن تكون سُنّته خاصّة بالعرب أو خاصّة بأهل زمانه ! ؟

والقرآن الكريم يؤكد أن الإنسان هو المكلف على الأرض ، كما أن الكائن الآخر وهو الجن يخضعون للتكليف الإلهي أيضاً ، ولهذا كان منهم من آمن ومنهم من كفر حينما تحدّث عنهم القرآن الكريم بالقول : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۙ ﴾ ( الجن : ١٤ ) .

لاحظوا ذلك أيضاً في قصّة سليمان تاريخياً حين سخر الله تعالى له الجن بين يديه ، كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَذَا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ۙ ﴾ ( النمل : ٣٩ ) ، إذن لغة النبوات الإلهية هي أوسع من المحيط البشري ، بل هي ذات طابع شمولي ، وهذا هو ما نُسميه بالشمولية الإسلامية .

وعلى ذلك فإنّ سُنّة رسول الله ﷺ لم تكن

خاصّة بقوم من دون آخرين ، ولا بزمان من دون آخر ، بل هي عامّة شاملة .

### خلاصة هذا البحث :

يتلخّص هذا البحث في أنّ السُنّة النبويّة كما هو في القرآن الكريم تتمّتع بصفة العالمية الزمانية والمكانية ، وذلك من خلال الاستدلال على ذلك بسنّة أدلّة هي : الدليل القرآني ، والدليل الروائي ، والدليل التاريخي ، وطبيعة التشريع الإسلاميّة ، ودليل الشمولية ، ودليل الرؤية المستقبلية .

ويؤكد هذا البحث على أنّ النبي ﷺ من خلال ارتباطه بالسماء قادر على تجاوز ثقافته المحلية وحدوده البشرية .

## مشكلة مستجدّات العصر وطرق معالجتها

في مجال النفس والوراثة والجينات ، وإلى الطبّ وزراعة الأعضاء .

### المستجدّ الثاني : ثقافات جديدة :

ظهور ثقافات جديدة في عالم الإنسان ، ثقافة ( حقوق الإنسان ) ، ثقافة ( حقوق المرأة ) ، ثقافة ( المساواة ) ، ثقافة ( حقّ الشعوب ) ، ثقافة ( الحرّية ) ، ثقافة ( الانتخابات ) ، ( حقوق العمّال ) ، ( المجتمع الدولي ) ، ( التعدّدية ) ، هذه ثقافات جديدة لم تكن مألوفة من قبل .

### المستجدّ الثالث : انتهاء اليقين والجزمية :

انتهاء الجزمية وانتهاء اليقين ، بمعنى أنّ المجتمع الإنساني كان يعيش نظام اليقينيّات ، فليده

### مشكلة مستجدّات العصر :

كيف يمكن للسُنّة النبويّة أن تستوعب المستجدّات العصرية والحوادث الاجتماعية المتغيّرة على مدى السنين والقرون المتמادية وعلى اختلاف الأماكن واختلاف الطبائع البشرية والتقاليد الاجتماعية ؟

ما هي مستجدّات العصر ؟

إنّ العصر الحديث قد شهد ثلاثة مستجدّات لم تكن من قبل :

### المستجدّ الأوّل : تسخير الطبيعة :

حيث استطاع الإنسان منذ القرنين الأخيرين أن يُسخّر الطبيعة ويهيمن عليها ويوظّفها لمصالحه سواء في مجال الفضاء أو في مجال البيئة ، وحتّى وصلنا

ثابتة ومكررة لنفسها وعابرة لشروط الزمان والمكان<sup>(١٨)</sup>.

إن جورج طرابيشي في هذا النص يرى الالتزام بالسنة النبوية واعتبارها حجة شرعية لكل زمان ومكان هو الذي منع المسلمين من التطور ومواكبة العصر! وستناول هذا الموضوع بشكل أكثر تفصيلاً في بحوث قادمة، ونكتفي هنا بالموجز.

### المعالجة الحداثية للمشكلة:

لقد حاول الحداثيون أن يعالجوا هذه المعضلة من خلال الدعوة لفتح باب الاجتهاد البشري في الشريعة بشكل مطلق حتى وإن خالف السنة النبوية الشريفة، لاعتبار أن رسول الله ﷺ مجتهد في فهم الوحي كما هم مجتهدون! ولغير ذلك من المبررات، وبالتالي فيجب أن تستمر التجارب البشرية لإثراء الدين وتقديم رؤى وأحكام مختلفة فيه، وليس بالضرورة أن تكون وفقاً لما جاء به القرآن والسنة.

يقول عبد الكريم سروش<sup>(١٩)</sup>:

( التجارب الدينية الأخرى تزيد في ثراء الدين

مجموعة من اليقينيات الفكرية التي تحكمه سواء في مجال اعتقادات بماء وراء الطبيعة أو في مجال الاعتقاد بالطبيعة أو في مجال شؤون الإنسان نفسه، كان الإنسان يعيش مجموعة يقينيات يراها غير قابلة للشك، ولكن العصر الحديث استطاع أن ينسف اليقين، فلم تعد تلك اليقينيات يقينية، بل تحول كثير منها إلى خرافة ووهم، وما زال العلم ينسف يوماً بعد آخر كثيراً من اليقينيات<sup>(١٧)</sup>.

### ما هي المشكلة؟

هذا الموضوع هو الذي يُمثّل مشكلة واجهت مسألة عمومية السنة النبوية وعالميتها، بل هو ما اعتبره الحداثيون سبباً لتخلف الأمة الإسلامية حين أرادت التمسك في هذا العصر بسنة النبي ﷺ التي مضى عليها ما يزيد على أربعة عشر قرناً.

يقول جورج طرابيشي:

( إن يكن التشريع الإسلامي الذي عزا إلى نفسه من خلال السنة المنسوبة إلى النبي مصدراً إلهياً قد صان ذلك الوجود - الإسلامي - وحفظه، فإنّه بالمقابل قد شلّه عن التطور بقدر ما جمّده في وضعية



وبمرور الزمان يتوسّع الدين وينبسط ، ولذلك كانت التجارب الدينية للعرفاء مكّملة وموسّعة للتجربة الدينية للنبيّ ، وبالتدريج سيكون الدين الإلهي أكثر ثراءً وتوسّعاً ، وهذا التوسّع ليس في المعرفة الدينية وشرح النصوص الدينية للنبيّ ﷺ فحسب ، بل إنّّه يحصل في نفس الدين والشريعة (٢٠) .

### نظرية ( الاجتهاد ) تعالج المشكلة :

نحن نعتقد أنّ نظرية ( الاجتهاد ) تعالج مشكلة المستجدّات العصرية ، ولكن يجب أن نعرف أنّ هناك ثلاث نظريات في الاجتهاد :

**النظرية الأولى :** هي ( غلق باب الاجتهاد ) (٢١) على جميع علماء الإسلام سوى أئمّة المذاهب الأربعة في القرن الثاني والثالث للهجرة ، وهم :

١ - الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، المتوفّى عام ( ١٥٠ هـ ) .

٢ - الإمام المالكي ( مالك بن أنس ) ، المتوفّى عام ( ١٧٩ هـ ) .

٣ - الإمام الشافعي ( محمّد بن إدريس ) ،

المتوفّى عام ( ٢٤١ هـ ) .

٤ - الإمام أحمد بن حنبل ، المتوفّى عام ( ٢٤١ هـ ) .

وتدعو هذه النظرية إلى اعتماد آراء هؤلاء الأئمّة الأربعة حصراً ، ولا يحقّ لأحد من المسلمين بعدهم أن يجتهد في فهم أحكام الشريعة الإسلامية .

وهذه النظرية هي النظرية السائدة اليوم لدى أهل السُنّة رغم وجود دعوات مهمّة لفتح باب الاجتهاد .

وفي ضوء هذه النظرية ( غلق باب الاجتهاد ) سوف لا يمكن معالجة مشكلة المستجدّات العصرية ، لضيق السُنّة الشريفة ونصوص القرآن الكريم عن استيعاب المستجدّات المعاصرة ، ومن هنا جاءت دعوات عدد من مشايخ الأزهر الشريف المعاصرين لفتح باب الاجتهاد كما هو لدى الشيعة (٢٢) .

**والنظرية الثانية :** هي فتح ( باب الاجتهاد ) في داخل إطار النصّ الديني لجميع علماء الدين المختصّين في علم الشريعة . وهذه النظرية هي التي نسمّيها بـ ( الاجتهاد الفقهي ) ، والتي تعني أنّ من



حقّ الفقهاء التأمل في نصوص الشريعة ( القرآن والسنة ) لاستنباط الحكم الشرعي في جميع المستجدات المعاصرة ، وهذه هي نظرية شيعة أهل البيت (عليه السلام) (٢٣) .

**والنظرية الثالثة :** هي فتح باب الاجتهاد البشري بشكل مطلق وحتى لو تجاوز النص الشرعي ، وذلك اعتماداً على معطيات الخبرة البشرية . وهذه هي النظرية التي يدعو لها الحداثيون ، ونُسبها بنظرية ( الاجتهاد البشري ) في مقابل ( الاجتهاد الفقهي ) الذي يتحرّك في داخل النص الديني وليس خارجه .

### لماذا الاجتهاد في مقابل النص ؟

ومع الأسف الشديد فإنّ نظرية الاختصاص بالمذاهب الأربعة وغلق باب الاجتهاد (٢٤) على ما سواها هذه النظرية هي التي ولدت تطرفاً حداثياً في عصرنا يدعو لفتح باب الاجتهاد على مصراعيه وفي خارج إطار النص الشريف ، وهذا في الحقيقة لم يكن جديداً في ممارسة الاجتهاد البشري في مقابل النص المقدس ، بل جاء متأثراً ومتأسياً بالموقف الذي تبنته

مدرسة الخلفاء حينما كان الخليفة يجيز لنفسه أن يجتهد ويعمل برأيه ثم يفرضه على الناس في مقابل السنة النبوية الشريفة ، وفي مقابل موقف الرسول (صلى الله عليه وآله) .

ويستشهد الحداثيون باجتهادات كثيرة للخلفاء على خلاف السنة النبوية .

ويمكن أن نعرف ذلك في مواقف عمر بن الخطاب حينما كان يقول : ( متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحزّمهما ) (٢٥) ، فهو يُعطي لنفسه حق التشريع في مقابل سنة النبي وبشكل صريح وعلمي . وهكذا حينما مارس عملية التفاضل في العطاء بين العرب وغير العرب (٢٦) في الوقت الذي لم يكن ذلك معهوداً في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، بل كان المسلمون سواء في العطاء من بيت المال ، لكن الخليفة الثاني أجاز لنفسه أن يخالف رسول الله (صلى الله عليه وآله) . ومثل ذلك في موارد كثيرة قامت مدرسة الخلفاء بتبني نظرية الاجتهاد في مقابل السنة النبوية (٢٧) .

هذا الأمر كانت له امتدادات واسعة في القرن الثالث والرابع للهجرة ، فقد ظهرت وانتشرت مدرسة

( الرأي ) والتي اشتهر بها الإمام أبو حنيفة في العراق ، والتي يُقصد بها اعتماد الاستحسانات العقلية وما تقتضيه المصالح الزمنية حتّى ، وهذا هو ما سُمّي بمدرسة ( الرأي )<sup>(٢٨)</sup> في مقابل تطرّف آخر يُسمّى بمدرسة ( الحديث )<sup>(٢٩)</sup> التي انتشرت وسادت في المدينة المنورة ، والتي تدعو للالتزام بالنصّ النبوي بحذافيره ، وترفض الاجتهاد الفقهي حتّى في داخل إطار النصّ ، وتدعو للجمود على المدلول الحرفي الضيق للنصّ دون الغور في أبعاده ومداليه اللغوية الواسعة .

هنا كانت مدرسة أهل البيت عليهم السلام تُمثّل الحالة الوسطية ، فهي ترفض الرأي خارج النصّ الشرعي كما ترفض الجمود على حرفية النصّ الشرعي وتدعو لممارسة ( الاجتهاد الفقهي ) والتحليل اللغوي في داخل إطار النصّ بحسب معطياته وسياقاته اللغوية والتاريخية .

الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وقفوا بشدّة أمام مدرسة الرأي ، ويمكن أن نسجّل هنا مواقف وكلمات للإمام الصادق عليه السلام حينما كان يقول لأبي حنيفة : « يا

أبا حنيفة بلغني إنك تقيس ؟ » .

قال : نعم ، أنا أقيس .

قال : « لا تقس فإنّ أوّل من قاس إبليس حين

قال : ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَ مِنْ طِينٍ ١٢ ﴾ [الأعراف : ١٢] »<sup>(٣٠)</sup> .

وقد شدّد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام النكير على العمل بالأراء الشخصية لمعرفة أحكام الشريعة الإلهية .

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام : « من أفتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم ، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضادّ الله حيث أحلّ وحزّم فيما لا يعلم »<sup>(٣١)</sup> .

وكان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يُثقفون شيعتهم على رفض العمل بالرأي في دين الله .

ورد عن أبي بصير أنّه قال : قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام : ترد علينا أشياء لا نجدّها في الكتاب والسنة ، فنقول فيها برأينا .

فقال : « أمّا إنك أن أصبت لم تؤجّر ، وإن أخطأت كذبت على الله »<sup>(٣٢)</sup> .

## محاولات أخرى :

لقد كانت هناك محاولات أخرى لمعالجة معضلة المستجدات الزمنية من خلال تمديد فترة السُّنة النبوية وتوسعة دلائل استكشافها .

وذلك بالاعتماد على سُنَّة الصحابة<sup>(٣٣)</sup> .

ثم الاعتماد على سُنَّة أهل المدينة<sup>(٣٤)</sup> .

ثم الاعتماد على فتاوى السلف الصالح باعتبارهم الأقرب والأقدر على معرفة السُّنة النبوية ، فيكون ما يصدر عنهم كأنه صادر عن رسول الله ﷺ .

وبهذا يتم تمديد فترة السُّنة النبوية لتشمل فترة السلف الصالح في القرن الأول والثاني للهجرة وربما الأكثر من ذلك ، حيث تكون سُنَّة السلف الصالح كاشفة عن سُنَّة النبي ﷺ حتّى وإن لم يتحدّثوا عنه ولم ينسبوا له ذلك القول أو الفعل .

لكن كلّ ذلك لم يكن قادراً على ملء الفراغات الهائلة في الإجابة على مئات المسائل المستحدثة التي وردت على العالم الإسلامي ، فقد

كانت سُنَّة الصحابة محدودة بالصحابة أنفسهم وعددهم ومدة صحبتهم القليلة أو مدّة حياتهم بعد رسول الله ﷺ ، ومثل ذلك عن أهل المدينة والسلف الصالح ، فقد انفتح العالم الإسلامي على الملايين من الوقائع والأحداث التي ليس فيها نصّ شرعي ولا سُنَّة صحابة ، ولا أهل المدينة ، ولا فتاوى السلف الصالح ، فما هو الموقف ؟ وكيف نعالج تلك المسائل ؟

## سُنَّة أهل البيت عليه السلام :

أمّا مدرسة أهل البيت عليه السلام فقد وسّعت دائرة السُنَّة النبوية لتشمل سُنَّة أهل البيت عليه السلام باعتبارهم التجسيد الكامل والتطبيق الدقيق الشامل للقرآن الكريم والسُنَّة النبوية ، وورثة علم النبي ﷺ ، وذوي الاطلاع الكامل على سُنَّته ، كما سنشرح ذلك في الفصل الثالث .

ولكن قد يقول قائل : إنّ المعضلة ستعود مرّة أخرى ، وهي أنّ سُنَّة أهل البيت عليه السلام امتدّت إلى منتصف القرن الثالث الهجري وبالتحديد عام ( ٢٦٠ ) للهجرة ، وهي السُنَّة التي توقّف فيها الإمام الحسن

### عناصر المعالجة الشيعية للمشكلة :

ونحن نستطيع أن نُلخص عناصر المعالجة الشيعية لمشكلة مستجدات العصر بما يلي :

١ - السُّنَّة النبويَّة - بعد القرآن الكريم - كافية للإجابة على جميع المواقف التشريعية .

جاء في الحديث الشريف عن سماعة بن مهران ، عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، قال : قلت له : أصلحك الله ، أتى رسول الله ﷺ الناس بما يكتفون به في عهده ؟

قال : « نعم ، وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة » .

قلت : فضاء منه شيء ؟

قال : « لا ، هو عند أهله » (٣٦) .

٢ - أهل البيت عليهم السلام هم الذين يمتلكون العلم الكامل والصحيح بالسُّنَّة النبويَّة ، وكلُّ ما جاء عنهم عليهم السلام فهو صادر عن رسول الله ﷺ .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدِّي ، وحديث جدِّي

العسكري عليه السلام ، وهو آخر إمام من أئمَّة الشيعة قبل غيبة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ، وهي مدَّة محدودة ، فكيف تستوعب الحالات الجديدة التي ستمتدُّ لقرون عديدة وبلدان وحضارات وتقاليد جديدة ؟

كيف أجاب الشيعة على هذا السؤال ؟ وكيف تخلَّصت مدرسة أهل البيت عليهم السلام من هذه المعضلة ؟

هنا كانت ( نظرية الاجتهاد الفقهي ) في داخل إطار النصِّ الشرعي التي اعتمدها شيعة أهل البيت عليهم السلام كما أسلفنا هي طريق الخلاص من هذه المعضلة ، فإنَّ عشرات آلاف الأحاديث الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ولفترة زمنية طويلة امتدَّت لأكثر من قرنين ونصف وفي ظروف اجتماعية وسياسية وثقافية متنوِّعة وبعد إخضاعها للتدقيق السندي ، نعم هذه الموسوعة الكبيرة من أحاديثهم عليهم السلام وسيرتهم ومن خلال اعتماد نظرية ( الاجتهاد الفقهي ) وفتح باب الاجتهاد (٣٥) للفقهاء كافية لفتح آفاق واسعة أمام الفقهاء المجتهدين لاستكشاف الموقف الشرعي من المسائل المستحدثة والمستجدَّة .

حديث الحسين عليه السلام ، وحديث الحسين عليه السلام حديث الحسن عليه السلام ، وحديث الحسن عليه السلام حديث أمير المؤمنين عليه السلام ، وحديث أمير المؤمنين عليه السلام حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله تعالى « (٣٧) .

وفي هذا يقول شاعر أهل البيت عليه السلام (٣٨) :

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهبا

وتعرف صدق الناس في نقل أخبار

فدع عنك قول الشافعي ومالك

وأحمد والمروني عن كعب أخبار

ووال أناساً قولهم وحديثهم

روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

٣ - يحقُّ للفقهاء الاجتهاد الفقهي في

استنباط الحكم الشرعي في المسائل المستحدثة

من خلال اكتشاف القواعد والمداليل الواسعة

لنصوص السُّنة النبويّة، جاء عن الإمام الصادق عليه السلام

قوله : « إنّما علينا أن نُلقي عليكم الأصول وعليكم أن تُقرّعوا » (٣٩) .

٤ - لا يجوز الاعتماد على الرأي والاجتهاد

الشخصي بعيداً عن القرآن والسُّنة، بينما يجوز

الاعتماد على العقل في القطعيّات لا في الظنيّات .

قال الإمام عليّ عليه السلام : « وأتبعوا آثار رسول

الله صلى الله عليه وآله وسُنَّته ، فخذوا بها ، ولا تتَّبِعُوا أهوائكم

ورأيكم فتضلُّوا ، فإنَّ أضلَّ الناس عند الله من أتبع

هواه ورأيه بغير هدى من الله » (٤٠) .

٥ - وقد أكد الفكر الشيعي أنّ السُّنة الشريفة

لا يمكن إثباتها بالظنون والآراء ، وإنَّما تثبت فقط عن

طريق الأخبار الموثَّقة ، كما تثبت عن طريق إجماع

الفقهاء على فتوى معيّنة بحيث يكشف عن تلقّي

ذلك الحكم من المعصوم وإن لم نثر به على خبر ،

وكذلك اعتماد سيرة المتشرّعة (٤١) والمؤمنين من

أصحاب الأئمّة عليهم السلام ، فهي كاشفة عن رضى

المعصومين بتلك السيرة حتّى وإن لم نثر على خبر

ينقل الحكم عن المعصوم عليه السلام .

لقد استطاع شيعة أهل البيت عليهم السلام من خلال

هذه المعالجة وعبر فتح باب الاجتهاد الفقهي كما

شرحنا أن يفتحوا على كلّ مستجدّات ومشاكل

العصر الاجتماعي والاقتصادية والسياسية وبعالجوها

ضمن أُطر الشريعة الإسلاميّة وبما يتناسب مع



استحقاقات التمدن البشري .

### معالجة الفكر السنّي للمشكلة :

أمّا مدرسة الخلافة وهي المدرسة السائدة اليوم لدى أهل السنّة فإنّها اعتمدت في معالجة المشكلة على الأخذ بـ ( الرأي )<sup>(٤٢)</sup> الذي يعني قياس المسائل بعضها على بعض والعمل وفقاً لما تقتضيه المصالح العامة والاستحسان الفقهي .

لكن مدرسة أهل البيت عليه السلام قد رفضت هذا المنهج بشدّة واعتبرته بدعة في الدين وعملاً بالظنون والأذواق كما أسلفنا .

### المعالجة الحداثيّة للمشكلة :

أمّا الفكر الحداثي اليوم فإنّه بحجّة مواكبة العصر ومستجدّاته يحاول أن يتجاوز بشكل صريح وعلني السنّة النبويّة ، ويُسمّي ذلك إلغاء ( سلطة النصّ ) داعياً إلى الخروج على النصّ الشرعي باعتبار ( أنّ سلطة النصّ هي سلطة مضافة وليست سلطة ذاتية )<sup>(٤٣)</sup> ، وهو يقصد بهذا الكلام أنّ حجّية السنّة النبويّة ودلالة نصوصها من خلال

ظهور النصّ وسياقاته هي حجّية عارضة على السنّة النبويّة وطارئة عليها وليست نابعة من موقع النبوة واستحقاقاتها ، وبالتالي فهي قابلة للمناقشة والإنكار ، كما سيأتي شرح ذلك والوقوف عنده في البحوث اللاحقة ، وهذا هو ما عبّرنا عنه بنظرية ( الاجتهاد البشري ) في فهم الشريعة ، إذ يقول الحداثيون : طالما كانت سنّة النبي صلى الله عليه وآله اجتهاداً بشرياً في فهم الوحي ، فمن حقنا جميعاً أن نجتهد كذلك في فهم المقاصد العليا للشريعة واتّخاذ ما يتناسب معها من أحكام ووفقاً لظروفنا وواقعياتنا التي قد تختلف عن الظروف والواقعيات التي عاشها رسول الله صلى الله عليه وآله .

### خلاصة البحث :

يتلخّص هذا البحث في أنّ العصر الحديث شهد مجموعة مستجدّات هي عبارة عن تسخير الطبيعة وثقافات جديدة وانتهاء اليقين والجزميّة ، ومع هذه المستجدّات كيف للسنّة النبويّة أن تتواءم وتعالج مشكلات هذا العصر ؟

وقد أجاب البحث على هذه المشكلة



(الاجتهاد البشري) الذي يتجاوز النصوص الشرعية والذي أمنت به الحداثة.

بالاعتماد على مبدأ (الاجتهاد الفقهي)، فيما نقد مبدأ (غلق باب الاجتهاد) الذي أمنت به المدرسة التقليدية لدى أهل السُّنَّة، ونقد مبدأ اعتماد

### الهوامش:

- [١] في كتاب (دفاع عن القرآن) ناقشنا الإشكاليات على العالمية، فراجع.
- [٢] يقول طرايشي: (جميع المؤولين الذين أرادوا تحويل النبي (الأمي) إلى نبي (أمي) أي نبي أمم الأرض كافة وليس فقط نبي الأميين العرب المرسل بلسانهم منهم وإليهم، ما استطاعوا أن يفوزوا في أي القرآن السُّنَّة آلاف ونيف جميعها، إلا بآية واحدة هي الآية الثامنة والعشرين من سورة سبأ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨). (من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث / جورج طرايشي: ٩٥). (المحقق).
- [٣] جورج طرايشي (١٩٣٩ - ٢٠١٦م)، مفكر وكاتب وناقد ومترجم عربي سوري. من مواليد مدينة حلب عام (١٩٣٩م)، يحمل الإجازة باللغة العربية والماجستير بالتربية من جامعة دمشق. عمل مديراً لإذاعة دمشق (١٩٦٣ - ١٩٦٤م)، ورئيساً لتحرير مجلة دراسات عربية (١٩٧٢ - ١٩٨٤م)، ومحرراً رئيسياً لمجلة الوحدة (١٩٨٤ - ١٩٨٩م). أقام فترة في لبنان، ولكنه غادره، وقد بعد حربه الأهلية، إلى فرنسا التي بقي فيها حتى وفاته متفرغاً للكتابة والتأليف، تميّز بكثرة ترجماته ومؤلفاته حيث ترجم لفرويد وهيغل وسارتر وبرهيهي وغارودي وسيمون دي بوفوار وآخرين. بلغت ترجماته ما يزيد عن مائتي كتاب في الفلسفة والإيديولوجيا والتحليل النفسي والرواية. (ويكيبيديا
- [٤] من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث / جورج طرايشي: ٩٨.
- [٥] كما في سورة يوسف: ١٠٤، وسورة (ص): ٨٧، وسورة التكوير: ٢٧، وسورة القلم: ٥٢.
- [٦] كما رواها البخاري ومسلم.
- [٧] أنظر: تفسير البرهان، في تفسير الآية (١٥٨) من سورة الأعراف.
- [٨] الكامل في التاريخ / ابن الأثير: ٢: ٦١.
- [٩] الطبقات ١: ٢٥٩؛ تاريخ يعقوبي ٢: ٧٧؛ تاريخ الطبري ٢: ٢٩٥.
- [١٠] المصادر السابقة.
- [١١] الكافي / الكليني ٢: باب الاهتمام بأمور المسلمين.
- [١٢] صحيح البخاري ٢: ٨١؛ سنن الترمذي ٤: ١٤٢؛ وغيرهما.
- [١٣] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٥: ٣٥٦، وغيره.
- [١٤] السنن الكبرى / البيهقي ١٠: ١٩٢.
- [١٥] مسند أحمد ٣: ٣٦؛ سنن أبي داود ٢: ٣٠٩؛ مستدرک الحاكم ٤: ٤٦٥.
- [١٦] مفاتيح الجنان / دعاء الندبة للإمام المهدي.
- [١٧] للاستزادة يُنظر: مطارحات في نقد الفكر الحداثي للمؤلف (المطارحة التاسعة). (المحقق).
- [١٨] من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث / جورج طرايشي: ١٠٧.
- [١٩] عبد الكريم سروش (١٩٤٥م) هو الاسم المستعار لحسن

حاجي فرج الدبّاغ، التحق بجامعة لندن في فرع الكيمياء وحصل على الدكتوراه، وكان إضافة لتخصصه في الكيمياء والصيدلة متبحراً في فلسفة العلم ومطلعاً على معطيات أحدث تياراتها النقدية الحديثة وتراث المدرسة الوضعية. ظهر سروروش منذ أوائل الثمانينيات كواحد من الكتاب غزيري الإنتاج في إيران، وعالجت كتاباته الأولى النظريات الماركسية وموضوعات فلسفة العلم، ومن أهم أعماله البارزة في تلك الفترة كتاب (المعرفة والقيمة)، وكتاب (ما هو العلم؟ ما هي الفلسفة؟)، إضافة إلى دراسة نقدية لكتاب محمد باقر الصدر (الأسس المنطقية للاستقراء) نُقلت على العربية ضمن كتاب السيد عمار أبو رغيف بعنوان (الأسس المنطقية للاستقراء في ضوء دراسة الدكتور سروروش) سنة (١٩٨٩م)، وهي السنة التي بدأ فيها سروروش بنشر مقالات (القبض والبسط للشرعية)، وقد أثارت جدلاً واسعاً ونقاشاً حاداً بين المؤيدين والمعارضين، فجمعت بعد ذلك في كتاب حمل العنوان نفسه (القبض والبسط في الشرعية) ونُقل إلى العربية. (ويكيبيديا الموسوعة الحرة). (المحقق).

[٢٠] التجربة الدينية/ عبد الكريم سروروش: ٢٨، نقلاً عن الحادثة والفكر الإسلامي: ٢٢١.

[٢١] سد باب الاجتهاد:

وأرادوا به حظر الاجتهاد بعد أن تمّ غلق أبوابه - على يد بعض السلطات على جميع المكلفين - وحصر الرجوع إلى خصوص المذاهب الأربعة. وقد أرجع الأستاذ عبد الوهاب خلاف ذلك إلى عوامل أربعة نشير إلى أهمّ خطوطها، وهي:

١ - انقسام الدولة الإسلامية إلى عدّة ممالك، وتناحر ملوكها ووزرائها على الحكم ممّا أوجب انشغالهم عن تشجيع حركة التشريع، وانشغال العلماء تبعاً لذلك بالسياسة وشؤونها.

٢ - انقسام المجتهدين إلى أحزاب لكلّ حزب مدرسته

التشريعية وتلامذتها، ممّا دعا إلى تعصب كلّ مدرسة لمبانيها الخاصة أصولاً وفروعاً وهدم ما عداها، (حتى صار الواحد منهم لا يرجع إلى نصّ قرآني أو حديث إلا ليلتمس فيه ما يؤيد مذهب إمامه ولو بضرب من التعسف في الفهم والتأويل)، (وبهذا فנית شخصية العالم في حزيته، وماتت روح استقلالهم العقلي، وصاروا الخاصة كالعامة أتباعاً ومقلّدين).

٣ - انتشار المتطقلين على الفتوى والقضاء، وعدم وجود ضوابط لهم، ممّا أدّى إلى تقبّل سد باب الاجتهاد في أواخر القرن الرابع، وتقييد المفتين والقضاة بأحكام الأنمة، حيث عالجوا الفوضى بالجمود.

٤ - شيوع الأمراض الخلقية بين العلماء والتحاسد والأنانية، (فكانوا إذا طرق أحدهم باب الاجتهاد فتح على نفسه أبواب التشهير به، وحطّ أقرانه من قدره، وإذا أفتى في واقعة برأيه قصدوا إلى تسفيه رأيه وتفنيد ما أفتى به بالحق وبالباطل، فلهذا كان العالم يتقي كيد زملائه وتجريحهم بأنّه مقلّد وناقل، لا مجتهد ومبتكر، وبهذا ماتت روح النبوغ، ولم ترفع في الفقه رؤوس، وضعفت ثقة العلماء بأنفسهم وثقة الناس بهم). (الأصول العامة للفقه المقارن/ محمد تقي الحكيم: ٦٠٠). (المحقق).

[٢٢] من القدماء (هناك من كان يدعو إلى فتح باب الاجتهاد والاعتراض على سيده منذ القرون التي أعلن فيها انسداد بابه حتى يومنا هذا، أمثال أبي الفتح الشهرستاني المتوفى سنة (٥٤٨هـ)، وأبي إسحاق الشاطبي المتوفى سنة (٧٩٠هـ)، والسيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ)، وقد ألّف السيوطي رسالة سماها (الرد على من أخلد إلى الأرض، وجعل أن الاجتهاد في كلّ عصر فرض)، وقدّم لهذه الرسالة بقوله: (إنّ الناس قد غلب عليهم الجهل، وأعماهم حبّ العناد وأصمّهم، فاستعظموا دعوى الاجتهاد وعدّوه منكراً بين العباد، ولم

يشعر هؤلاء الجهلة أنه فرض من فروض الكفايات في كل عصر، وواجب على أهل كل زمان أن يقوم به طائفة في كل قطر).

وقال الشوكاني: (ومن حصر فضل الله على بعض خلقه وقصر فهم هذه الشريعة على من تقدّم عصره، فقد تجرّأ على الله ثم على شريعته الموضوعة لكل عباده، ثم على عباده الذين تعبّدهم الله بالكتاب والسنة).

وقال أبو محمد البغوي: (وفرض الكفاية هو: أن يتعلّم ما يبلغ رتبة الاجتهاد ومحل الفتوى والقضاء ويخرج من عداد المقلّدين، فعلى كافة الناس القيام بتعلّمه، غير أنّه إذا قام من كل ناحية واحد أو اثنان سقط الفرض عن الباقيين، فإذا قعد الكل عن تعلّمه عصوا جميعاً، لما فيه من تعطيل أحكام الشرع، قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، إلى غير هؤلاء من العلماء الكبار الذين كانوا يدعون إلى فتح باب الاجتهاد، ويقفون أمام غلقه).

ومن المعاصرين (استمرّ هذا الصمود أمام غلق باب الاجتهاد إلى القرون المتأخّرة حيث ظهر في العلماء من يدعو إلى فتح بابه من جديد، أمثال السيّد جمال الدين الأسدآبادي المشهور بـ (الأفغاني) الذي كان يقول: (ما معنى باب الاجتهاد مسدود؟ وبأي نصّ سدّ؟ وأي إمام قال: لا يصحّ لمن جاء بعدي أن يجتهد ليتفقّه في الدين ويهتدي بهدي القرآن وصحيح الحديث والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجات الزمن وأحكامه؟).

ومثل الشيخ محمد عبده حيث يقول: (إنّ الحياة الإنسانية للمجتمع الإنساني حياة متطوّرة، ويجد فيها من الأحداث والمعاملات اليوم ما لم تعرفه أمس هذه الجماعة، والاجتهاد هو الوسيلة المشروعة الملائمة بين أحداث الحياة المتجدّدة

وتعاليم الإسلام، ولو وقف الأمر بتعاليم الإسلام عند تفقّه الأنمة السابقين لسارت الحياة الإنسانية في الجماعة الإسلامية في عزلة عن التوجيه الإسلامي، وبقيت أحداث هذه الحياة في بعد عن تجديد الإسلام إيّاها. وهذا الوضع يحرّج المسلمين في إسلامهم).

ومثلهما محمد رشيد رضا حيث يقول: (لا إصلاح إلّا بدعوة، ولا دعوة إلّا بحجّة، ولا حجّة مع بقاء التقليد. فإغلاق باب التقليد الأعمى وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل إصلاح، والتقليد هو الحجاب الأعظم دون العلم والفهم).

وهكذا سارت النهضة ضدّ إغلاق باب الاجتهاد والدعوة إلى فتحه من جديد، بيد الأعلام والمفكرين من علماء إخواننا السّنة). (توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد/ آقا بزرك الطهراني: ٢٦ و ٢٧). (المحقّق).

[٢٣] يقول الشهيد الصدر: (لما كانت مصادر الشريعة محفوظة إلى يومنا هذا في الكتاب الكريم كاملاً بدون نقصان وفي عدد كبير من أحاديث السّنة الشريفة، فمن الطبيعي أن يستمرّ الاجتهاد كتخصّص علمي في فهم تلك المصادر واستخراج الأحكام الشرعية منها، ومن الطبيعي أيضاً أن تنمو خبرات المجتهدين وتراكم لفتاتهم وانتباهاتهم على مرّ الزمن، وتكون للمجتهد المتأخّر دائماً رصيذاً أكبر وعمقاً أوسع في الاستنباط، وهذا من الأسباب التي تدعو إلى عدم جواز جمود المقلّدين على مرّ الزمن، وتكون للمجتهد المتأخّر دائماً رصيذاً أكبر وعمقاً أوسع في الاستنباط، وهذا من الأسباب التي تدعو إلى عدم جواز جمود المقلّدين على رأي فقيه من فقهاء عصر الغيبة طيلة قرن أو قرون، لأنّ ذلك كالجُمود على رأي طبيب كذلك مع نموّ الطبّ بعده وتراكم الخبرات خلال تلك المدّة. ومن هنا كانت رابطة المقلّد بالمرجع الديني رابطة حيّة متجدّدة باستمرار، ويزيدها قدسية ما يتمثّل في المرجع من نيابة عامّة عن الإمام عليه

الصلاة والسلام). ( الفتاوى الواضحة / السيّد محمد باقر الصدر: ٩ ). ( المحقّق ) .

[٢٤] يُنسب الأمر بإغلاق باب الاجتهاد إلى المنتصر العباسي في القرن الثالث للهجرة ، وتطوّر الموقف بالتأكيد على المذاهب الأربعة في القرن الرابع الهجري ، وهناك أقوال تاريخية متضاربة في هذا الأمر حيث يرجعه أكثر المؤرخين إلى القرن الرابع الهجري وآخرون إلى القرن السادس . راجع لمزيد الاطلاع ( تاريخ حصر الاجتهاد ) لأقا بزرگ الطهراني ، وكتاب ( الأشباه والنظائر ) لجلال الدين السيوطي ، و ( الانصاف ) للدهلوي . وكذلك أنظر لمزيد الاطلاع ( الإمام الصادق والمذاهب الأربعة / أسد حيدر ٢ : ١٤٢ و ٥٣٢ ) .

[٢٥] المحلّي / ابن حزم ٧ : ١٠٧ ؛ مسند أحمد بن حنبل ٣ : ٣٢٥ ؛ معرفة السنن والآثار / البيهقي ٥ : ٣٤٥ ؛ وغيرهم .

[٢٦] الدر المنثور ٣ : ٣٥٠ .

[٢٧] أنظر : النص والاجتهاد / السيّد عبد الحسين شرف الدين ، الذي أحصى مائة مورد للاجتهاد في مقابل النصّ .

[٢٨] ( مدرسة الرأي : وكان مركز هذه المدرسة الكوفة ، وأعظم رؤادها أبو حنيفة . ولبعد الكوفة عن المدينة - مركز الحديث والسنة - أثر كبير في ظهور هذه المدرسة ، حيث كان الطابع العام لهذه المدرسة التشدد في قبول السنة ورفض كثير منها ، والاعتماد على القياس والاستحسان وأمثالهما . وصار لهذه المدرسة صدئ كبير يومذاك في العالم الإسلامي ، فكان علماء المسلمين بين مؤيدين لها ومخالفين . وممن وقف أمام هذه المدرسة وزيفها أئمة أهل البيت ، إذ أنّهم كانوا يرفضون العمل بالرأي والقياس ) . ( توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد / آقا بزرگ الطهراني : ٢٣ ) . ( المحقّق ) .

[٢٩] مدرسة الحديث : ومن مظاهر هذه المدرسة الاعتماد على القرآن والسنة فقط ورفض القياس والاستحسان ، ولذلك

وقف بعض رؤاد هذه المدرسة موقفاً عنيفاً أمام مدرسة الرأي ، فرفضوها رفضاً شديداً .

ومن الصعب تحديد موقف هذه المدرسة أمام مدرسة الرأي ، ولكن يبدو أنّ الإمام مالك بن أنس أحد أئمة المذاهب الأربعة كان من المسارعين والدعاة إلى هذه المدرسة ( أي مدرسة الحديث ) ، ثم تمّ تشييدها بيد داود بن علي الظاهري - إمام المذهب الظاهري - ، فكان مالك يهتم بالحديث ولم يعمل بالقياس إلا قليلاً ، حتّى أنّه بكى حين موته وودّ أنّه ضرب في مقابل كلّ مسألة أفنى فيها برأيه سوطاً ! كما ذكر ذلك ابن خلكان في تاريخه . وكان داود بن علي الظاهري يرى العمل بظاهر الكتاب والسنة ويرفض القياس رفضاً باتاً ، لأنّ في عموم الكتاب والسنة - بحسب رأيه - ما يفي بجواب كلّ مشكلة . ( توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد / آقا بزرگ الطهراني : ٢٤ ) . ( المحقّق ) .

[٣٠] وسائل الشيعة ١٨ : باب ٦ / الحديث ٢٤ ، وغيره .

[٣١] المصدر السابق : الحديث ١٢ .

[٣٢] المصدر السابق : الحديث ٣٥ .

[٣٣] يقول الشاطبي : ( سنة الصحابة سنة يعمل عليها ويرجع إليها ، والدليل على ذلك أمور ، والأمور التي ذكرها لا تنهض بإثبات ما يريده ، نعرضها ملخصة :

أحدها : ( ثناء الله عليهم من غير مثوية ، ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها ، كقوله تعالى : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ [آل عمران : ١١٠] ، وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، ففي الأولى إثبات الأفضلية على سائر الأمم ، وذلك يقضي باستقامتهم على كلّ حال ، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة ، وفي الثانية إثبات العدالة مطلقاً ، وذلك يدلّ على ما دلّت عليه الأولى . والجواب على الآية الأولى يقع من وجوه :



أ - أَنَّ إثبات الأفضلية لهم على سائر الأمم ، كما هو مفاد أفعال التفضيل في كلمة ﴿ خَيْرُ أُمَّةٍ ﴾ لا تستلزم الاستقامة لكل فرد منهم على كل حال ، بل تكفي الاستقامة النسبية لأفرادها ، فيكون معناها أَنَّ هذه الأمة مثلاً في مفارقات أفرادها أقل من الأمم التي سبقتها ، فهي خيرهم من هذه الناحية ، هذا إذا لم نقل : إِنَّ الآية إِنَّمَا فضَّلْتهم من جهة تشريع الأمر بالمعروف لهم والنهي عن المنكر ، كما هو ظاهر تعقيبها بقوله تعالى : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ، فلا تكون واردة في مقام جعل الحجية لأقوالهم أصلاً .

ب - أَنَّ التفضيل الوارد فيها إِنَّمَا هو بلحاظ المجموع - ككل - لا بلحاظ تفضيل كل فرد منها على كل فرد من غيرها لنلتزم لهم بالاستقامة على كل حال ، ولذا لا نرى آية منافاة بين هذه الآية وبين ما يدل - لو وُجد - على تفضيل حواري عيسى مثلاً على بعض غير المتوزعين من الصحابة .

ج - أَنَّها واردة في مقام التفضيل لا مقام جعل الحجية لكل ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال وتقريرات ، إذ هي أجنبية عن هذه الناحية ، ومع عدم إحراز كونها واردة لبيان هذه الجهة لا يمكن التمسك بها بحال .

د - أَنَّ هذا الدليل لو تمَّ فهو أوسع من المدعى بكثير ، لكون الأمة أوسع من الصحابة ، ولا يمكن الالتزام بهذا التعميم . ( الأصول العامة للفقهاء المقارن / محمد تقي الحكيم : ١٣٥ ) . ( المحقق ) .

[٣٤] يقول الأستاذ محمد سحكال الجزائري في كتابه ( المذهب المالكي ) : ( ويتحصّل ممّا سبق أَنَّ المقصود بأهل المدينة الذين يُحتجّ بعملهم أو إجماعهم مجموعة العلماء الذين دارت عليهم الفتوى وعرفوا بالفقهاء والرواية من كل طبقة ، ففي زمن الصحابة يُمثّلون بمجتهدي صحابة المدينة وفقهائهم ومحدّثيها ، وفي زمن التابعين هم تابعو المدينة كذلك ، وفي

زمن الطبقة الثالثة هم أتباعهم ... ) . ( أنظر : المذاهب الإسلامية الخمسة / المذهب المالكي : ٤٠٩ ) . [٣٥] ( إِنَّ طبيعة الدين الإسلامي - وأنه خاتم الأديان إلى يوم القيامة - تقتضي فتح باب الاجتهاد ، لما سيواجه الدين في مسيرته من أحداث وتحديات مستجدة ، وموضوعات جديدة لم يكن لها مثل أو نظير في عصر النص ، فلا محيص عن معالجتها ، إمّا من خلال بذل الجهود الكافية في فهم الكتاب والسنة وغيرهما من مصادر التشريع واستنباط حكمها ، وإمّا اللجوء إلى القوانين الوضعية ، أو عدم الإفصاح عن حكمها وإهمالها . والأوّل هو المطلوب ، والثاني سيُشكّل نقصاً في التشريع الإسلامي ، وهو سبحانه قد أكمل دينه بقوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] ، والثالث لا ينسجم مع طبيعة الحياة ونواميسها ) . ( لمحات الأصول / تقرير بحث البروجردي للسيد الخميني : ٤ ) . ( المحقق ) .

[٣٦] وسائل الشيعة ١٨ : أبواب صفات القاضي / الباب ٦ / الحديث ٣ .

[٣٧] وسائل الشيعة ١٨ : أبواب صفات القاضي / باب ٨ / الحديث ٢٦ .

[٣٨] تُنسب هذه الأبيات في كثير من المصادر التي بحثنا فيها إلى ( بعضهم ) ولم يُسمّوه ، وهي مذكورة في كثير من المصادر ، منها : منهاج الكرامة للعلامة الحلي / تحقيق عبد الرحيم مبارك : ٦٧ / ط ١ / ١٣٧٩ هـ ) . ( المحقق ) .

[٣٩] وسائل الشيعة ١٨ : أبواب صفات القاضي / باب ٦ / الحديث ٥١ .

[٤٠] وسائل الشيعة ١٨ : الحديث ٢ . [٤١] يقول الشيخ محمد رضا المظفر تحت عنوان حجية سيرة المتشريعة : ( إِنَّ السيرة عند المتشريعة من المسلمين على فعل شيء أو تركه هي في الحقيقة من نوع الإجماع ... )

والسيرة على نحوين : تارة يُعلم فيها أنها كانت جارية في عصور المعصومين ، وأخرى لا يُعلم ذلك . فإن كانت على النحو الأول فلا شك في أنها حجة قطعية على موافقة الشارع ... ) . ( أصول الفقه / محمد رضا المظفر / ج ٣ / حجة سيرة المتشريعة .

[٤٢] ( في القرن الثاني تطوّرت أسباب الاعتذار والتبرير من ( التأويل ) إلى الرأي ، وكانت مدارس الرأي كثيرة ادّعى بعضهم وجودها في زمن الصحابة في الصدر الأول من الإسلام ، ولكن مدرسة الإمام أبي حنيفة المتوفى ( ١٥٠هـ )

والمواجهة في العراق فاقت بقيّة مدارس الرأي ، فقد بالغ بالأخذ به كمصدر أساسي للأحكام الشرعية ودليل قاطع ، فقد روى الخطيب البغدادي في ترجمة أبي حنيفة من تاريخ بغداد عن يوسف بن أسباط ، قال : قال أبو حنيفة : ( لو أدركني رسول الله وأدركته لأخذ بكثير من قولي ، وهل الدين إلا الرأي الحسن ؟ ) . ( النص والاجتهاد / عبد الحسين شرف الدين : ١٤ / مقدّمة المحقق ) . ( المحقق ) . [٤٣] الإمام الشافعي / نصر حامد : ٣٠ .



# نَقْدُ الْمَنْهَجِ الْفَصْذِيِّ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

❖ الشَّيْخُ غَازِي عَبدُ الْحَسَنِ السَّمَّاكُ (\*)

---

(\*) أستاذ وباحث من البحرين.



## مقدمة

فتح تطور الأبحاث اللغوية لدى الغربيين في ما عُرف بعلم اللسانيات الباب أمام السؤال عن مدى تأثير هذا التطور - لاسيما بعد أن كان الحديث فيها عن اللغة بوصفها لغة مهما كانت ، لا عن لغة محددة - على الدراسات الإسلامية ، أو فقل : على هذا التراث الإسلامي الهائل ، لا سيما وإنَّ جزءاً مهماً منه ابتنى على النصّ ، فارتبط باللغة وقواعدها .

ومن ناحية أخرى شكّل القرآن الكريم ، وتفسيره ، وتأويله المصدر الأول من مصادر المعرفة . ويربط الباحثون الاهتمام باللغة العربية من قبل المسلمين بالقرآن من جهة أنّ نزول القرآن بلغة العرب ولّد هذا الاهتمام ، كما ساهم في تطوّر هذه

اللغة وأبحاثها .

أضف إلى ذلك ارتباط الشريعة بالسنة القولية للنبي ﷺ والمعصومين عند الإماميّة وتطور البحث اللغوي عند الاتجاه الأصولي .

ومن هذه الدراسات ما نشر حديثاً عن المنحى القصدي في التفسير ، وهو ما سنقدّمه هنا في دراسة مختصرة .

### الفرق بين القصديّة والاعتباطيّة :

اللغة : نظام معرفي ، ومعرفيته تعتمد على التفاعل الحيوي بين الحاجة الإنسانية للتعبير ، والواقع الموضوعي ، واللغة المنجز الإنساني الأساس في

الشيء قصده ، أي : نحوه ، وفي الفلسفة ( نظرية القصد ) كانت سائدة لدى فلاسفة العصور الوسطى ، وعندهم القصد : الفعل الذي يتجه فيه العقل نحو الموضوع ليدركه ، والقصدية : هي خاصية الشعور حينما يشير إلى أو يتجه نحو الشيء ليدركه ، وقد استمرت في الفلسفة الغربية وامتدت إلى الفلسفة المعاصرة حيث قام ( برنتانو )<sup>(٢)</sup> بإحيائها وتجديدها في دراساته النفسية وأقنع تلميذه ( ادmond هوسرل )<sup>(٤)</sup> بأهمية فكرته عن القصدية فاقنع بها وطورها في منهجه ( الفونومونولوجي ) .

ونأخذ من المصطلح - عادة - الفهم العام لمعرفة مؤداه ومعناه ، فالشعور لا يمكن أن يفصح عن نفسه إلا حينما يكون مقصده شيئاً محسوساً . والشعور يستخلص معناه من الواقع ( أساساً ) ونعبر عنه بالكلام المحدد للمعنى ويمكن أن نطلق على هذه الكلمات مقاصد أو غايات .

### قصدية اللغة عند عالم سبيل :

اللغة : نظام يتألف من مجموعة من العناصر الصوتية واللفظ ( الكلمة ) ، سلسلة صوتية من الحروف

تطوير المجتمع الإنساني . ويشير ( علماء النفس ) إلى أن اكتساب اللغة استعدادٌ ينبع جذرياً من الجينات البشرية . إن أولويات التعلم تظهر منذ الطفولة حتى عند الأطفال ( الخرس ) .

الاتجاه القصدية وهو ما يسميه صاحب هذه النظرية<sup>(١)</sup> التفسيرية بـ ( المنهج اللفظي ) ، ويعتبره منهجاً جديداً في تفسير القرآن الكريم يعتمد على إلغاء الترادف في اللغة وما يتبعه من اعتباط ، وينظر إلى القرآن بوصفه نظاماً لغوياً محكماً مستقلاً بذاته لا يخضع لقواعد ( الاعتباط اللغوي )<sup>(٢)</sup> .

ونجد هنا من الضروري أن نوضح مفردتي ( الاعتباطية ) و ( القصدية ) :

فالاعتباطية هي عبارة عن جزافية الدلالة واتفاقية الارتباط بين الأسماء ومسمياتها . وقد نظر لهذه النظرية كبار أهل اللغة في الشرق والغرب ، كـ ( عبد القاهر الجرجاني ) و ( دي سوسير ) .

وأما القصدية ، فهي تعني الإيمان بوجود نوع من العلاقة الواقعية بين الدال والمدلول .

### بيان آخر : القصدية : القصد في اللغة إتيان

( الفونيمات ) وتعتبر أساساً حركات طبيعية ( فيزيائية ) تدل على معنى محدد وبالمعنى الذي يجعل الكلمة تختزن قدرة على التعبير عن معنى حسي أو عقلي أو مادي . . ينبع من مفهوم الحركة الأصلية ( أو الجوهرية ) . . إذاً فلا ترادف أو استعارة فلكل مفردة معناها الذي يحدده التسلسل الصوتي لوجود معنى مستقل لكل حرف وهو ما يناقض الرأي القائل بالاعتباطية .

**الاعتباطية :** الاعتباط من حيث الدلالة والمعنى ( أن الأشياء سمّيت بدون وجود صلة بين الشيء وتسميته ) مفهوم تداولته الإنسانية منذ زمن طويل ويذكر النيلي أن محاوره ( كراتيليس ) تذكر موقف ( هيرموجينز ) عندما يقول : " لا يوجد اسم ينسب لشيء معين تمنحه الطبيعة ، ولكن فقط عن طريق العادة والتقاليد لأولئك الذين يستخدمون الاسم والذين يجدون تلك الأسماء " ، وهذه الفكرة ( أي الاتفاق ) على الأسماء هي التي نجحت في النهاية .

فتم تأسيس مبادئ علوم اللغة والبلاغة وأبحاث الدلالة اللفظية عليها . ( كما في عالمنا الإسلامي ) ، حيث تمّ تعميم الفكرة إلى دلالة كلّ الألفاظ ، واعتبر

عبد القادر الجرجاني أول واضح لها . أما في الغرب فقد تم تأسيس الاعتباط على يد العالم اللغوي ( دي سوسير ) فسّماه لأول مرة بالمبدأ الاعتباطي .

### من هو عالم سبيط النيلي :

باحث ومفكر عراقي مهتم بالدراسات القرآنية ، من مواليد عام ١٩٥٦م في بابل .

نشأ في قرية السورة التابعة لناحية النيل شمال مدينة الحلة في محافظة بابل ، وقد أنهى دراسته الثانوية في ثانوية الفيحاء في الحلة ، وأكمل دراسة البكلوريوس والماجستير في جامعة أوديسا / أوكرانيا .

ألقت دراسته الهندسية بظلالها على نظره للقرآن الكريم ككتاب إلهي يحتوي نظاماً هندسياً يليق بالمتحدث العظيم الذي خلق كل شيء بقدر ، فحريّ بكلامه أن يكون دقيقاً ومحتوياً على نظام هندسي متكامل بدءاً من الحروف وصولاً إلى المفاهيم .

وهذا ما دفعه إلى رفض تبني نفس الطرائق الموروثة لدى المفسرين واللغويين في فهم القرآن الكريم . وقد وضع في كتابه ( النظام القرآني ) جملة

من المبادئ لقراءة كتاب الله ومعاملته بطريقة تختلف عن طريقة التعامل مع كلام خلقه ، إيماناً منه بأنّ كلام الخالق قصدي الدلالة ، وكلام خلقه قد يتخلله الاعتبار والعشوائية في توظيف الدلالات كالمجاز ، والترادف ، والمشتراك اللفظي ، وغيرها .

ليس القرآن الكريم هو الوحيد ( قصدي الدلالة ) في نظر عالم سبيط ، وإنّما حديث النبي ﷺ وأهل البيت عليه السلام أيضاً ، بل إنّ يرى أنّ اللغة في الأصل وبشكلها العام ( قصدية الدلالة ) أيضاً ، لكنّ تغيير الظروف الزمكانية والاجتماعية هي التي تتحكم بمدى ثبات قصدية لغة مجتمع ما من عدمه .

وقد أثارت أفكاره زوبعة في وسط الساحة الثقافية بين مؤيد ومعارض . توفي النيلي في يوم ١٧ من شهر أغسطس من سنة ٢٠٠٠م ، عن عمر ٤٤ سنة . حصل النيلي على تأييد ودعم الكثير من الأكاديميين وأساتذة الجامعات في العراق ، خصوصاً بعد بروز نجمه بعد وفاته ، وبعد انتهاء حكم صدام حسين الذي كان يمثل مانعاً رئيسياً من ظهور الفكر النيلي القصدي إلى العلن ، فعقدت بعض الندوات والأمسيات التي تتناول فكره ، فساهمت إلى حد ما في انتشار أفكاره واجتيازها

حاجز الحدود شيئاً فشيئاً لتصل إلى العديد من الدول العربية والإقليمية .

تأثر الكثير من الأكاديميين والمثقفين بأفكاره ونظرياته ، فأخذ بعضهم على عاتقه إكمال ما ابتدأه النيلي ببحوث تعتمد المنهج القصدي الذي أسسه سواءً على الصعيد القرآني أو على الصعيد الفكري بشكل عام كالتأريخ ، واللغة ، والفلسفة . وأصحاب بدعة السفارة في ثوبها الجديد سرقوا هذه المنهجية وأسسوا عليها أفكارهم .

**آثاره : له كتب متعددة ( ١٦ كتاب ) أهمها :**

النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي : وفيه مبادئ المنهج اللفظي لأجل التعامل بقصدية مع كتاب الله . ويعدّ هذا الكتاب من أهم كتبه في المجال القرآني .

### أسس ومبادئ المنهج اللفظي

التعريف بالمنهج اللفظي وغاياته المنهج اللفظي : هو منهجٌ تحليليٌّ لآيات القرآن العظيم يعتمد على قواعد معينة تخصّه ، وله غايات ومبادئ وطرائق



مختلفة عن مناهج التفسير المعتادة .

**وأما غاياته :** فأهمّ غاياته هي الكشف عن نظامه الداخلي ، وفتح الأبواب للمعرفة القرآنية كي تحلّ محلّ المعرفة التجريبية العاجزة عن إحداث التغيير المنشود في النظام الطبيعي سعياً لتغيير العالم وفق الإرادة الإلهية وتحقيق الهدف الأول من الخلق . ومن خلال ذلك تتمّ الإجابة عن جميع المعضلات في أي فرعٍ من فروع المعرفة .

ويقول صاحب النظرية : "ولا يمكن إعطاء تعريفٍ لهذا المنهج أو وصفه بأسطرٍ معدودةٍ ، ولا يمكن كذلك تحديد غاياته . فمن طبيعة هذا المنهج أن التعريف به وتحديد غاياته وخصائصه وطريقة عمله وتنتأجه تتمّ سويةً من خلال تطبيقاته التي لا حدود لها" (٥) .

### مبادئ المنهج اللفظي

ويمكن تلخيص هذه المبادئ الأولية التي هي بديهيات وأسس المنهج اللفظي في عناوين رئيسية ، هي :

### المبدأ الأول : مبدأ عدم الاختلاف في القرآن

يؤمن هذا المنهج أنّ القرآن يخلو من أي اختلافٍ بصفةٍ مطلقةٍ ، ويندرج تحت ذلك إيمانه بانعدام التناقض . وهذا الإيمان له فوائدٌ كثيرةٌ في عملية مراجعة النصّ الديني العام ، منها : إظهار التناقض عند المفسّرين والذي هو نوعٌ من الاختلاف .

### المبدأ الثاني : مبدأ قصور المتلقي

يؤمن هذا المنهج أنّ المخلوق قاصرٌ عن الإحاطة بكلام الخالق قصوراً دائماً . ومعنى ذلك أنّه مهما بلغ من المعرفة بالقرآن فسيظلّ محتاجاً إلى النظر فيه والتفكّر في شأنه . أي أنّ المتكلّم إذا تكلم عن شيءٍ ما فقد تكلم ضمناً عن نفسه أيضاً ، ولمّا كانت معرفة الله لا نهائيةً ، فتبقى معرفة كلامه لا نهائيةً أيضاً .

### المبدأ الثالث : مبدأ التباين عن كلام المخلوقين

يؤمن هذا المنهج بأنّ كلام الخالق مغايرٌ لكلام المخلوقين وإنّ تشابهت بعض الألفاظ اتفاقاً . وفائدة هذا المبدأ هي في أنّه يطبّق لأول مرّة عملياً داخل

منهج تفسيريّ ليكون جزءاً منه ودعامةً من دعائم حركته ، وبذلك يمكنه وضع الحدود الفاصلة بين الكلام المعجز والكلام غير المعجز .

#### المبدأ الرابع : مبدأ خضوع المتلقي للنظام القرآني

يؤمن المنهج اللفظي بأنّ على الباحث الخضوع للنظام القرآني إن أراد التوصل إلى معارف القرآن . فأما معنى النظام القرآني فهو : أن في القرآن نظاماً محكماً شديد الصرامة منتشر في جميع أجزائه بحيث أن اللفظ مفردةً كان أو حرفاً والترتيب أو التسلسل المعيّن للألفاظ في كلّ تركيب هو جزء من هذا النظام ، والخطأ في تصوّر شيء منه في أي موضع يؤدي إلى الخطأ في تصوّر فروع كثيرة متصلة بذلك الموضع . فالعبارة الأصح ليست قولنا : ( أن في القرآن نظاماً محكماً ) بل ( القرآن هو بذاته نظاماً محكماً ) .

وأما معنى الخضوع فهو : أن على المتلقّي السير على ذلك النظام والتحرّك وفقه واكتشاف مسالكه وطرقه . إنّ مبدأ الخضوع للنظام القرآني قد مكّن المنهج من اكتشاف ما أملاه علماء التفسير على القرآن من آراء وما خالفوا فيه نظامه . ( كما يقول

صاحب النظرية ) فالخضوع للنظام القرآني في هذا المنهج لا يعني الاعتراف به وحسب ، بل يعني أن على الباحث أن يكون تابعاً للقرآن لا أن يكون هو قائداً له .

#### المبدأ الخامس : مبدأ التبيين الذاتي

يؤمن المنهج اللفظي بأنّ القرآن مبينٌ لكلّ شيءٍ ومبينٌ لذاته فأما كونه تبياناً لكلّ شيءٍ معلوم من النصّ القرآني نفسه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾<sup>(٦)</sup> ، ومع ذلك فهو يطبّق قواعده على الآية ليرهن أن المقصود بـ ( كلّ شيء ) فيها هو ( كلّ شيء ) فعلاً ، وليس كما قال المفسّرون من أنه ( الأمرُ المُشكّل ) من أمور الدين . وأما كونه مبيناً لذاته فيعتمد على ثلاثة أسس هي :

**الأساس الأول :** إنّ القرآن هو ( نظامٌ محكّم ) . ومعلوم أنّ كلّ نظامٍ محكّم مبينٌ لنفسه من خلال النظام نفسه .

**الأساس الثاني :** وردت في النصوص القرآنية صفة التبيين على ثلاثة مستويات :

الأول منها : أنّه ( تبيانٌ لكلّ شيء ) كما مرّ

سابقاً .

علم .

## والمستوى الثاني : أنه ( قرآن مبین ) أي

مبین بنفسه .

## وأما المستوى الثالث : وهو على مستوى

الآيات ( آیات بینات ) أي بنفسها .

## الأساس الثالث : إن الملة المسلمة قد

أجمعت وأقرت للقرآن أنصافه بصفتين كان قد وصف هو بهما نفسه . الأولى أنه كتاب للهداية والثانية أنه كتاب معجز . واجتماع الصفتين يحتم أن يكون مبیناً لذاته ، بل انفراد كل منهما يحتم ذلك . إذ لو كان مبهماً لفقد القدرة على الهداية ، فلا بد أن يكون ( مبیناً ) وآياته ( بینات ) . وإذا لم يكن مبیناً لذاته كان خلواً من أي نظام فيسقط الإعجاز إذ إن فاقده النظام لا يكون معجزاً .

## المبدأ السادس : مبدأ العلو والشمول

والحاكمة والامتناع يؤمن هذا المنهج بأن القرآن ممتنع عن قبول أي علم أو معرفة غير علمه هو ، فهو متعال على كل علم آخر لأنه كلام الله الذي ( أنزله بعلمه ) . فهو حاكم على كل علم غير محكوم بأي

## مبررات الإعلان عن المنهج اللفظي

إن إعلان هذا المنهج مبررات عديدة تجعل منه ضرورة لا محيص عنها ، ويمكن وضعها اختصاراً في ما يلي :

**أولاً :** إنه المنهج الوحيد الذي يلائم نظام القرآن من حيث كونه كتاباً معجزاً يسري فيه نظام محكم . فالكشف عن النظام القرآني هو الطريق الوحيد لمعرفة القرآن وأسراره وفتح أبواب معارفه وعلومه .

**ثانياً :** إنه الأسلوب الوحيد الذي يعطي المعنى الحق لـ ( التدبر ) وتنفيذ أمره تعالى في قوله : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٧) .

**ثالثاً :** إن الاختلاف في الأمة ، بل في الملل الدينية إنما مرده إلى الاختلاف في الكتب المنزلة ومنها القرآن . فالقضاء على عنصر الاختلاف وسببه يستلزم استخراج المعاني التي لا اختلاف فيها والحقائق التي لا يمكن إنكارها أو تأويلها ليحيي من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .

#### أ. اللفظ :

ويقصد به اللفظ الواحد لا المادة اللغوية وحسب . فكل اشتقاق من مادة ما هو في المنهج اللفظي لفظاً مستقلاً بحد ذاته . فالمفرد مثلاً يختلف عن الجمع . . وهكذا . هذا في المرحلة الأولى ، أما في المرحلة المتطورة فكل محلٍ إعرابيٍّ هو لفظٌ مستقلٌّ أيضاً .

فالألفاظ الآتية مثلاً يعتبرها المنهج اللفظي ألفاظاً مستقلةً في المعنى والوظيفة : كفّار ، أولئك ، لولا ، يوماً ، قل ، كافرون ، رأييت ، أمّ اذا ، الظالم ، آمنت ، الظالمين... وهكذا . وهذا التفريق بين الألفاظ هو الأساس في العمليات البحثية للمنهج اللفظي وفوائده لا تحصى كثرةً .

#### ب. المركّب :

يُقصدُ به اقتران لفظين أو أكثر سوياً لتكوين عبارة أو مقطع قرآني معيّن ، ولا يشترط في المركب أن يكون آيةً كاملةً أو جملةً تامة المعنى مثل : ذلك الفوز العظيم ، والسماء ذات ، بنس القوم ، وحقا بهم ، وقالوا لولا ، فضل الله . . الخ .

ينفع هذا المصطلح في البحث عن الآيات التي

**رابعاً :** لا يمكن إبراء ذمّة المخلوق ما لم يتّبع الشرع الإلهي ، ولا يمكنه اتّباع هذا الشرع ما لم يعرف ما أمره الله به وما نهاه عنه بصورة قاطعة ، كذلك لا يمكنه القطع عند اتّباع أيٍّ من المذاهب والطرائق ، لأنّه إذا قطع بصحّتها فلا يمكنه القطع بصحّة أحكام ذلك المذهب .

**خامساً :** إن هناك دعاوى كثيرةً لمنكري سماوية القرآن ودعاوى للعلماء للردّ عليها . ومنها إنكار كونه كلاماً معجزاً ومنها الادّعاء بتناقض آياته مع بعضها البعض . . وهي دعاوى مستمرة إلى اليوم بسبب ضعف الردود وهشاشتها وبطلان حجّتها .

ولا سبيل إلى قطع دابر تلك الدعاوى من جذورها إلاّ سبيل الكشف عن إعجاز القرآن وإظهار نظامه الداخلي .

#### اصطلاحات المنهج اللفظي

هذه جملة من المصطلحات وهي تعتبر المفاتيح التطبيقية لهذا المنهج .

تتضمن نفس المركب مثل ( والسماء ذات الحبك ) ،  
( والسماء ذات البروج ) حيث اشتركت العبارتان بمركبٍ  
واحدٍ هو ( والسماء ذات ) .

ومرد ذلك عند المنهج هو أن كلّ لفظٍ وضع عن  
قصدٍ في موضعه مقترناً بلفظٍ آخر ، وعند عودته للظهور  
في سياقٍ آخر فيرى المنهج وجود علاقة بينهما في  
الموضعين . وبهذه الطريقة يدّعي اكتشاف حقائق  
كثيرة ، وأدرك وجود النظام الصارم في القرآن الذي  
يمثل حقيقة الإعجاز القرآني .

### ج . التركيب :

ويُقصد به الجملة التامة المعنى ولا يُشترط أن  
يكون آيةً كاملةً ، بل قد يكون شطر آيةٍ أو آيةٍ وشطرٍ أو  
آيتين . استخدم هذا المصطلح لدراسة العبارة القرآنية  
التامة المعنى لأغراضٍ شتى منها إبطال قواعد  
النحويين وتأويلات المفسرين .

### د . الرباط :

يُقصد به اللفظ أو المركب الذي حافظ على  
صورته اشتقاقاً وإعراباً ودخل في تركيبين منفصلين .

ويتألف الرباط من أنطقَةٍ عددها مساوٍ لعدد الألفاظ  
المشتركة . فالأنطقَة قد تمرّ بأكثر من رباطٍ خلال  
النسيج القرآني .

فمثلاً : هناك رباطٌ بنطاقين بين آية النبأ وآية  
صاد : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَـةً إِذَا \* لِلطَّاغِينَ  
مَأْـبَا ۚ ﴾<sup>(٨)</sup> . ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ \* جَهَنَّمَ  
يَصْلَوْنَهَا ﴾<sup>(٩)</sup> .

فالرباط في الآيتين مؤلّفٌ من نطاقين هما :  
( جهنّم ) بالنصب ، و ( للطاغين ) . وكلاهما بنفس  
الصورة في كليهما .

أما ( مأب ) و ( مأبا ) فهذان اللفظان هما مركز أو  
نقطة شدّ هذه الأنطقَة ويسمّيها المنهج بـ ( المشدّ ) ،  
وهو دوماً مختلفٌ إعراباً داخل النطاق .

وينفع هذا المصطلح - كما يُدّعى - في الكشف  
عن بعض المقاصد القرآنية والحقائق المتصلة مع  
بعضها في مختلف المواضع .

### هـ . الاقتران :

يُقصد بالاقتران مجيء ألفاظ بعينها في



التراكيب المختلفة في مواضع متباينة ، أو مجيء مركبات في تراكيب .

مثلاً : تكرار ذكر مفردة ( القلب ) مع مفردة ( الكفر ) في صيغٍ إعرابيةٍ مختلفةٍ يعدُّ في هذا المنهج اقتراناً لفظياً .

وكذلك تكرار ذكر ( العقل ) مع ( الشرك ) ، فهذا يعدُّ اقتراناً لفظياً بين ذكر العقل والشرك .

وبيفيد هذا الاقتران في الكشف عن حقائق جديدة في كل القرآن وعلى مختلف المستويات ويعدُّ أساساً لعمل المنهج .

و . الشعاع :

هو أبسط أنواع الاقتران المنفصل في الطبقة الأولى ، ويشير إلى العلاقة بين لفظين اقترن كلُّ منهما مباشرةً بلفظٍ أو مركَّبٍ ، ولم يتصلا مع بعضهما في كل القرآن في أي موضعٍ مثل : ( والسماء ذات / البروج ) و ( السماء ذات / الحبك ) ( السماء ذات / الرجع ) .

فالبروج والحبك والرجع هي ألفاظٌ مرتبطةٌ

بشعاعٍ مع بعضها البعض . وتفيد معرفة الشعاع حالياً في ( تخمين ) وجود علاقة بين الآيات والسور والوقائع والمفاهيم ، والتنبيه إلى مواضع الأربطة بأخذ عنوان بحثي عنها .

### ز . المحور :

إذا اقترن لفظٌ أو مركَّبٌ بعددٍ من التراكيب ثلاث مراتٍ أو أكثر محافظاً على وضعه الاشتقاقي والإعرابي سويته سَمَاه المنهج محوراً للتراكيب الثلاثة أو ما هو أكثر .

مثل لفظ ( رجال ) بالرفع في هذه التراكيب : ﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ <sup>(١٠)</sup> ، ﴿ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ <sup>(١١)</sup> ، ﴿ رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلَامًا بِسَمَائِهِمْ ﴾ <sup>(١٢)</sup> ، ﴿ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ <sup>(١٣)</sup> ، ﴿ وَلَا يُؤَلِّمُ الْوَيْلَ لِمَنْ يَكْفُرْ ﴾ <sup>(١٤)</sup> . فهذا اللفظ ( رجال ) يعدُّه المنهج محوراً ، وهو بحسب قواعده يعني نفس الشخص في النظام القرآني . وتفيد معرفة المحاور في رصد العلاقات بين الآيات وتوسيع دائرة الاقتران ووضع التسلسل الزمني للحوادث إلى منافع أخرى كثيرة جداً .



## ح . الفارز:

إذا تكرر استخدام مركب معين مثل ( الذين آمنوا ) واقترن به في بعض المواضع مركب آخر مثل ( وعملوا الصالحات ) سُمي المنهج اللفظي المركب الثاني بـ ( الفارز ) . حيث يحدّد المركب الثاني مجموعة أصغر ضمن مجموعة أكبر . يستعمل المنهج هذا المصطلح لمعرفة التفاصيل في مختلف العقائد والتكوينات والفئات من خلال تحديد المجموعات .

## ط . الترتيب :

يُقصد به في هذا المنهج التسلسل الذي عليه الألفاظ في تركيب معين أو في مركب ما . ففي القرآن يكون هذا التسلسل مقصوداً ولا يؤدي المعنى التام سواه .

## ي . المعنى التام :

يُريد به المنهج المعنى الكلّي للجملة التامة ( التركيب ) ، فهو معنى خاص بالجملة لا اللفظ . والمعنى التام لا يُدرك ، ولكن تُدرك أجزاء منه بحسب قوّة الكشف للاقترنات المتصلة والمنفصلة وعدد الطبقات . يُستعمل هذا الاصطلاح لشرح قواعد

المنهج وبيان بعض مناحي الإعجاز .

## ك . المعنى الذهني :

ويقصد به المنهج المعنى المتبادر للذهن عند استلام لفظ أو تركيب معين سماعاً أو قراءة ، ويعتبره المنهج معنى نسبياً متقلّباً في المكان والزمان والأشخاص .

## ل . المعنى الأصلي :

يُقصد به في هذا المنهج المعنى الذي لا يوصف إلاً بجملة طويلة من المفردات لأجل شرح مفردة ما بحيث يكون هذا الشرح جامعاً لكل الاستعمالات الصحيحة ( نسبياً ) ، ويقوم بتصحيح الاستعمالات المعجمية أيضاً . يعثر المنهج اللفظي على المعنى الأصلي من خلال الاقتران في النظام القرآني وعلى ضوئه يتمكّن من تصحيح المعاجم ومعرفة الاستعمال الصحيح من غيره .

## م . المعنى الحركي :

يقصد بالمنهج به المعنى ما قبل الأصلي الذي يطابق حقيقة وجوهر المسمى في حركته الأولى في

الوجود ، وهو المعنى الذي يصف المسمى وصفاً حقيقياً شاملاً . مثال توضيحي : لتوضيح المعاني الثلاثة السابقة نورد المثال الآتي : فلفظ ( تراب ) مثلاً له ثلاث معانٍ هي :

المعنى الذهني : وهو المعنى المتبادر ، وهو متغيرٌ دوماً وينطوي على استعمالات مجازية في كلام المخلوقين كما في قولهم ( وجدته تراباً ) أي لشحوبه إن كان المقصود به رجلاً ، أو لتهمشه إلى قطع ناعمة إن كان المقصود بهذا القول شيئاً من زجاج مثلاً .

المعنى الأصلي : إنَّ المقصود بالتراب وفق هذا المعنى : ( الأجزاء والقطع الدقيقة المتشابهة والتي إذا اجتمعت انبثقت منها حركة ممكنة ) . . وهذا المعنى ممكن إطلاقه على أي شيء يتصف بهذا الوصف وليس فقط على التراب المعروف .

المعنى الحركي : هذا المعنى يصف حقيقة كل جزء ودقيقة فيه ( أي التراب ) وصفاً جوهرياً داخلياً يطابق تكوينها . إذن فالمعنى الذهني هو جزءٌ من المعنى الأصلي اللغوي ، والمعنى الأصلي في اللغة هو جزءٌ من المعنى الحركي . ولما كان القرآن لا يستعمل

إلا المعنى الحركي فإنَّ شرح ألفاظه عن طريق المعنى الذهني الاصطلاحي المتغير يجعل القرآن متناقضاً ويُفقد نظامه المحكم . ولهذا السبب ( أي المعنى الحركي ) قالوا : إنَّ المعنى التام للعبارة القرآنية الكاملة هو شيءٌ لا يُدرك ، وإنَّما تُدرك أجزاء منه عن طريق الاقتران . وبعبارة مختصرة نختمل توصيف المنهج القصدي ، والدليل الذي تتم صياغته لإثبات مدَّعاه مركب من أمور :

١ - أنَّ النظام المحكم في القرآن يقتضي أن يكون لكل لفظ دلالة مختلفة .

٢ - أنَّ الإيمان بالترادف ينافي فكرة الوضع ، أي وضع الألفاظ لمعان محددة من قبل الواضع ، بل وضع الحروف أيضاً .

٣ - أنَّ الالتزام بوجود معانٍ للحروف يمنع من الترادف ودلالة الألفاظ المتعددة على معانٍ واحدة ؛ لأنَّه لا يمكن أن يؤدي المعنى المحدد المقصود للقاتل إلا لفظاً واحداً أو ترتيباً واحداً .

لماذا يرفض فكرة الترادف والمجاز وغيرها من أساليب اللغة العربية ؟

أول ما يمكن ملاحظته على هذا المنهج أنّه يعتمد على نظرية لغوية حديثة تتبنى وضع الحروف وأنّها لها معاني مستقلة في نفسها ، بخلاف ما هو المعروف من أنّ الحروف ليس لها معنى مستقل في نفسها وإنما معناها متقوم بغيرها . وأساس هذه النظرية يبتني على العلامات الصوتية ، أي أنّ للألفاظ دلالة سابقة ثابتة ، وهذا الأمر يجعل اللغات جميعها ترجع الى أصل واحد ، فيما لا يكون للأصوات أي قيمة مسبقة في المبدأ الاعتباري .

وتشكّل هذه الفرضية المسبقة أساساً للانطلاق نحو عملية تخطئة لتراث تفسيري وفقهي وأصولي ممتد لقرون ، دون أن يكون للحل القصدي سوى إشارات قرآنية ونبوية . فهو في الواقع لا يرقى لمستوى المنهج أو النظرية ، وإنما هو فرضية تقوم على أساس التخمين والاحتمال وتستخلص من الاحتمال يقيناً غير مطرد وثابت ، فلذا من المناسب التعبير بالاتجاه بدلاً عن المنهج ، وبالفرضية بدلاً عن النظرية .

ويسجّل هذا الاتجاه إشكالية يعتبرها أساس رفضه لكون القرآن خاضعاً لأساليب اللغة العربية ،

وهي تتمثل في أنه لا فائدة من الاعتقاد بأنّ القرآن هو كلام الله - تعالى - من جهة ، ثم التعامل معه على أنّه يجري مجرى كلام الخلق في ( قواعده وأساليبه ) من جهة أخرى ، إذ النتيجة المتحصلة في النهاية أنّه مثل كلام المخلوقين .

وقد ارتكز سابقاً هذا الاتجاه على مبدأ المغايرة بين كلام الخالق والمخلوقين .

### المناقشة الأولى :

#### معنى نزول القرآن بلغة العرب :

من أهم عوامل حفظ اللغة العربية هو اهتمام المسلمين بها ، هذا الاهتمام الذي كان له منطلقه الديني ، وهو كون القرآن قد نزل بلغة العرب ، ففهم كتاب الله يتوقف على هذه اللغة . وتشكّل الآية ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾<sup>(١٥)</sup> الشاهد الرئيسي على مقولة مشهورة بينهم من أنّ القرآن نزل بلغة العرب وأساليبهم .

الاتجاه القصدي يرفض هذه الفكرة من أساس ، وينحو لتفسير الآية منحى آخر ، فيرى أنّ القرآن له نظامه الخاص ولا يجري على لغة العرب .

يقول هذا الاتجاه : أمّا الآية ، فالله لم يقل إذّه كتاب عربي ، بل قال : إنّه كتاب إلهي بلسان عربي ، واللسان هو شيء غير القواعد والأساليب ، ولعل نظره في ذلك إلى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرَ لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٦) .

### ويلاحظ على هذا الكلام :

الآيات الواردة كلّها تنص على أنّه كتاب عربي ، فلاحظ قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٧) ، وكذلك ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (١٨) ، ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ (١٩) ، ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٠) ، ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (٢١) ، وفي جميع هذه الآيات ورد : ( أنزلناه ) ، ( جعلنا ) ، ( أوحينا ) ، فهل هذا كلّه يدلّ على أنّ القضية هي مجرد لسان ؟ ! ولا أدري ، كيف تم نسيان جميع هذه الآيات مع أنّ طريق القصدية يقتضي ملاحظة كل ما ورد حول هذه المفردة لتحصيل

المعنى .

هذا مضافاً إلى أنّ غموضاً يكتنف المراد من كون القرآن إنّما نزل باللسان العربي فقط دون أن يكون عربياً ، فهل هو مجرد استخدام الحروف العربية دون الخضوع لنظام اللغة ؟ ! هذا ما يظهر أنّه المراد لدى الاتجاه القصدي ، ولهذا يرفض تطبيق قواعد البلاغة العربية على النصّ القرآني .

**وهنا نسأل :** عن السرّ في عدم مخالفة القرآن لقواعد العرب النحوية ، ولماذا راعى رفع الفاعل ، ونصب المفعول ، وغير ذلك من عشرات القواعد ، أي : إنّ سؤالاً يتّجه للتفسير القصدي عن الفرق بين قواعد النحو وقواعد البلاغة حتى يؤمن بتطبيق قواعد النحو دون البلاغة .

مضافاً إلى مسألة أخرى ، وهي قضية الإعجاز القرآني وتحديّ العرب بالإتيان بمثل هذا القرآن ، وليبيان هذا التحدي يقال : إنّ القرآن الكريم كان معجزة ببيانه وأسلوبه - إضافة إلى المضمون - ، وهذا الجانب من الإعجاز لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان بلغة القوم ؛ لأنّ ( التحدي ) - الذي هو محتوى

الإعجاز - إنما يكون مقبولاً إذا كان باللغة التي يتكلم بها الناس ، وإلا فلا معنى لأن نتحدى من يتكلم بلغة بأن يأتي بكتاب من لغة أخرى .

وقد كان التحدي في هذا الجانب من الإعجاز باعتبار ما كان يوليه ذلك العصر من أهمية خاصة للبلاغة والبيان ، الأمر الذي كان له أثر كبير في الخضوع النفسي لهؤلاء العرب لبلاغة القرآن وبيانه .

ومن هذا المنطلق لا تكون دعوى التفسير القصدي بالخروج عن أساليب اللغة العربية البلاغية وعدم نزول القرآن بها إلا خروجاً عن مسألة التحدي هذه ، لأن التحدي في المعجزة إنما يكون بما هو الموجود بين أيدي الناس ، وما كان في أيديهم عبارة عن اللغة العربية بكل ما تحمله من خصائص بلاغية .

### المناقشة الثانية :

يقع هذا الاتجاه التفسيري المبني على الالتزام بوجود معنى للحروف أمام إشكال أساسي ، وهو أنه إذا كان للحرف معنى فهذا يعني عدم وجود ما عرف بالمهمل في اللغة ، وهو الألفاظ التي لا تدل على

معنى .

وللإجابة عن ذلك يقول الاتجاه القصدي : إن هذه المهملات لها معانٍ لم تصل إليها البشرية ، بل هي معانٍ مختزنة ، وتطور البشرية كفيل بإيصالها إلى هذه المعاني .

### ويلاحظ على هذا الكلام :

لا أتصور أن هذه الطريقة التبسيطية لمشكلة أساسية تقف حائلاً أمام هذا الاتجاه كفيلة بحل المشكلة . إن هذه اللغة التي عمرت قروناً لم نجد أن مهملاتها أصبحت لها دلالة على معانٍ .

مضافاً إلى مسألة أخرى أساسية ، وهي أن التفسير القصدي يعتمد على التتبع لاستعمالات المفردة قرآنيّاً ليستخرج المعنى القرآني والذي يقارب ما يصطلح هذا التفسير عليه بالمعنى الحركي .

وهنا إذا أردنا أن نلاحظ قضية تدرّج نزول القرآن وعدم نزوله دفعة واحدة - على مسامع العرب والمسلمين الأوائل بوصفه أمراً قطعياً - فهل كان المسلمون الأوائل - أي في عصر النزول التدريجي - يتوقفون في فهم المعنى



إلى أن يكتمل القرآن ؟ ! أو أن القرآن كان يفهم بما هو ظاهر الكلام بالرجوع إلى ما تحويه أذهانهم من معاني للمفردات والتراكيب اللغوية .

إن ما يصل إليه التفسير القصدي من خلال تتبعه للمفردات سوف يشكل ظهوراً خاصاً ، فهل هذا الظهور هو الظهور العرفي الذي قامت أدلة حجية الظواهر القرآنية - والمبحوثة تفصيلاً في علم الأصول - على إثباته ؟ ! وهكذا تشكل مسألة الحجية عقبة أساسية أمام اعتماد هذا النحو من التفسير .

### المناقشة الثالثة :

ليست مقولة رفض المجاز بجديد التفسير القصدي ، فقد نقل إنكار المجاز في القرآن من ابن القاص من الشافعية ، وابن خويز منداد من المالكية ، وحكي عن داود الظاهري وابنه ، وأبي مسلم الإصبهاني .

وشبهتهم أن المتكلم لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير ، وهو مستحيل على الله سبحانه ، فهو باطل .

ويجيب عنه الزركشي : "بأنه لو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف ، وتثنية القصص وغيره ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن" (٢٣) . وهذا الجواب من قبل الزركشي لم يأت التفسير القصدي على ذكره وتفنيده .

إذا كان الاتجاه القصدي يرفض وجود المجاز في القرآن وكان ذلك ضمن قواعده ، ويرفض الرجوع إلى المعاجم ، مسجلاً عليهم أنهم لم يميزوا المعنى الحقيقي من المجازي ، فكيف يصل إلى المعنى الحقيقي ؟ !

فإن تتبع الاستخدام القرآني وتتبع المفردة اللغوية أو اللفظ المصطلح عنده لن يوصله إلى المعنى الحقيقي ما لم يكن مسبقاً بمعنى ما .

**وهنا نسال :** من أين يأتي هذا المعنى ؟ هل يدخل صاحب هذا الاتجاه إلى عملية التفسير مجرداً عن كل المعاني التي يحملها في ذهنه للمعاني اللغوية ، ويحاول الوصول إلى المعنى ؟ وفي الأساس هل ذلك ممكن حتى نتحدث عنه ؟

والملاحظة الأخرى على مقولة رفض المجاز



تكمّن في ملاحظة الداعي إلى التزام المفسرين بضرورة المجاز في بعض الكلمات ، ويتحدث عبد القاهر الجرجاني في كتابه ( أسرار البلاغة ) عن ضرورة المجاز ، مستشهداً بالآيات الثلاث التالية : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (٢٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (٢٤) ، وقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (٢٥) .

ويقول موضحاً ضرورة المجاز : "لأنّ الإتيان والمجيء انتقال من مكان لمكان ، وصفة من صفات الأجسام ، وأنّ الاستواء إن حمل على ظاهره لم يصح إلا في جسم يشغل حيزاً أو يأخذ مكاناً" . هذا وللمجاز ضرورة أخرى أيضاً ، كما في مثل قوله تعالى :

﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (٢٦) ، فكيف يمكن لهذا المنهج شرح هذه الآية بناء على أنّه لا مجاز ، لا سيما بناءً على تتبع المفردة قرآنيّاً ، وقد ورد في فرعون قوله : ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ (٢٧) ، كما ورد عن فرعون أيضاً : ﴿ فَارَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى \* فَكَذَّبَ

وَعَصَى ﴾ (٢٨) .

وأما المفردة غوى ، فقد نفاه القرآن عن النبي ﷺ في سورة النجم حيث قال تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (٢٩) .

وكذلك قوله تعالى على لسان يونس : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٠) .

ولو أردنا أن نتتبع كلمة ( الظالمين ) لوجدنا أنّ الذم كله ورد مقترناً بهذا اللفظ ، فلاحظ قوله تعالى : ﴿ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣١) ، ﴿ لَا يَدَّأِلُ غَهُدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٢) ، ﴿ لَا أَغْدُوَانِ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٣٣) ، إلى الكثير من الموارد التي وردت فيها هذه المفردة .

وهذا ما نجده في موارد أخرى معنى كلمة ( الضالين ) مثلاً ، فس نجد أنّها وردت في : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (٣٤) ، ﴿ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (٣٥) ، ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيَنَّكَ دِينِي رَبِّي لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ

الضَّالِّينَ ﴿٣٦﴾ .

( إخوان ) في القرآن :

لفظ ( إخوة ) جمع يستخدم في القرآن للإخوة في الرحم فقط ، ولفظ ( إخوان ) هو جمع يستعمل للروابط التي لا تقوم على صلة الرحم .

كما وردت على لسان موسى : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ \* قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٣٧﴾ .

ويستعرض الآيات التي وردت في القرآن ملاحظاً موارد لفظ ( إخوة ) :

فلا بد لهذا المنهج من الالتزام بنحو من التأويل لما ورد على لسان يونس أو موسى .

### تطبيق على هذا الاتجاه :

التقييد بصيغة الجمع مع تعدد الجموع :

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ ﴿٣٨﴾ ، ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ ﴿٣٩﴾ ، ﴿ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجَاً وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ ﴿٤٠﴾ .

أما موارد لفظ ( إخوان ) فهي :

من المعلوم أنّ في العربية أكثر من جمع للمفرد الواحد . وقد دأب أصحاب المعاجم وتابعهم النحويون والمفسرون على اعتبار الجموع المتعددة شيئاً واحداً ، فيقولون مثلاً : ( أخ : مفرد ويجمع على إخوة وإخوان ) .

﴿ وَإِنْ تَخَاطَبُوا عَلَيْهِمُ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ الْكُفْرَ أَكْبَرُ ﴾ ﴿٤١﴾ ، ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ ﴿٤٢﴾ ، ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا صَمُوئِيلَ فِي الْغَمِّ أَنَّهُ لَا يَقْصِرُ وَلَهُ الْوَيْلُ ﴾ ﴿٤٣﴾ ، ﴿ وَفِرْعَوْنَ وَإِخْوَانَهُ لُوطٍ ﴾ ﴿٤٤﴾ ، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ﴿٤٥﴾ .

إنّ هذا النظام الذي يكشف الاتجاه عن بعض خطوطه سيغير - بلا شك - الكثير من المفاهيم والعقائد كما تعلم .

أنّ المنهج اللفظي يكشف النقاب عن هذا الخطأ الفاحش - كما يصفه - الذي أدى إلى اضطراب اللغة عموماً ، والتخبط في معرفة آيات القرآن خصوصاً .

ومثال ذلك التفرقة بين لفظ ( إخوة ) ولفظ

## المناقشة :

الكاتب يصطدم باستخدام القرآن للفظ ( إخوة ) في غير موارد الرحم ، من قبيل ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٤٦) .

كما يعبر في آية أخرى بقوله : ﴿ قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (٤٧) .

هنا يضطر النيلي للتأويل ويمارس ما استنكره على المفسرين ويقول :

الخطاب في آية ( فالف ) موجه للذين آمنوا ، وهؤلاء خليط مختلف عن جماعة ( المؤمنين ) فلذا عبر عنهم ( إخواناً ) - إلى هنا كلامه يتفق مع ما ذهب إليه - ، أما في سورة الحجرات فاللفظ - المؤمنون - يراد به في القرآن من كان مؤمناً حقاً ، فلذلك سمّاهم ( إخوة ) ، لأنّ الصلة بينهم كصلة الأرحام ، بل أعظم . هذا تأويل ، وهو على خلاف الاتجاه الذي يتبناه .

## ملاحظات تطبيقية أخرى :

أولاً : تقدم أنّ التفسير القصدي يُنكر وجود

الكناية في القرآن ، وقد استدللّ لذلك بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٤٨) .

ولم يصوّر لنا هنا كيف يكون التعبير بالكناية من الباطل . مضافاً إلى وجود روايات تتضمن النص على كون هذا التعبير من الكناية ، فقد أورد الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « سألته عن قول الله : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاء ﴾ (٤٩) ، قال : هو الجماع ، ولكن الله ستر يحب الستر ، فلم يسم كما تسمون » (٥٠) .

ثانياً : وقوع المنهج في التأويل والتخريج : لقد تكرر في التفسير القصدي اللجوء إلى التأويل لأيّ مورد يراه مخالفاً لرأي يتبناه .

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ ، ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (٥١) يشنّ التفسير القصدي هجوماً على المفسرين لتصرّفهم في كلمة ( قول ) بالالتزام بأنّ في الآية مجازاً أو بأنّ الله قد خلق الكلام خلقاً ؛ لأنّ القول لا يصدر من الجماد .

ولحل المشكلة يتبنى التفسير القصدي الالتزام

بأن القول هو شيء غير الكلام ، متمسكاً لإثبات ذلك بتتبع مفردة ( القول ) في الاستخدام القرآني ، وذلك في الآيات : ﴿ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (٥٢) ، ﴿ فَالْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٥٣) ، ﴿ وَإِنَّ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ (٥٤) ، ﴿ وَتَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (٥٥) ، ﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٥٦) ، ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٥٧) .

ولكن تتبع هذه المفردة يصطدم بموارد أخرى من قبيل :

﴿ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (٥٨) ، ﴿ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴾ (٥٩) ، ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (٦٠) .

وهنا يدخل التفسير القصدي في عملية تأويل أو توجيه لهذه المفردات الثلاث فيقول :

أ - إنه لو قال ( لا تخضعن بالكلام ) لكان يجيز لهنّ الخضوع بالقول ، وهو في النفس . فإذا خضع قلب المرأة فإنّها قادرة على إيصاله بلا كلام ، فأراد قطع الخضوع من أصله .

ب - أراد سبحانه أن يكون اللين صادراً من قلبيهما ، وهو منتهى الحكمة والعدل والمعروف .

**ويقول ختاماً :** وأما الموارد الأخرى ، فعلى الباحث تدبر ما فيها واكتشاف إشاراتها .

من الواضح أنّ هذا يشكل تطبيقاً تعسفياً يفتح الباب أمام اختلاف في عملية ملاحظة المفردات أراد التفسير القصدي الفرار منه وجعله محوراً أساسياً في هجومه على المفسرين .

**ثالثاً :** إنّ مسألة تغيير زمان الفعل عبر اللجوء إلى التقدير هو أمر تفرضه الضرورة ، فمثلاً في قوله تعالى : ﴿ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ (٦١) يرفض المنهج القصدي التصرف في دلالة فعل ( كان ) على الماضي ، ويشدد النكير فيعتبر أن تقدير ( يكون ) هو من التحريف .

الصَّالِحِينَ ﴿٦٣﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إِذْ أَيْدَتْكَ يَدُ رُوحِ  
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ ﴿٦٤﴾ .

فالفعل ( يكلم ) و( تكلم ) إذا أردنا حمله على  
زمانه - كما هو منهج التفسير القصدي - فلا بد من  
حمله على صورة حصول التكليم فعلاً .

ولعل أوجه ما يمكن أن يقال هنا هو أن المراد  
من قوله : ( في المهد ) هو حالة الصغر والطفولة ، لا  
سيما بملاحظة إتباعها بقوله ( وكهلاً ) في الآية الواردة  
في سورة آل عمران .

**رابعاً :** فرّع التفسير القصدي على نظريته في  
نفي الترادف مقولةً ، وهي أن اختلاف الترتيب في الآي  
القرآني يدل على تكرار الحادثة . وذكر نموذجاً لذلك ما  
ورد من قصة موسى ﷺ مع بني إسرائيل ودخولهم  
القرية .

يقول : إن تكرار الآية مع الاختلاف في الترتيب دليل  
على تكرار الحدث وعدم إمكان حمل المتكرر القرآني على  
أنه حدث واحد . ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا  
هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاذْخُلُوا الْبَابَ  
سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ

ولكننا نقول : لا شك في أن كلمة ( كان ) في  
الآية لا يمكن حملها على صيغة الماضي ، وذلك لأن  
الآية وردت في مقام استغرابهم التكليم ، والاستغراب  
إنما يحصل ممن هو فعلاً في المهد ، لا ممن كان  
كذلك . وقد ذكر المفسرون العديد من الوجوه لحل  
هذه المشكلة ، ومنهم من حملها على الماضي  
القريب ، وهو الجواب الذي تبناه النيلي من جهة أنها  
لما أتت به قومها تحمله لم يكن في المهد ، فيكون  
مرادهم إنه كان قبل أن تأتي به مريم إليهم . ومن  
الأجوبة ما تبناه الطباطبائي في تفسيره ( الميزان ) من  
كون كلمة ( كان ) هنا مجردة عن الزمان . من قبيل  
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾ ﴿٦٢﴾ .

إذن ، هنا مشكلة في الدلالة ، ومهما يكن  
الجواب فإنه لن يخرج عن التصرف في دلالة كلمة  
( كان ) على الماضي ، إلا أن يسعى إلى التأويل ،  
وبهذا يقع في مشكلة أخرى .

مضافاً إلى أن حمل ( كان ) على الماضي  
القريب يصطدم بآيات أخرى ، وهي قوله تعالى :  
﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾



الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٥﴾ ، مع قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦٦) ؛ إذ لا يمكن حمل الآيتين على حدث واحد في التفسير القصدي ، بل الحدث نفسه كان مكرراً في واقعه التاريخي .

وقد التفت المفسرون إلى هذا الاختلاف في التعبير القرآني ، وذكروا وجوهاً لذلك . ونحن لسنا هنا في صدد ملاحظة هذه الوجوه ومدى صحتها ، ولكن لنا أن نتوقف مع التفسير القصدي قليلاً ، وذلك بلحاظ أن الداعي الذي بعثهم للالتزام بتكرار الحادثة عند تغير الترتيب هو تأسيسهم لقاعدة نفي الترادف المتفرعة على إيمانهم بوضع الحروف وكونها ذات معاني ، ولو أردنا أن نسير وفق هذه الطريقة ، فلا بد أيضاً - بل من الأولى - أن يكون تغيير الكلمة موجباً لتعدد الحادثة ، وأن لا يحمل على الحادثة الواحدة ، لوحدة الملاك الحاكم في الموردين ووحدة القاعدة هذه . ولكن هذا لا يمكن الالتزام به ، ولنلحظ بعض الموارد القرآنية كنموذج لذلك :

١- قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ

فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٦٧) . وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴾ (٦٨) . ففي الآية الأولى استخدم القرآن كلمة ( انفجرت ) وفي الثانية ( انبجست ) .

٢- قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ (٦٩) ، وقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ (٧٠) . ففي الآية الأولى استخدم القرآن كلمة ( ولد ) وفي الثانية ( غلام ) ، فهل هذا من تكرار الحدث ؟

٣- قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (٧١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٧٢) . ففي الأولى ( ففزع ) ، وفي الثانية ( فصعق ) .

٤- ولاحظ أيضاً : ﴿ رُدِّدْتُ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ (٧٣) ، و﴿ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ (٧٤) ، وكذلك ﴿ فَأَرْزَلَهُمْ



وتستخلص من الاحتمال يقيناً غير مطرد وثابت ؛ فلذا  
من المناسب التعبير بالاتجاه بدلاً عن المنهج ،  
وبالفرضية بدلاً عن النظرية .

الشَّيْطَانُ ﴿٧٥﴾ ، و﴿ فَوْسَوْسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ ﴿٧٦﴾ .

**ختاماً :** نؤكد ما بينناه سابقاً ، من أنّ ما ذكره  
الكاتب لا يرقى لمستوى المنهج أو النظرية ، وإنما هو  
فرضية تقوم على أساس التخمين والاحتمال ،

### الهوامش :

- [١] هذه التسمية فيها تسامح لما سيتضح من نتيجة البحث .
- [٢] النيلي ، عالم سبيط ، النظام القرآني .. مقدمة في المنهج اللفظي ، إعداد فرقان محمد قي ومهدي الوائلي ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٣ ، مكتبة بلوتو : ١ .
- [٣] فرانز كليمنس أونوراتوس هيرمان برنتانو ١٨٣٨م - ١٩١٧م ، فيلسوف وعالم نفس نمساوي .
- [٤] ادmond هوسرل ١٨٥٩م - ١٩٣٨م ، فيلسوف ألماني ومؤسس الظاهريات .
- [٥] هذا المقطع عبارة عن تلخيص من كتاب النظام القرآني ، للنيلي فيما يرتبط بأسس ومبادئ المنهج اللفظي .
- [٦] سورة النحل : ٨٩ .
- [٧] سورة محمد : ٢٤ .
- [٨] سورة النبأ : ٢١ .
- [٩] سورة ص : ٥٥ .
- [١٠] سورة النور : ٣٧ .
- [١١] سورة الأحزاب : ٢٣ .
- [١٢] سورة الأعراف : ٤٦ .
- [١٣] سورة التوبة : ١٠٨ .
- [١٤] سورة الفتح : ٢٥ .
- [١٥] سورة يوسف : ٢ .
- [١٦] سورة الأحقاف : ١٢ .

- [١٧] سورة يوسف : ٢ .
- [١٨] سورة طه : ١١٣ .
- [١٩] سورة الزمر : ٢٨ .
- [٢٠] سورة فصلت : ٣ .
- [٢١] سورة الشورى : ٧ .
- [٢٢] البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .
- [٢٣] سورة البقرة : ٢١٠ . [٢٤] سورة الفجر : ٢٢ .
- [٢٥] سورة طه : ٥ . [٢٦] سورة طه : ٢١٢ .
- [٢٧] سورة المزمل : ١٦ .
- [٢٨] سورة النازعات : ٢٠ - ٢١ .
- [٢٩] سورة النجم : ٢ .
- [٣٠] سورة الأنبياء : ٨٧ .
- [٣١] سورة الجمعة : ٥ .
- [٣٢] سورة البقرة : ١٢٥ .
- [٣٣] سورة البقرة : ١٩٣ .
- [٣٤] سورة الفاتحة : ٧ .
- [٣٥] سورة البقرة : ١٩٨ .
- [٣٦] سورة الأنعام : ٧٧ .
- [٣٧] سورة الشعراء : ١٩ - ٢٠ .
- [٣٨] سورة يوسف : ٢٨ .
- [٣٩] سورة النساء : ١١ .

- [٤٠] سورة النساء : ١٧٦ .  
 [٤١] سورة البقرة : ٢٢٠ .  
 [٤٢] سورة الإسراء : ٢٧ .  
 [٤٣] سورة الأعراف : ٢٠٢ .  
 [٤٤] سورة ق : ٣ .  
 [٤٥] سورة الحشر : ٢٨ .  
 [٤٦] سورة الحجرات : ١٠ .  
 [٤٧] سورة آل عمران : ١٠٣ .  
 [٤٨] سورة الأحزاب : ٥٣ .  
 [٤٩] سورة النساء : ٤٣ .  
 [٥٠] وسائل الشيعة ، الحر العاملي ، ج ٢٠ باب ٦٧ من كتاب  
 النكاح ح ٣ .  
 [٥١] سورة فصلت : ١١ .  
 [٥٢] سورة الرعد : ١٠ .  
 [٥٣] سورة النحل : ٨٦ .  
 [٥٤] سورة الأنبياء : ١١٠ .  
 [٥٥] سورة طه : ٧ .  
 [٥٦] سورة الأعراف : ٢٠٥ .  
 [٥٧] سورة ق : ١٨ .  
 [٥٨] سورة الأحزاب : ٣٢ .  
 [٥٩] سورة طه : ٤٤ .  
 [٦٠] سورة طه : ١٠٩ .  
 [٦١] سورة مريم : ٢٩ .  
 [٦٢] سورة النساء : ٩٦ .  
 [٦٣] سورة آل عمران : ٤٦ .  
 [٦٤] سورة المائدة : ١١٠ .  
 [٦٥] سورة البقرة : ٥٨ .  
 [٦٦] الأعراف : ١٦١ .  
 [٦٧] البقرة : ٦٠ .  
 [٦٨] الأعراف : ١٦٠ .  
 [٦٩] آل عمران : ٤٧ .  
 [٧٠] مريم : ٢٠ .  
 [٧١] النمل : ٨٧ .  
 [٧٢] الزمر : ٦٨ .  
 [٧٣] الكهف : ٣٦ .  
 [٧٤] فصلت : ٥٠ .  
 [٧٥] البقرة : ٣٦ .  
 [٧٦] الأعراف : ٢٠ .

مِنْ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ

السَّيِّدُ عَبْدُ الْحُسَيْنِ شَرْفُ الدِّينِ قَلْبِشَرْه



## مولده ونشأته :

على اني لا أرى لك ان تقتصر من معرفته على هذا المقدار ، كما لا أرى لك ان تجتزئ بطائر اسمه ، وسعة شهرته في العالم الاسلامي ، وانما أرى ان تتجاوز ذلك إلى الاحاطة بشيء من حياته ؛ وبشيء من ظروفه التي قدرت له هذه الحياة .

ولد السيد عبدالحسين شرف الدين - أورف الله ظلّه - في الكاظمية سنة ١٢٩٠ هـ . من أبوين كريمين تربط بينهما أواصر القربى ، ويوحد نسبهما كرم العرق ، فابوه الشريف يوسف بن الشريف جواد بن الشريف اسماعيل ، وامه البرة ( الزهراء ) بنت السيد هادي بن السيد محمد علي ، منتهيين بنسب قصير إلى شرف

الدين أحد أعلام هذه الاسرة الكريمة .

ثم درج في بيت مهدت له اسباب الزعامة العلمية ؛ ورفعت دعائمه على أعلام لهم في دنيا الاسلام ، ذكر محمود ، وفضل مشهود ، وخدمات مشكورة ، فكانت طبيعة الارث الاثيل ، تحفزه للنهوض من جهة اخرى ، وتربيته الصالحة - كانت قبل ذلك - تصوغه على خير مثال يصاغ عليه الناشئ الموهوب ، فهو أنى التفت من نواحي منشئه الكريم ، استقى النشاط والتوفر على ما بين يديه من حياة : مؤملة لخيره ولخير من وراءه من الناس .

ثم شبل في هذا البيت الرفيع ؛ يرتع في رياض

العلم والاخلاق ، ويتوقل في معارج الكرامة ، فلما بلغ مبلغ الشباب الغض اصطلحت عليه عوامل الخير ، وجعلت منه صورة للفضيلة ، ثم كان لهذه الصورة التي انتزعها من بيته وبيئته وتربيته أثر واضح في نشأته العلمية ، ثم في مكانته الدينية بعدئذ . فلم يكد يخطو الخطوة الاولى في حياته العلمية حتى دلت عليه كفايته ، فعكف عليه طلابه وتلامذته ، وكان له في متنديات العلم في سامراء والنجف الاشرف صوت يدوي ، وشخص يوماً اليه بالبنان .

ومنذ ذلك اليوم بدأ يلتحم نجمه في الاوساط العلمية ، ويتسع اشراقه كلما توسع هو في دراسته ، وتقدم في مراحلها حتى ارتاضت له الحياة العلمية ، على يد الفحول من اقطاب العلم في النجف الاشرف وسامراء ، كالطباطبائي ، والخراساني ، وفتح الله الاصفهاني ، والشيخ محمد طه نجف ، والشيخ حسن الكربلائي ، وغيرهم من اعلام الدين وأئمة العلم .

ولما استوفى حظه العلمي من الثقافة الاسلامية العالية ، كان هو قد صاغ لنفسه ذوقاً عالياً ، ساعدته على انشائه ملكاته القوية ، وسليقته المطبوعة على حسن الاداء ، وتخير الالفاظ ، وقوة البيان ، وذراية اللسان ،

وسعة الذهن ، فكان بتوفيقه بين العلم والفن ممتازاً في المدرسة ، مضافاً إلى ما كان له من الميزة الفطرية في ناحيتي الفكر والعقل .

على انه لم يكتف من مدرسته بتلقي الدروس واكتناز المعارف فقط ، بل استفاد من ملابسات الحياة العامة التي كانت تزدهم على ابواب المراجع من اساتذته ، وانتفع من الاحداث المؤتلفة ، والحوادث المختلفة التي كانت تولدها ظروف تلك الحياة ، فكان يضع لما اختلف منها ، ولما اختلف حساباً ، ويستخرج منه نفعاً ويقدر له قيمة ، وينظر اليه نظرة اعتبار ، ليجمع بين العلم والعمل ، وبين النظريات والتطبيق .

اذن فقد كانت مدرسته - بالقياس اليه - مدرستين : يعاني في إحداها المسائل العلمية ، ويعاني في الثانية المسائل الاجتماعية ، ثم تتزاج في نفسه آثار هذه وآثار تلك مصطلحة على انتاج بطولته .

### في عاملة :

وحين استعلن نضجه ، ولمع فضله في دورات البحث ومجالس المذاكرة والتحصيل ؛ عاد في الثانية والثلاثين من عمره - إلى جبل عامل - جنوب لبنان ،



موقورا مشهورا مملوء الحقائق ، ريان النفس ، وريق  
العود ، ندي اللسان ، مشبوب الفكر ، وكان يوم وصوله  
يوما مشهودا ، قذفت فيه عاملة بابنائها لتستهل مقدمه  
مشرقا في ذراها واجوائها ، واستقبلته مواكب العلماء  
والزعماء والعامه ، إلى حدود الجبل من طريق الشام  
في مباحج كمباحج العيد .

ولم تكن عاملة - وهي منبت اسرته - مغالية أو  
مبالغة بمظاهر الحفاوة به ، أو بتعليق أكبر الآمال  
عليه ، فانها علمت - ولما يمض عليه فيها غير زمن  
يسير - أنه زعيمها الذي ترجوه لدينها ودنياها معا ،  
فتنيط به الامل عن « عين » بعد ان اناطته به عن  
« اذن » ، وتتعلق به عن خبرة ، بعدما تعلق به عن  
سماع ، وتعرف به الرجل الذي يضيف عيانه إلى  
اخباره ، أمورا لم تدخل في الظن عند الخبر .

#### اصلاحه :

وابتدأت في عاملة حياة جديدة ، شأنها الشدة  
في الدين ، واللين في الاخلاق ، والقوة في الحق ،  
والهودة مع الضعفاء ، والامر بالمعروف ، والنهي عن

المنكر ، والتطامن لاهل الدين ، والتواضع للعلماء ،  
وكانت يومئذ اقطاعيات منكرة ، لا تملك العامة معها  
من امر نفسها شيئا ، ولا تفهم من الحياة في ظلها غير  
معناها المرادف للرق والعبودية ، أو لا يفسح لها ان  
تفهم غير ذلك من حياتها الهيئة المسخرة للاقوياء من  
جبابرة الناس وطواغيتهم ، فلما استقر به المقام في  
عاملة ، لم يستطع اقرار هذا النظام الجائح المستبد  
بحقوق الجماعة ، ولم يجد من نفسه ، ولا من ايمانه ،  
ولا من بره ، مساغا للصبر على الاقطاعية هذه ، وإن  
ظاهرها الاقوياء ، والمتزعمون ، والمستعمرون ، وكل  
من يتحلب ضرعها المادي الحلوب ، لذلك ثار بها  
وبهم ، وأنكر عليها وعليهم ، واستغلظ الشر بينه  
وبينهم ، فجمعوا له وأجلبوا عليه ، وسعوا فيه ، وكان  
كل سعيهم بورا .

#### اثر بلاغته :

وكان لمنابره البليغة ، ولاساليب ارشاداته  
البارعة ، اكبر الاثر في تحقيق اصلاحه المنشود ، ولا  
غرو فان للسيد المؤلف مقاما خطايا يغبطه عليه خطباء  
العرب ، ويعتز به الدين والعلم والادب .

وخطابته ككتابته تستمد معانيها وقوتها وغزارتها من ثقافته كلها ، وترتفع في الموضوع الخاص اثناء شتى من معلوماته الواسعة ، فاذا قرأته أو سمعته رأيت مصادر ثقافته كلها منهلة مفتحة الافواه كشرابين الثدي وعروقه ، ترفده من كل موضع وعاه في حياته ما ينسجم وموضوعه الذي هو بسبيله ، وعلى ذوقه الممتاز ان يضع اطراف ما يتدفق اليه في هيكل الموضوع الذي بين يديه ، ويركزه في مكانه ، حتى اذا انتهى انتهى اذن بحثا نافعا كله غذاء ومتاع .

واعظم به - إلى جانب هذه البلاغة - متخيرا لآلى معانيه ، وازياء افكاره يقدرها تقديرا ، ويرصفها رصفا ، ويبعث فيها حياة تنبضها بما يريد لها من دلالة في مفهوم أو من منطوق باوصافه ، واضافاته ، وبكل تأليفه المنسوقة المنسجمة .

ثم اعظم به محدثا اذا تشاجن الحديث وتشقق وانساب على سفينة ، يمخر العباب ، فهناك النكتة البارعة ، والطرفة اللامعة ، والنادرة الحلوة ، والخبر النافع .

من هذا وذاك علقت به النفوس ؛ واجتمع عليه

الرأي ، فقاد للخير وابتغى المصلحة . وتكاملت له زعامة عامة ، يحل منها في شغاف الافئدة والقلوب ، ولم تكن هذه الزعامة مرتجلة مفاجئة ، بل كانت عروقه واشجة الاصول ، عميقة الجذور ، تتصل بالاعلام من آبائه ، والغر من اعمامه واخواله ، ثم صرفت هذا الميراث الضخم يده البانية ، فأعلت اركانه ومدت شطآنه وخلجانه .

#### بيته :

فبيته في ذرى عاملة ، مطنب مضروب ، للقري والضيفان ، تزدحم فيه الوفود ، وتهدى اليه الحشود اثر الحشود ، ويصدر عنه الكروب بالرغد المحمود ، وهو قائم في تيار الموجتين المتعاكستين بالورد والصدر ، هشاشا طلق المحيا لا يشغله تشييع الصادر ، عن استقبال الوارد ، ولا يلهميه حق القائم عن حقوق القاعد ، ولكنه يجمع الحقوق جميعا ويوفق بينها ، فيوزعها عادلة متناسبة .

ولارحيتيه الكريمة جوانب انفع من هذا الجانب ، وابعد اثر ، فهو مفزع يأوي اليه المحتاجون والمكروبون ، وملجأ يلوذون به في الملمات يستدفعون

امتدادا لحركات التحرير ، وارتقاء بها نحو كل ما يحقق العدل ويوطد الامن ، وينعش الكافة على أن السلطات في العهود كلها لم تأل جهدا في مقاومته ، ومناوأة مشاريعه بما تقاوم به السلطات الجائرة من الدس والاضطهاد وقتل المصالح ، ولعل المحن التي كابدها هذا الامام الجليل في سبيل إسعاد قومه ، لم يكابد نارها إلا أفذاذ من زعماء العرب وقادتهم ، ممن ابلوا بلاءه وعانوا عناءه .

وناهيك بما فاجأته به سلطة الاحتلال الفرنسي حين ضاقت به ذرعا ، إذ أوعزت إلى بعض جفاتها الغلاظ باغتياله . واقتحم ابن الحلاج عليه الدار في غرة ، وهو بين اهله وعياله ، دون ان يكون لديه احد من اعوانه ورجاله ، ولكن الله سبحانه وتعالى اراد له غير ما ارادوا ، فكف ايديهم عنه ، ثم تراجعوا عنه صاغرين يتعثرون باذيال الفشل والهوان ، وما يكاد يذيع نبأ هذه المباغطة الغادرة في عاملة ، حتى خفت جماهيرهم إلى صور ، تزحف اليها من كل صوب وحذب ، لتأتمر مع سيدها فيما يجب اتخاذه من التدابير ازاء هذا الحدث ، غير ان السيد صرفهم بعد ان شكرهم ، واجزل شكرهم ، وارتأى لهم ان يمروا

به المكاره ، حين تضيق بها صدور الناس ، وتشتد بهم آلامها ، فاذا طفت بيته ، رأيت ألوان الغايات ، تدفع بألوان من المحتاجين اليه ، المعولين عليه في مختلف احوالهم ، وأوضاعهم الخاصة والعامة ، مما يتصل بدينهم أو دنياهم ، وتراه قائما بين هؤلاء وهؤلاء ، يجودهم بنفحاته العلوية ، ويغدق عليهم من اريحيته الهاشمية ؛ وببذل لهم من روحه وراحته ما يملأ به نفوسهم مرحا وسرورا ، ثم لا يسألهم على ذلك جزاء ولا شكورا .

وها هو لا يزال ، مد الله في حياته ، يملئ على تاريخه من احداثه الجسام ، ومآتيه الغر في خدمة الله والمؤمنين والوطنية الصحيحة ، ما تضيق عنه هذه العجالة .

### خدماته :

أما خدماته المناضلة ضد الاستعمار الاجنبي فحدث عنها ولا حرج ولا يتسع مجالنا هذا لتفصيل القول في ذلك النضال ، ولكن بوسعي ان اقول لك بكلمة مجملة : إن خدماته العظيمة في العهد التركي ، ثم في العهد الفرنسي ، ثم في ايام الاستقلال ، كانت

بالحدث كراما .

ثم تلا هذا الحادث احداث واحداث اتسع فيها الخرق ، وانفجرت فيها شقة الخلاف ، حتى ادت إلى تشريد السيد باهله ومن اليه من زعماء عاملة إلى دمشق ، وقد وصل اليها برغم الجيش الفرنسي الذي كان يرصد عليه الطريق ، إذ كانت السلطة الغاشمة تتعقبه بقوة من قواتها المسلحة لتحول بينه وبين الوصول إلى دمشق ، وحين يئست من القبض عليه ، عادت فسلطت النار على داره في ( شحور ) فتركتها هشيما تذوره الرياح ، ثم احتلت داره الكبرى الواقعة في ( صور ) بعد ان أباحتها للأيدي الاثيمة ، تعيث بها سلبا ونهباً ، حتى لم تترك فيها غالبا ولا رخيصة ، وكان أوجع ما في هذه النكبة تحريقهم مكتبة السيد بكل ما فيها من نفائس الكتب واعلاقيها ، ومنها تسعة عشر مؤلفا من مؤلفاته ، كانت لا تزال خطية إلى ذلك التاريخ .

### في دمشق :

وظل في دمشق تجيش نفسه بالعظائم وتحيط به المكرمات ، في ابهة من نفسه ، ومن جهاده ، ومن

ايمانه ، وكان في دمشق يومئذ مداولات ملكية ، واجتماعات سياسية ، وحفلات وطنية ، تتبعها اتصالات بطبقات مختلفة من الحكومة والشعب ، كان السيد في جميعها زعيما من زعماء الفكر ، وقائدا من قادة الرأي ، ومعقدا من معاهد الامل في النجاح .

وله في هذه الميادين مواقف مذكورة ، وخطابات محفوظة ، سجلها له التاريخ بكثير من الفخر والاعجاب .

ولم يكن بد من اصطدام العرب بجيش الاحتلال ، فقد كانت الاسباب كلها مهيأة لهذا الاصطدام ؛ حتى اذا التقى الجمعان في « ميسلون » واشتبكا في حرب لم يطل امدها ، ودارت الدائرة على العرب لاسباب نعرض عنها .

غادر السيد دمشق إلى فلسطين ومنها إلى مصر بنفر من اهله ، بعد أن وزع اسرته في فلسطين بين الشام ؛ وبين انحاء من جبل عامل ، في مأساة تضيف أدلة إلى الأدلة على لؤم ، فقد ظل ثقل من أهله الذين ذهبوا إلى « عاملة » ليالي وأياما لا يجدون بلغة من العيش يحشون بها معد صغارهم الفارغة ، على أنهم

ثم كان من نتاج تلك الاجتماعات الكريمة هذه ( المراجعات ) التي نحن بصددھا .

### في فلسطين :

وحدثت ظروف دعتھ إلى أن يكون قريبا من عاملة ، فغادر مصر في اواخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة والھ هجرية إلى قرية من فلسطين تسمى ( علما ) تقع على حدود جبل عامل ، وفي هذه القرية هوى الىه اھله وعشيرته ، ولحق به اولياؤه المشردون في هذا الجھاد الديني الوطني ، فكانوا حوله في القرى المجاورة . وكان في ( علما ) كما يكون في جبل عامل من غير فرق كأنه غير مبعد عن داره وبلده ، يتوافد اليه الناس من قريب ومن بعيد ، ولا يكاد يخلو منزله من أفواج الناس ، فيھم الضيوف ، وفيھم طلاب الحاجات ، وفيھم رواد القضاء ، والفقھ ، وفيھم من تستدعه الحياة السياسية أن يعرف ما عند السيد من وجه الرأي .

وانسلخت شھور في ( علما ) تصرفت فيھا الامور تصرفا يرضي السيد بعض الرضا ، وأبّيح للسيد ان يعود إلى عاملة بعد مفاوضات ادت إلى العفو عن

يبدلون من المال اضعاف القيمة ، ويبسطون أكفھم بسخاء نادر ، وأخيرا لم يجدوا حلا بغير توزيع قافلتھم في الاطراف المتباعدة ، بين من بقي من اولياھم واصدقائھم على شيء من الوفاء أو الشجاعة .

### في مصر :

حين وصل مصر احتفلت به ، وعرفته بالرغم من تنكره وراء كوفية وعقال ، في طراز من الهندام على نسق المألوف من الملابس الصحراوية اليوم ؛ وكانت له مواقف في مصر وجهت اليه نظر الخاصة من شيوخ العلم ، واقطاب الادب ، ورجال السياسة ، على نحو ما تقتضيه شخصيته الكريمة .

ولم يكن هذا اول عھده بمصر فقد عرفته مصر قبل ذلك بثمان سنين ، حين زارھا في اواخر سنة تسع وعشرين ، ودخلت عليه فيھا سنة ثلاثين وثلاثمائة والھ هجرية ، في رحلة علمية جمعتھ باھل البحث ، وجمعت به قادة الرأي من علماء مصر ، وعقدت فيھا بينه وبين شيخ الازھر يومئذ - الشيخ سليم البشري - اجتماعات متوالية تجاذبا فيھا اطراف الحديث وتداولوا جوانب النظر في امھات المسائل الكلامية والاصولية ،



المجاهدين عفووا عاما ، والى وعد من السلطة بانصاف  
جبل عامل ، وانهاضه ، واعطائه حقوقه كاملة .

### العودة :

وحين اطمأنت نفسه بما وعدته به السلطة ، عاد  
إلى جبل عامل ، ولم تسمح نفسه بأن يعود  
والمجاهدون مبعدون ، لذلك جعل بيروت طريق عودته  
- وطريقه بعيدة عنها - ليستنجز العفو العام عن  
المجاهدين ، وكذلك كان ، فانه لم يخرج من بيروت  
حتى كان المجاهدون في حل من الرجوع إلى وطنهم  
واهلهم .

ولعل جبل عامل لم يشهد يوما ابهج ولا احشد  
من يوم عودته ، ولعله لن يشهد يوما كهذا اليوم ، يحشر  
فيه الجبل من جبله وساحله ، في بحر من الناس يموج  
بعضه فوق بعض ، وتطفوا فوقه الاعلام رفاة بالبشر ،  
منحنية بالتحية ، والتهتاف ، مجلجلة كجلجة الرعد في  
اذن الجوزاء .

وببدأ من ذلك اليوم موسم للشعر ، تفتقت فيه  
القرائح العاملة عن ذخائر ممتعة من الادب العالي ،  
وتفتحت سلائقهم عن اصدق العواطف ، واسمى

المشاعر تنبض بها قوافيهم تهز المحافل في إبداع  
وتجويد ، صباح ، مساء ، ولقد امتد هذا الموسم الادبي  
زمننا طويلا اجتمع في ايامه ولياليه ضخم القيمة ،  
ضخم الحجم ، يمكن اعتباره مصدرا لتاريخ الفكر  
والسياسة في جبل عامل خلال هذه الفترة .

### منزلته في العالم الاسلامي :

ترتسم على كل افق من آفاق هذا العالم  
الاسلامي ، اسماء معدودة لرجال معدودين ، امتازوا  
بمواهب وعبقريات ، رفعتهم إلى الارجاء الاعلى من  
آفاقهم ، فاذا اسماءهم كالنجوم الالامعة تتلألأ في كبد  
السماء .

أما الذين ترتسم اسماءهم في كل افق من تلك  
الآفاق ، فقليل ، وقليل هم ، وليسوا إلا أولئك الذين  
علت بهم الطبيعة ، فكان لهم من نبوغهم النادر ما  
يجعلهم افضاذاً في دنيا الإسلام كلها ، ومن هؤلاء  
الافذاذ سيدنا المؤلف « اطال الله عمره » فقد شاءت  
الإرادة العليا أن تبارك علمه وقلمه ، فتخرج منهما  
للناس نتاجا من افضل النتاج ، وقد لا أكون مبالغا  
حين استبيح لقلمي ان يسجل : أن السيد المؤلف



## مؤلفاته

وليس أدل على هذا من إنتاجه ، هذا الانتاج الغزير الثري النبيل . وإن مؤلفاته لتشهد بأنه من الحياة العلمية ؛ كمن ينصرف اليها ، ولا يشغل غيرها ، وأدل ما يدل منها على ذلك ، كيفية مؤلفاته لا كميتها ؛ فهي وإن كانت كثيرة حتى بالقياس إلى رجل يتفرغ اليها ، فإنها من الاصاله ، والعمق ، والاستيعاب ، حيث لا تدل على ان مؤلفها رجل يمتحنه الناس بتلك المشاغل ، ويبتلونه بما عندهم من مشاكل ، فهي بما فيها من قوة ، ومتانة ، وغور ، ونحت وتفكير ، أدل على اتصاله الدائم بحياته العلمية من جهة ، وادل على فضله وخصوصية سليقته ، من جهة اخرى .

بهذا الميزان يرجح علم الرجل وفضله ، ثم يرجح به امتياز ما كتب ، وهو امتياز قليل النظير ، فإن المؤلفين المكثرين ، كثيرا ما تظهر عليهم السطحية ، ويميز كتبهم الحشو ، أما المؤلف فليس فيما قرأنا من مؤلفاته مبتذل سطحي ، ولا رخيص سوقي ، بل كل ما كتب انيق رقيق ، رفيع عميق ، يجمع بين سمو الفكر وترف اللفظ ، وهو ما أشرنا اليه في صدر كلامنا من كونه حريصا على المزاجية بين علمه وفنه ، فاذا قرأت

يتقدم بما انتج إلى الطليعة من علماء الشيعة الذين كرسوا حياتهم طوال اعمارهم لخدمة الدين والمذهب . وبهذا استحق ان يتصدر مجلس الخاصة في العالم الاسلامي اليوم .

## حياته العلمية :

وقد يلوح مما قدمنا أن المشاكل الاجتماعية المتراكمة من حوله ، تصرفه عن النظر في حياته العلمية ، وتزحزحه عن عمله الفني . والواقع ان رجلا يمني بما مني به « سيدنا » ينصرف عادة عما خلق له من علم وتأليف ، فإن ما يحيط به من المشكلات يضيق بالنظر في امر المكتبة ، والكتابة ، لولا بركة وقته ، وسعة نفسه ، وقدرة ذهنه .

فهو - على حين انه يوفي حق تلك المشكلات الشاغلة - يوفي حق علمه فيبلغ من المكتبة نصيب الذي تحتاجه حياته العلمية ، وهو منذ ترك النجف الاشرف على اتصال مستمر بالبحث والمطالعة والكتابة والمناظرة . يخلو كل يوم في فتراته إلى مكتبته يستريح إلى ما فيها من موضوعات ، وينسى من وراءها من حياة مرهقة لاغبة .

فصلا علميا خالصا خلت - لقوة اسلوبه ونصاعته - أنك  
تقرأ فصلا ادبيا يروعك جماله المستجمع لكل العناصر  
الادبية .

على أنا حين نتجاوز هذه النقطة ، فمؤلفاته  
كثيرة من حيث الكمية أيضا ، وهذا يضاعف القيمة .  
إنه يدل على ملكة خصبة اصيلة لا يؤخرها أشد العوائق  
عن الاتقان ، وانها لتثبت له بطولة فكر ، واليك ثبنا  
بآثار هذه البطولة .

### لآلئه المنصودة :

١ - المراجعات هذا نموذج صادق لما كتب ، ولا  
اريد ان احدثك عنه فان لسانه أبين من حديثي وانطق .  
طبع في مطبعة العرفان بصيداء سنة ١٣٥٥ ونفدت  
نسخه ، وترجم إلى اللغة الفارسية ، وبلغني انه ترجم  
إلى اللغة الانكليزية ، ترجمه السيد زيد الهندي . وانه  
ترجم إلى اللغة الاوردية ايضا .

٢ - الفصول المهمة في تأليف الامة : كتاب من  
أجل الكتب الاسلامية ، يبحث مسائل الخلاف بين  
السنة والشيعة على ضوء ( الكلام ) والعقل والاستنتاج  
والتحليل . تم تأليفه سنة ١٣٢٧ هـ ، وطبع مرتين

بصيداء - جبل عامل - زاد فيه بالطبعة الثانية سنة  
١٣٤٧ هـ ، والفصول المهمة يغنيك عن مكتبة كاملة  
في موضوعه . يقع في ١٩٢ صفحة قطع النصف .

٣ - اجوبة مسائل موسى جار الله : كتاب على  
صغر حجمه ، عظيم الاحاطة واسع المعلومات ، وهو  
كما يدل عليه اسمه ، أجوبة عن عشرين مسألة سأل  
بها موسى جار الله علماء الشيعة ، وهو يظن ان فيها  
شيئا من الاحراج ، كتكفير الشيعة ، لبعض الصحابة ،  
ولعنهم ، وكنسبة القول بتحريف القرآن للشيعة ، ونسبة  
تحريم الجهاد اليهم أيضا ، وكمسائل البداء والمتعة  
والبراءة والعول وما إلى ذلك ، فكانت أجوبة من أشد ما  
يكون ، تستقي من العلم والتوفر ، وتقوم على البرهان  
والمنطق فلا تترك أثرا للشك ، ولها مقدمة في الدعوة  
إلى الوحدة ، وخاتمة في جهل السائل بكتب الشيعة ،  
وفي بعض ما في كتب السنة من أخلاط . يقع في ١٥٢  
صفحة من القطع الصغير ، طبع في مطبعة العرفان  
بصيداء سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م .

٤ - الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء ، تقع في  
٤٠ صفحة من قطع النصف طبعت مع الفصول المهمة  
في الطبعة الثانية ، وهي من اعمق الدراسات واصحها

بتاريخ رجال .

٨ - فلسفة الميثاق والولاية : وهي رسالة فذة في موضوعها . طبعت في صيداء سنة ١٣٦٠ هـ .

٩ - ثبت الاثبات في سلسلة الرواة : ذكر فيه شيوخه من اعلام اهل المذاهب الاسلامية بكل متصل الاسناد بالنبي ( ص ) وبالأئمة ( ع ) وبالمؤلفات ومؤلفيها من طرق كثيرة متعددة يروي فيها قراءة وسماعا واجازة من اعلام الشيعة الامامية والزيدية ، وعن اعلام السنة ، واستيعاب طرقه كلها طويل ، اقتصر منه على ما جاء في الثبوت وقد طبع في صيداء مرتين .

#### نفائسه المفقودة :

وله غير هذه الروائع الخالدة نفائس ، لولا عدوان سنة العشرين عليها بالحرق والتمزيق ؛ لكانت من الذخائر المحدودة في كنوز العقل والفكر ، ولكنها فقدت في تلك الاحداث المؤلمة ، فمني بفقدانها العلم ، ونسردها فيما يلي كما يذكرها المؤلف في آخر تعليقه على - الكلمة الغراء

منهجها واستنتاجا وأدليها على تدفق القلم : ينبوع .

٥ - المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة : طبع منها المقدمة وتقع في اثنين وسبعين صفحة بقطع النصف يشرح فيها فلسفة المآتم الحسينية واسرار شهادة الطف شرحا دقيقا رائعا .

٦ - ابوهريرة : طبع سنة ١٣٦٥ هـ ، بمطبعة العرفان في صيداء وهو نسق جديد في التأليف وفتح في أدب التراجم بطراز المستوعب المحلل ، ولعله من اجل ما تخرجه المطابع الحديثة بحثا وعمقا وأسلوبا . يبحث حياة ابي هريرة وعصره وظروفه وعلاقاته واحاديثه وعناية الصحاح الست بروايته على ضوء العلم والعقل .

٧ - بغية الراغبين : « مخطوط » كتاب عائلي خاص يؤرخ لشجرة ( شرف الدين ) ومن يتصل بهم من قريب ، وهو كتاب ضخم جليل ممتاز في ادب التراجم بطريقته الخاصة ، وتنسيقه المتقن ، وربما ترجم بعض الاعلام من اساتذة المترجمين في الكتاب وتلامذتهم وقد يترجم عصورهم وظروفهم ، وبهذا تقف منه على كتاب ادبي ممتع رائع ، بل انه تاريخ أجيال ،

- ١ - شرح التبصرة في الفقه على سبيل الاستدلال خرج منه ثلاثة مجلدات تتضمن كتب الطهارة والقضاء والشهادات والمواريث .
- ٢ - تعليقة على الاستصحاب من رسائل الشيخ - في الاصول - في مجلد واحد .
- ٣ - رسالة في منجزات المريض استدلالية .
- ٤ - سبيل المؤمنين - في الامامة - يقع في ثلاثة مجلدات .
- ٥ - النصوص الجلية في الامامة ايضا فيه اربعون نصا اجمع على صحتها المسلمون كافة ، واربعون من طرق الشيعة مجلوة بالتحليل والفلسفة .
- ٦ - تنزيل الآيات الباهرة في الامامة ايضا ، وهو مجلد واحد يبتني على مائة آية من الكتاب نزلت في الائمة بحكم الصحاح .
- ٧ - تحفة المحدثين فيما اخرج عنه الستة من المضعفين . وهو كتاب بكر في الحديث لم يكتب مثله من قبل .
- ٨ - تحفة الاصحاب في حكم اهل الكتاب .
- ٩ - الذريعة رد على بدعة النبهاني .
- ١٠ - المجالس الفاخرة اربعة مجلدات ، الاول في السيرة النبوية ، والثاني في سيرة أمير المؤمنين والزهاء والحسن ، والثالث في الحسين ؛ والرابع في الائمة التسعة عليهم السلام .
- ١١ - مؤلفو الشيعة في صدر الاسلام ، نشر بعض فصوله في مجلة العرفان بصيدا ( راجع العرفان في مجلداته الاول والثاني ) .
- ١٢ - بغية الفائز في نقل الجنائز ، نشر اكثرها في العرفان .
- ١٣ - بغية السائل عن لثم الايدي والانامل ، رسالة علمية ادبية ، فكاھية ، فيها ثمانون حديثا من طريقنا وطريق غيرنا .
- ١٤ - زكاة الاخلاق ، نشرت العرفان بعض فصوله .
- ١٥ - الفوائد والفرائد كتاب جامع نافع .
- ١٦ - تعليقة على صحيح البخاري .
- ١٧ - تعليقة على صحيح مسلم .

١٨ - الاساليب البديعة في رجحان مآثم الشيعة  
يبتني على الادلة العقلية والنقلية وهو في بابه بكر  
جديد .

وله بدايات - وراء ذلك - في مواضيع شتى ،  
بعضها ذهب في المفقودات وبعضها أعيد ولا يزال في  
سبيل الاتمام .

ومؤلفاته كلها تمتاز بدقة الملاحظة ، وسعة  
التتبع وشمول الاستقصاء وصحة الاستنتاج ، وشدة  
الصقل ، وامانة النقل وترباط الجزاء . في خصال تتعب  
الناقد وتحفظ الحاقده .

#### ثقافته :

ولعلك ألممت بنواحي ثقافته من مؤلفاته ، ومما  
حدثناك عنه في هذه الكلمة ، فهو - كما علمت -  
أسس ، وقام بناؤه في النجف الاشرف ، فكان إماما في  
اللغة وعلوم العربية وآدابها ، والمنطق ، والتاريخ ،  
والحديث ، والتفسير ، والرجال ، والرواية والانساب ،  
والفقه والاصول ، والكلام ؛ وما يتصل بهذه العلوم من  
روافد .

هو بالعلوم الاسلامية وما اليها فارس معلم ، لا

يجارى في حلباتها ، ولا يلحق في مضاميرها ، ويمتاز  
بالاضافة إلى ذلك بأدبه القوي الحافل ، وبما يتصل به  
من الاسرار النفسية والاجتماعية والنقد . له في ذلك  
سليقة ملهمة وملكة قوية ترافقان حديثه وقلمه ،  
محاضرة وخطابة ، تأليفا وكتابة ، أنه على الاجمال  
افضل صورة للعالم الاسلامي الضليع الجامع .

#### اخلاقه ومواهبه :

هو طويل الاناة ، ثقیل الحصة ، واسع الصدر لين  
الطبع ، قوي القلب مهلب ، له روعة في النفس ، وتأثير  
يدفعانك لاحترامه وحبه وإن جهلته .

وهو شديد الشكيمة في الحق متوقد الحماسة  
للدین ، لا يعرف هواة ولا لينا حين تهب بادرة للبغي أو  
الباطل ، على انه متواضع كريم هش .

والإنصاف في نفسه موضع يسوي بين القريب  
والبعيد ، الحق رائده . فلا يمنعه حبه لاحبائه من اقامتهم  
على العدل ، ولا يمنعه انصافه - وهو يحكم - من  
الاحتفاظ بالحب في زوايا نفسه لمن يحب ، ومن هنا كان  
العدو والصديق عنده سيات في الحكم على ما يأتيان من  
حسن أو قبح ، في آثارهما وفعالهما .





ومن هنا أيضا كان قدوة : في الورع وصفاء النفس ، ونقاء الضمير ، وقول الحق ، وإلى جانب هذا كله له رأي حصيف ، ونظر بعيد ، يسبر اغوار الناس ويصل إلى حقائق الامور وأعماقها ؛ فلا يخدع من حال ، ولا يغش في ظاهر ، ولا يفتل عن صواب ولا يغر في رياء .

يعنى باقدار الناس ، ويوفيههم فوق ما يستحقون ، ويشجعهم على إيتاء الخير ، ويرهف الناشئة العلمية للالتقان والتجويد ، فيبالغ لهم في الاستحسان ، وبكيل لهم من الكلم الطيب ، والنوال الكريم ؛ ما يدفعهم إلى ما يرمي اليه من تقدمهم .

ولعله لهذه الخلال الكريمة اثرا في صفاء مواهبه ، وقوة تأثيره ، وصدق كفاياته ؛ فهو من أفصح الناطقين بالضاد حين يتحدث ، وأبلهم ريقا حين يخطب ، ومن انفذ الناس للنفس حين يعظ ، واحكمهم بالقضاء وأعدلهم بالحكم وابينهم بالحجة ، وأفقههم بالحياة .

#### اسفاره :

في سنة الف وتسع وعشرين وثلاثمئة وألف

هجرية زار مصر زيارة علمية ، كما حدثناك ، اجتمع فيها بأفذاذ الحياة العقلية في مصر ، وعلى رأسهم الشيخ سليم البشري المالكي شيخ الجامع الازهر في عصره ، وانتجت اجتماعاته به ، ومراسلاته له هذا الكتاب ، وحسبه فائدة من هذه الزيارة ( المراجعات ) .

وفي حوالي سنة ١٣٢٨ هـ . زار المدينة المنورة ، وتشرف باعتاب النبي ﷺ وضرائح أئمة البقيع عليه السلام .

وفي ثمان وثلاثين كانت الهجرة الدينية السياسية التي عرفت شيئا من حديثها وفيها زار دمشق ومصر وفلسطين ، وفي كل هذه البلاد كانت له فوائد علمية ومحاضرات قيمة ، كما تلمح ذلك فيما حدثناك به في مشايخه في الرواية ؛ وفي سنة ١٣٤٠ هـ ، حج البيت من طريق البحر ، في عهد المغفور له الملك حسين ، وحج معه خلق كثير من جبل عامل في ذلك الموسم ، وكان الموسم في ذلك العام من احفل مواسم الحج واكثرها ازدهاما واقبالا على هذه الفريضة ولعل مكة لم تشهد مثل هذه الموسم منذ عهد بعيد ، وكان في الحجيج تلك السنة كثير من الاعلام من علماء وزعماء من مختلف الاقطار ، وكان السيد ابرزهم بين تلك الجموع اسماً ، واعلاهم مكانة ، وأرفعهم بيتا واسخاهم كفا .



وهو أول عالم شيعي أم هذه الجماهير الضاغطة  
المزدحمة في المسجد الحرام بمكة المشرفة ، وهي  
أول مرة تقام فيها الصلاة وراء إمام شيعي على هذا  
النحو العلني تجتمع فيه الالوف معلنة في غير تقية .

ومن هنا كان حجه مشهورا يتحدث عنه الناس  
في سائر الاقطار الاسلامية ، وقد احتفى به الملك  
الحسين بن علي أجمل احتفاء وافضله ، واجتمعا أكثر  
من مرة وغسلا معا الكعبة .

وفي أواخر سنة ١٣٥٥ هـ ، زار أئمة العراق ،  
وجدد العهد باهله وارحامه ، واستقبله يوم وروده الوزراء  
والاعيان والزعماء ، وعلى رأس الجميع سماحة السيد  
محمد الصدر من بغداد إلى جسر الفلوجة ، في ارتال  
من السيارات ، واستقبل في كربلاء وفي النجف  
الاشرف باستقبالات علمية وشعبية رائعة فخمة قليلة  
النظير .

واكاد اسمعه يهتف حين اقبل على مرابع صباه  
وشبابه :

واجهشت للتوباد حين رأيته \* وكبر للرحمن حين  
رأني

وطبيعي ان يجهش هو شوقا إلى هذه المعاهد  
الانيسة ، وان تكبر هي ترحيبا به وفرحا باقباله بعد  
فراق امتد امده سنين طوالا .

ألم يصدر هو عنها راويا مرويا ؟ ألم تحفل هي به  
غريدا يملا اجواءها بأفضل مما يمتلئ به معهد من  
طلابه العبقرين ؟

بلى ، تبادل الحنين والشوق واللوعة والتحية ،  
واستجابت لهذا التبادل الروحي النقي داعي البر والوفاء  
في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء . فكانت  
حفلات زاهرة زاهية ، قد بعد العهد به عن مشاهدتها  
واعلامها .

وكانت اجتماعاته بالاعلام من أهل العلم ،  
ورجال البحث ، أهلة بالفرائد ، في مختلف فروع  
العلم ، وشتى مسائله .

وتابع من العراق سفره إلى إيران ، فتشرف بزيارة  
الامام الرضا عليه السلام ، وعرج في طريقه على قم وطهران  
وغيرهما من مدن ايران ، ولقي في جميع تلك المدن  
من مراسيم الحفاوة ما تفرضه شخصيته المحبوبة  
العظيمة .

## آثاره وإنشاءاته :

إفتتح أعماله الانشائية بوقف حسينية ، أعدها ليجتمع اليها الناس في مختلف الاوقات والظروف والدواعي ، يعظمون فيها الشعائر ، ويتلقون فيها دروس الوعظ والارشاد ، ويقيمون فيها الصلاة ، فلم يكن للشيعة مسجد في مدينة صور يوم جاءها السيد ، لذلك تملك دارا ، ثم وقفها حسينية في بدء التأسيس ، ثم حين سنحت الفرصة انشأ مسجدا من اضخم المساجد بناء ، واجملها هيكالا له قبتان عظيمتان ، ومنارة شامخة ، وباحة رائعة أمام ايوان واسع ، يتصل بابواب المسجد الرحب ، ويقوم في وسطه عمودان من الآثار الفينيقية ، يحملان القبتين ، وخلف المسجد مما يلي المحراب فناء كبير يتصل بخارج البلد .

وحين تم هذا المسجد الجامع العظيم ، بدأ بإنشاء ما كان يشغل تفكيره من قديم ، أعني إنشاء مدرسة حديثة تمثل مبداه التربوي في كلمته السائرة « لا ينشر الهدى إلا من حيث انتشر الضلال » . على ان النهوض بشعب بادئ خاضع للسلطات الاقطاعية ، معرض للصدمات ، ممتحن بالعراقيل ، لذلك جاء

مشروعه الضخم هذا على مراحل ؛ ولو لا بطولة في السيد لما تخطى المشروع أولى مراحل .

انشأ في اولى المراحل ، على مدخل المدينة ، ستة مخازن ، وشيد على سطحها دارا واسعة مراعيها فيها ان تكون يوما ما المدرسة المرجوة ، لكن انجاز هذا المشروع لم يكن يومئذ ممكنا لمعارضة كانت من السلطة ومن يمشي في ركايبها من ذوي المصالح الفردية ، وبهذا اضطر إلى الاكتفاء يومئذ بهذا القدر ينتظر الفرصة المواتية .

وكانت فترة استجمام طويلة نشط بعدها سنة ١٣٥٧ هـ ، فاذا الدار هي المدرسة الجعفرية المثلى ، وقد اضاف اليها في الدور الاول مسجدا خاصا بالمدرسة وطلابها ، ورفع على سطحه بناء آخر يماثل المدرسة اضيف اليها أيضا ، فكانت المدرسة بذلك مؤلفة من نحو خمس عشرة غرفة عدا الابهاء والساحات .

رفع من الجهة الاخرى ناديا فريدا ، سماه ( ( نادي الامام جعفر الصادق ) ) طوله اثنان وعشرون مترا ونصف المتر ، وعرضه خمسة عشر مترا ونصف المتر ، وقد اعده للاحتفالات والمواسم العلمية والدينية

والاجتماعية والمدرسية . ثم اسس بعد كل ذلك مدرسة  
للاناث في سنة احدى وستين هجرية وهي تتوخى ما  
توخته مدرسة الذكور من التوفيق في التربية بين  
المناهج الصالحة الضامنة لحياة أمثل وافضل .







